

علم النفس الأمني



الأستاذ الدكتور الحارث عبد الحميد حسن
الدكتور غسان حسين سالم دايني

علم النفس الأمني

تأليف

أ. د. الحارث عبد الحميد حسن د. غسان حسين سالم





الطبعة الأولى
1426 هـ - 2006 م

ISBN: 978-614-02-0014-2



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص. ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

إهداء

إلى كل من ينشد الأمن والأمان في عالم يفتقد الأمان حاجة وأمل...
إلى كل من يرفض العبودية لغير الله.. ويتطلع إلى عالم حر مستقل تسوده الحرية والأمان...
إلى كل من يحترف الأمن مهنة، وكل من يعرف أن الأمن حاجة، أن يتعاونا بكل محبة وإيمان من أجل حياة أفضل.
إلى كل من يؤمن بالحرية طريقاً والسلام منهجاً.
نهدي هذا الجهد العلمي الجديد، مدركين وموقنين،
أنه البداية على طريق الكمال...
لا يمكن أن يقوى ويتعزز إلا من خلالك عزيزي القارئ...
فهو منك.. وإليك...

شكر وتقدير...

الأحلام حقيقة بايولوجية ونفسية، معظمها يمثل تنفيساً عن معاناة الفرد وصراعاته النفسية ورغباته غير المتحققة، ومنها ما يتحقق في القادم من الأيام. وكان الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ، حلماً طالما تكرر في منام المؤلفين لأهميته وحيويته على مستوى الفرد والمجتمع. والحق يقال، ما كان لهذا الحلم أن يتحقق لولا التعاون والتآزر والحماسة المؤمنة التي قدمها عدد من المساعدين الذين كانوا يعملون بجد وتفان طوال مدة أكثر من عام ومن وراء الكواليس، بهدوء وشفافية ومحبة. وهنا نجد لزاماً علينا ومن باب العرفان بالجميل أن نقدم شكرنا وتقديرنا ومحبتنا إلى السيدة إنعام مجيد الركابي التي تولت الأشراف والمشاركة في أعمال الطباعة والتنضيد والتصحيح وإعادة الطبع لمرات عدة وبتعاون وشفافية مع فريق عملها الكريم وهما: الآنسة إقبال فرهود والآنسة رنا عزيز، فلهم منا كل المحبة والدعاء بالتوفيق والتقدم المطرد.

كما نتقدم للأخ الكريم الأستاذ المساعد الدكتور عبد الغفار عبد الجبار القيسي بالشكر والتقدير والاعتزاز لمشاركته العلمية الرائدة في كتابة أحد فصول الكتاب، ذلك هو "الحرب النفسية" مما أضاف للكتاب قوة معرفية وأصالة طيبة.

شكرنا واعتزازنا للسيد عادل عبد الرحمن صدّيق الصالحي الذي بذل جهداً متميزاً في عمليات إعادة التنضيد والإخراج الفني وتنظيم الفصول على وفق الأصول المعروفة وبجمالية واضحة، فله منا كل المحبة.

ولا يفوتنا في الختام إلا أنا نوجه شكرنا وتقديرنا ومحبتنا إلى الناشر الذي زرع في نفس المؤلِفَين الإندفاع والحماسة لإكمال الكتاب بعد إبلاغنا بالموافقة والاستعداد على النشر ومن خلال ممثل الشركة في العراق الأستاذ عكاب سالم الطاهر الذي بذل جهوداً جمة في المتابعة والتنسيق. فلهم منا جزيل الشكر والامتنان مع أطيب التمنيات بالتوفيق والريادة في مجال النشر والتوزيع.

المؤلفان

مقدمة الكتاب

يعدّ الشعور بالأمن النفسي حاجة أساسية وملحة في حياة كل إنسان. وقد جاءت في الدرجة الثانية ضمن سلم الحاجات لعالم النفس الشهير مازلو، بعد الحاجات الفيزيولوجية التي تتضمن الطعام والماء والهواء والجنس والتكاثر. إن إشباع هذه الحاجات الضرورية، يمثّل قدرة الفرد الإنسان على التقدم إلى الأمام، والانتقال من مرحلة إلى أخرى بشكل إنسيابي وهادئ ودون إحباطات أو صراعات أو أزمات، قد تتحول عبر الزمن إلى معتقدات راسخة في العقل وعقد متراكمة يصعب تفكيكها أو حلها مع تقدم العمر.

إن الشعور بالأمن والأمان على مستوى الفرد، يعدّ الطريق الأمثل نحو بناء منظومة الأمن السليم على مستوى المجتمع، التي تمثل غاية وهدفاً في آن واحد من أجل بناء مجتمع متقدّم ومتطوّر وغد أفضل لإنسانه.

يتناول علم النفس بفروعه المختلفة وبشكل معمّق وتجريبي موضوعي السلوك الإنساني والطبيعة البشرية، كما صار موضوعاً أساساً في دراسة الاختصاصات الإنسانية والعلمية المختلفة وخاصة ما يتصل بالعلوم المعرفية كما في الإدراك والتذكر والتفكير والتخيل والتصور إلى ما غير ذلك من العمليات العقلية التي يقوم بها الدماغ كونه أداة للإنتاج، والعقل بوصفه ناتج فكري أصيل. وتتعدى اهتمامات علم النفس ودراساته موضوع الإنسان الفرد لتمتد إلى المجتمع وبالتعاون مع علم الاجتماع وذلك من خلال علم النفس الاجتماعي، إذ يلعب الإنسان دوراً أساساً في حركة العديد من الخصائص والسمات المجتمعية. وهنا يأتي الدور الفاعل والحساس لعلم النفس الأمني والذي يعدّ حديثاً ومبتكراً ضمن فروع علم النفس وتقسيماته، إذ يهتم هذا الحقل المعرفي بموضوع الأمن النفسي والشعور بالأمن على مستوى الفرد في المجتمع، وبالتالي على مستوى المجتمع عموماً.

وإذا كان الأمن والأمان في مجتمع متوازن ومستقر، هو من مسؤولية الدولة وأجهزتها الأمنية التي تحرص بكل الوسائل الشرعية والأخلاقية والإنسانية على توفيره للمواطن، فإن الإنسان الفرد، يبقى هو صاحب المصلحة الحقيقية في هذا النشاط، بوصفه العضو المؤثر والمتأثر في المجتمع، ولا بد أن يكون له الدور الأساس والفاعل في صياغة أساليب هذا النشاط، وبما يحقق له قدراً من التوازن والانفعال والاستقرار ليعيش هادئاً ومرتاحاً على أرضه وتراب وطنه. وتسعى الدول والمجتمعات النامية والمتقدمة على تأسيس أجهزتها الأمنية بهدف حماية الإنسان والمجتمع من جهة، والوطن من جهة أخرى من الاعتداء أو التحرش أو الاختراق أو الإيذاء، ولا سيما

نحن نعيش اليوم عالما زاخرا ومليئا بنزعة العدوان والاعتداء على الآخر حيث القوة والتسلط، هما السلاح الذي تتعامل به الدول والأمم فيما بينها، بدلاً من الحوار والتفاهم العقلاني.

إن كل شكل من أشكال الصراع والنزاع بين الدول والمجتمعات والأمم الذي يؤدي إلى الحروب والكوارث والصدمات، والتحديات، بالنتيجة سيفضي إلى الاضطرابات على مستوى الفرد، والأمراض المجتمعية وحالات عدم الاستقرار والخوف والانفعالات الحادة على مستوى المجتمع. وتلك حقيقة لا مفر منها، حيث ان الضرر الجسيم والحزن والألم والخسارة والكراهية والبغضاء والمرض والخوف والتطرف والعنف، كل هذا من نتاجات وإفرازات الحروب والكوارث التي تتعرض لها الشعوب والأمم عموماً والإنسان الفرد خصوصا.

إذا كان الأمن والأمان مهمين على مستوى الفرد، فإنهما مهمان أيضاً على مستوى المجتمع والوطن والأمة والدولة. لذلك فإن الدول عموماً تسعى وبأشكال مختلفة إلى تأسيس المنظومات الإدارية التي من شأنها أن ترعى الأمان وتوفر الأمن والاستقرار لأبناء شعبها الذين يعيشون فوق الرقعة الجغرافية المحددة لها. وهذا ما يطلق عليه ب (الأمن الداخلي). كما تسعى الدول أيضاً إلى بناء المنظومات التي من شأنها الاهتمام بالأمن الخارجي، وهذا يعني المحافظة على حدود الدولة وأمنها وسيادتها ومحاولة درء أي عدوان خارجي عليها.

إن طبيعة عمل أي جهاز أمني على مستوى الدول والأمم ذات السيادة، داخلياً كان أم خارجياً، لا يقع ضمن اهتمامات علماء النفس أو المهتمين بشؤون النفس ورعايتها، بل هو شأن يخص هذه الدول حصراً من حيث السياسات والإستراتيجيات والمناهج. إلا أن المهم الذي يعنينا في هذا الشأن هو الإنسان الفرد، طفلاً أو مراهقاً أو شاباً أو كهلاً أو شيخاً. الإنسان بنوعيه الاجتماعيين، ذكرا وأنثى. إذ أن القائمين على شؤون الأمن ورعايته والاهتمام به، هم بشر في الأساس، أناس.. أفراد، فإن تثقيفهم وتعريفهم بأهمية الأمن النفسي، حاجة ومطلبا، بدءاً من الفرد في داخل الأسرة والمدرسة والبيئة التي يعيش فيها، وصولاً إلى الأمن الاجتماعي على مستوى الدولة والمجتمع، يعدّ أمراً ضرورياً وأساسياً مهماً وبما يعزز الإرادة الفردية والمجتمعية ويعزز الثقة بالنفس، فردياً ومجتمعياً أيضاً.

إن الحفاظ على الأمن في المجتمع والاستقرار في أي بلد من بلدان العالم، هو من مسؤولية الدولة وسلطاتها التنفيذية، وإذ أن المستفيد الأول من هذه الخاصية، هو الإنسان، الفرد، لذلك فإن من حقه أن يعرف الكثير عن هذا الجهاز الأمني أو ذاك في دولتة، خاصة أن من يشارك في حماية أمن المواطن، هو مواطن آخر يوفر له التأهيل المهني ليكون في هذا الموقع، فقد يكون أخاً أو أباً أو صديقاً أو قريباً.

وفي المحصلة النهائية، فإن نجاح المنظومة الآمنية في عملها وبغض النظر عن واجباتها الفنية المحددة، تقع مسؤوليته، ليس فقط على العاملين في هذه المنظومة، بل على كافة أبناء المجتمع بوصفهم مواطنين، ومن حقهم أن يعرفوا كل شيء ويساهموا في بناء صرح الأمن الوطني بكل ما يستطيعون، لأن نشاط أي جهاز أمني في المجتمع، يجب أن ينصب أولاً على خدمة الإنسان والمجتمع وتحقيق أمنه وحريته واستقراره قبل كل شيء آخر.

من هذه المنطلقات والمعطيات، وجدنا: أن من الضرورة بمكان تأليف كتاب شامل وموجز وواضح وميسّر عن علم النفس الأمني. ورغم حداثة هذا الفرع من فروع علم النفس وجدته، يتسم بالأهمية البالغة كونه يسلّط الضوء على موضوعات مختلفة تقع في دائرة الأمن النفسي والاجتماعي، ليستفيد منها المواطن العادي من جهة والمواطن المحترف في العمل الأمني من جهة أخرى، فضلاً عن ذلك فإن هذا الكتاب، يمكن أن يعدّ مادة أساسية لأصحاب القرار في منظومات الأمن على مستوى الدول، من حيث الرؤية النفسية الخالصة لعدد من الموضوعات التي تهم حياة المواطن والمجتمع والدولة على حدّ سواء.

إن تجربتنا في كتابة مفردات هذا الكتاب، تنبع من اهتمامنا بالإنسان الفرد كوننا متخصصين في العلوم النفسية، ومن هذا المنطلق جاءت مضامين الكتاب، عربية خالصة ودون الأستعانه بالكتب الأجنبية على مستوى اختيار المفردات أو مضمون الموضوعات، عدا الاستفادة من المنظّرين والعلماء في تناول النظريات العلمية والأبعاد النظرية للموضوعات المختلفة.

يتضمن هذا الكتاب عشرة فصول، تناولت موضوع علم النفس الأمني بوصفه أحد فروع علم النفس التطبيقي، إذ يشتمل على معنى مفهوم الأمن النفسي وتطبيقاته في الحياة وكيفية التعامل مع ممهدات هذا الأمن وأسس التعامل مع الاضطرابات النفسية لدى العاملين في الحقل الأمني. كما يحتوي الكتاب ضمن فصوله موضوعاً يتسم بالأهمية والإثارة في أن واحد، ذلك هو موضوع الباراسايكولوجي أو علم الخارقية، إذ أثبتت الدراسات المختبرية وجود تطبيقات كثيرة في المجالين الأمني والعسكري لقدرات الإدراك فوق الحسي. ولأهمية هذا الموضوع وحداثته في الأدبيات العربية، رأينا تضمينه لفصول الكتاب بهدف تنوير القارئ العربي بأهمية هذا العلم وتطبيقاته في العالم المتقدم.

لقد كانت الفكرة الأولى لتأليف هذا الكتاب، تتحدد بتسليط الضوء على المواضيع ذات العلاقة بالعاملين في المؤسسات الأمنية من الناحية النفسية ودور هذه المؤسسات في حركة المجتمع ونموه

وتطوره، ولكن مع استمرار البحث في الدراسات التي تخص موضوع الأمن عموما، ومن خلال معايشتنا للواقع، تولدت فكرة مضافة، تتمتع بالأهمية والمحورية، وهي الأمن النفسي للفرد وأمن المجتمع وعلاقته بالتنمية والأمن الوطني، حيث فلسفة التربية والتعليم، والأمن الوقائي ودور الأسرة في بناء فرد أمن ومجتمع أمن.

وبهذه المنهجية، سيشتمل كتابنا في علم النفس الأمني بعد مقدمته، على مدخل يتضمن عدداً من المحاور، تمثّل المقدمات الأساسية لطروحات الكتاب. ثم يتم تناول موضوعات الكتاب من خلال قسمين:

القسم الأول: ويحتوي على كل ماله علاقة بمهنة رجل الأمن والمجال الذي يعمل فيه، وما تتعرض له المؤسسة الأمنية بوصفها جزءاً مهماً من إدارة الدولة وقيادتها، داخلياً وخارجياً.

أما القسم الثاني: ويحتوي على كل ما له علاقة بالمواطن الفرد والمجتمع عموماً وصولاً إلى توضيح أهمية الثقافة الأمنية في المجتمع ودورها في بناء منظومات مجتمعية مستقرة وقوية تساهم في حركة التنمية والتطور والتقدم.

ومن وجهة نظر المؤلفين وأصحاب الاختصاص فإن هذا الكتاب يصلح بوصفه مادة تدريسية في الكليات والمعاهد والمراكز المتخصصة بالجوانب الأمنية فضلاً عن أهميته لطلبة الدراسات الأولية والعليا في علم النفس وعلم الاجتماع، ممن يبحثون ويدرسون في مجالات علم النفس الأمني. ولا يفوتنا أن نذكر أن الكتاب، يعدّ معيّناً ومصدراً للثقافة العامة، يمكن أن يستفاد منه كل إنسان في وطننا العربي الكبير، بوصفه مواطنا لديه الحقوق وعليه الواجبات، ولا بد له أن يكون واعيا وعارفا بحركة الحياة ومسيرتها في هذا المضمار، خصوصاً أن هذا العلم ظل على مدى عقود من الزمن حكراً على فئة محددة من الناس، تعتقد أنها، هي وحدها المؤهلة في تناول هذه الموضوعات بعيداً عن روح الاختصاص الفني وحيثياته، وتعتقد أيضاً أن ليس من حق المواطن ولا من حقوق المواطنة، أن يتعرف الفرد على مثل هذه الموضوعات.

إن أي عمل علمي، يحتاج بالضرورة إلى النقد والتحليل والتعقيب والمداخلة من جانب المختصين، لذا فإن كتابنا هذا الموسوم بـ (علم النفس الأمني)، هو تجربة جديدة وثرية ومثابرة يتحمل مسؤوليتها مؤلفاه، اللذين يسعدهما ويشرفهما أن يتلقيا أي شكل من أشكال النقد الإيجابي الهادف الذي من شأنه ترصين الكتاب وتدعيمه والارتقاء به ليكون مصدراً علمياً ثميناً ومفيداً لكل المستفيدين منه في أرجاء الوطن العربي. ومن الله التوفيق.

مدخل المفهوم العام لعلم النفس

لقد أصبح أمراً لا مفر منه على عاتق كل إنسان أن يعرف شيئاً عن علم النفس، فهو يمس بشكل حقيقي كل محطة من محطات حياتنا الكثيرة والمتشعبة.

إنه علم يسأل ويجيب عن ما لا حصر له من المواقف والخواطر والنوازع والدوافع والسلوكيات والتصرفات والآليات والاستخدامات وبطريقة علمية ومنهجية يتم فيها توظيف الذات والموضوع في وقت واحد، فضلاً عن الخبرة والتجربة. كما يؤثر علم النفس في حياتنا المدنية والحضارية من خلال تأثيره على القوانين والسياسات والأنظمة المجتمعية المختلفة، لأنه يهتم بالإنسان الفرد وعلاقته بالجماعة، وعلاقة الجماعة بعضها ببعض وصولاً إلى المجتمع الكبير.

لذلك فإن الاهتمام بعلم النفس ومعرفة الأسس المنهجية التي يبحث فيها، يعدّ حاجة ضرورية لكل إنسان بغض النظر عن تخصصه الدقيق في الحياة العملية. كذلك فإن الجامعات المرموقة في كافة أنحاء العالم المتقدم تسعى لتقديم فصول دراسية كاملة لطلبتها وباحثيها والدارسين فيها، في علم النفس العام، للاختصاصات العلمية والإنسانية عموماً، لتمكينهم من إدراك وفهم واستيعاب الحقائق بشكل مناسب ومقبول في إطار الثقافة الاجتماعية والتاريخ الفكري لأي شعب من الشعوب.

يعرّف علم النفس على أنه الدراسة العلمية للسلوك والعمليات العقلية ولذلك فإن أي موضوع يقع تحت قبة علم النفس، يمكن النظر إليه من زوايا مختلفة، وتتعدد وجهات النظر أو الزوايا بتعدد المدارس والنظريات. فقد ننظر إلى موقف معيّن من زاوية بايولوجية بحتة أو سلوكية صرفة أو معرفية محددة أو تحليلية وظواهرية خاصة. وقد ننظر إلى هذا الموقف أو ذاك من عدة زوايا متداخلة مع بعضها البعض دون التشبث والانحسار بزاوية محددة دون غيرها. وبهدف التثبت والتحقق من مشروعية وجهة النظر لهذه أو تلك فإن علم النفس ينطوي على العديد من الطرائق والوسائل المنهجية للتحقق من افتراضاته وتجاربه. وبصورة عامة فإن البحث العلمي الجاد في علم النفس يعتمد أولاً على ابتكار الفرضية العلمية، وثانياً على اختبار هذه الفرضية وفق شروط تجريبية صارمة من أهمها: ضبط المتغيّرات، التصميم التجريبي، والقياس.

ولابد من الإشارة إلى أن هناك فروعا أخرى غير علم النفس تهتم أيضاً بالعقل والسلوك، كما في علوم الحياة والفلسفة واللغات وغيرها. لذلك فإن الباحثين في هذه المجالات يحاولون الاستئناس والاستفادة من أسس علم النفس ونظرياته من أجل إيجاد وسائل

متداخلة في المعرفة لدراسة الظواهر النفسية. ومن بين هذه العلوم، تبرز العلوم الأمنية والاستخبارية والسياسية والعسكرية، كمحرك فعّال في مجال اختصاصها بضوء التداخل والتكافل والتضامن مع العلوم النفسية. ويبدو أن هذه النظرة في الدراسات العلمية والمعرفية، ستحتل أهمية كبيرة، واهتماماً متزايداً بين الباحثين من جهة وأصحاب القرار من جهة أخرى خلال العقود القليلة القادمة.

بعد أن تعرّفنا على طبيعة مفهوم علم النفس ومديات استخدامه والاستفادة منه، لا بد لنا من التعرف على مجالات اهتمامه بالنسبة للفرد والمجتمع، إذ يهتم علم النفس بشكل متزايد بالجوانب البايولوجية في الدماغ والجهاز العصبي وعلاقة ذلك بالسلوك والطبيعة البشرية، بدءاً بمراحل النمو الأولى وانتهاءاً بالمراحل الأخيرة من عمر الإنسان، كذلك فهو يدرس الوعي والإدراك من خلال العمليات الحسية والإدراك الحسي، والوعي وحالاته المتغيّرة، والتعلّم والتذكر واللغة والتفكير والذاكرة، والدوافع والعواطف والشخصية الفردية واختلافاتها، والضغوط النفسية، والأمراض النفسية وعلاجها، الصحة والتعب والإجهاد، والمقاومة والتحمل. كما يسعى إلى التوسع أكثر من ذلك نحو دراسة السلوك الاجتماعي، والتأثيرات الاجتماعية، على الفرد والجماعة. وإذا كان علم النفس يركّز جل اهتمامه على الظاهر من السلوكيات والعمليات الحسية والإدراكية، فإنه يبحث كذلك في الباطن من هذه التوجهات من خلال دراسات الباراسايكولوجي وقدرات الإدراك فوق الحسي والطاقات الكامنة في أعماق النفس البشرية.

وتمتد جذور علم النفس بصفة عميقة في أصول الفكر الإنساني، إذ بدأت بشكل منظم ومنهجي منذ زمن الإغريق حينما قدّم الفلاسفة الأوائل: سقراط وأفلاطون وأرسطو بحوثاً ودراسات قيّمة عن طبيعة العقل والروح والجسد والنفس والخبرة البشرية عموماً وظل الصراع الفكري قائماً بين مدرستين فكريتين، الأولى تتحدث عن الوراثة وما تحمله للفرد منذ ولادته من بصمات وسمات وخصائص، والثانية تتحدث عن البيئة والاكتساب وما تحمله للفرد بعد ولادته من طبائع وسلوكيات وأفكار ومعطيات.

لقد تعددت فروع علم النفس واختلفت اهتمامات العلماء به بدرجة أصبحت أمام علوم متعددة وليس علم نفس واحد، ومن هذه الفروع:

- الفروع النظرية: وتشمل علم النفس العام، وعلم النفس الفيزيولوجي، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس التكويني، وعلم نفس الشواذ، وعلم نفس الحيوان، وعلم النفس التجريبي، وعلم نفس القيم.
- الفروع التطبيقية: وتشمل علم النفس التربوي، وعلم النفس الصناعي، وعلم النفس السريري، وعلم النفس العسكري، وعلم النفس السياسي، وعلم النفس الأمني، وعلم النفس القضائي، وعلم النفس الإداري.

إن الاهتمام بدراسة الأمن الوطني يعدّ من الضرورات التي اتخذت

مسارا علميا في معرفة عناصره ومستلزماته افرادا وادوات وستراتيجات والتي تعتمد في أحد أجزائها على علم النفس في الميدان. فالأمن الوطني يعني التماسك والثقة والبلورة السياسية الموحدة للخصائص الجغرافية وبذلك يتجه مفهوم الأمن الوطني عموماً إلى:

1. توفير الحماية للمصالح الحيوية للدولة واستثمار الإمكانات المتاحة في تلك المجالات بشكل مدروس، يؤكد المردودات الإيجابية لتحقيق هدف الأمن الشامل، وهو التطبيقات الاستراتيجية على الصعيد الواقعي بالنسبة لمفهوم البقاء وإنجاح مسيرة بناء القوة الذاتية للكيانات السياسية.
2. يقود مفهوم الأمن الوطني إلى تأمين كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار التي تهددها داخلي وخارجياً وتأمين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبّر عن الرضا العام في المجتمع.

أما فيما يخص علم النفس فهو العلم الذي يدرس السلوك والطبيعة البشرية كما أسلفنا، مما استوجب تأسيس فروع متعددة منها علم النفس: العام، الصناعي، التجاري، الإداري، الاجتماعي، التربوي، السريري، الجنائي، السياسي، العسكري، الأمني.

ويعد موضوع الأمن في علم النفس موضوعاً جدلياً وعقلياً ومعرفياً، لكن في الوقت نفسه موضوعاً دقيقاً وخطيراً وتتحاشى الدوائر الأكاديمية والعلمية أن تتناوله بإسهاب، ويبقى في حدود المؤسسات الأمنية والمخابراتية ذات العلاقة بالتخصص. إن هذه النظرة الراديكالية، قد أساءت بحق للمواطن من جهة والمؤسسات الأمنية ذاتها من جهة أخرى. ولكن مع تطور المفاهيم السياسية ضمن العقلانية البشرية، ومعَ التوجه الجديّ لحياة الديمقراطية والحرية والبحث عن متطلبات حقوق الإنسان في مجتمعاتنا، أصبحت مفاهيم الأمن النفسي وتطبيقاتها في الحياة، حقاً مشروعاً يجب أن يفهمهُ المواطن العادي، كما يفهمهُ رجل الأمن، إنطلاقاً من حقيقة أن الأمن والآمان هما حاجة نفسية ضرورية تتطلع إلى الاشباع في داخل كل نفسٍ إنسانية. وتولي الدول المتقدمة هذا الفرع اهتماماً واسعاً ومميزاً.. ولكنها تنوه عنه فقط ولا تعطي معلومات واضحة مفيدة عنه وعن آلياته.. وأفكاره.. ونظرياته، فهو علم تطبيقي يتعامل مع الأساسيات والمسلمات.. بقدر ما يتعامل مع الواقع والتحديات تبعاً لتطورات كل دولة أو أمة أو شعب.

ويهتم علم النفس الأمني، بوصفه أحد فروع علم النفس التطبيقية بدراسة الظواهر النفسية في حياة رجل الأمن بصورة عامة وساحة العمل الأمني، الوطني بصورة خاصة أيضاً، وبما تتضمنه من مساس لحياة الفرد والأسرة والمجتمع.

لذا فإنه يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. انتقاء الأفراد وتوزيعهم وفقاً لقدراتهم واستعداداتهم العقلية وسلامة حواسهم.
2. التدريب والتأهيل النفسي.
3. الحث على رفع الروح المعنوية وتعزيز الولاء والانتماء.

4. معالجة المشكلات النفسية والاجتماعية للمنتسبين.
5. التوعية بصدد السلوك النفسي والاجتماعي للمنتسبين داخل وخارج المؤسسة الأمنية.
6. تحديد وتحديث وتطوير الأساليب السلوكية الخاصة برجل الأمن الوطني.
7. الأعداد والتهيئة السليمة لرجل الأمن عند انتقاله من الحياة المدنية إلى العمل في المؤسسة الأمنية وبالعكس.
8. التدريب على أساليب الحرب النفسية والتحصين الأمني.
9. دراسة مجال القيادة وسبل اتخاذ القرار.
10. التشخيص الأولي للشخصية المرضية الناتجة عن الظروف الصعبة وكيفية معالجتها.
11. استخدام الاختبارات المختلفة لانتقاء الأفراد والمنتسبين للمهمات الأمنية الخاصة.
12. التدريب على استخدام الحواس الخمس وما فوقها (الإدراك فوق الحسي) في ميدان العمل
13. تهيئة البرامج الخاصة بالتوعية والإرشاد والتكييف لاستقبال حياة مدنية طبيعية بعد انتهاء الخدمة في الجهاز الأمني.
14. تعزيز الأمن النفسي لدى الفرد والتعرف على مهدداته ومستقبله.
15. التعرف على الثقافة الأمنية ومكوناتها وطبيعتها وعلاقتها بالتنمية وحركة المجتمع.

إن زيادة الاهتمام بالإنسان ودوافعه وميوله وبناء شخصيته سمة بارزة يهتم بها علم النفس، وتزداد هذه الأهمية مع تنوع الاختصاص وأساليب العمل والمؤثرات التي تؤثر عليه، وبالتالي فإن علم النفس في اختصاصاته المختلفة النظرية والتطبيقية يسعى إلى الإجابة على الكثير من التساؤلات وإيجاد القواعد التطبيقية لها وبما يضمن تحقيق الأهداف.

القسم الأولأمن المؤسسات

الفصل الأول: أساليب الانتقاء
الفصل الثاني: التدريب وفق أسس نفسية في مجال العمل الأمني
الفصل الثالث: الحرب النفسية
الفصل الرابع: الباراسايكولوجي
الفصل الخامس: غسيل الدماغ وعمليات التحوير

الفصل الأولأساليب الانتقاء

يعدّ الأمن الوطني والقومي أحد أهم المرتكزات التي تسعى الدول للحفاظ عليها لأنه يشكل مصدر وجودها وبقائها واستمرارها. فهو يحافظ على مقوماتها الوطنية من الأرض والشعب والسيادة، وبالتالي فإن أي حالة خلل أو خرق تشكّل نقطة ضعف في بناء هذه الدولة أو تلك.. فهو حق مشروع لجميع الدول المستقلة، ويعد أهمية كبيرة في مواجهة مخططات الأعداء وأطماعهم، وتعد المواجهة الحربية هي آخر شوط يمكن استخدامه في حالة التهديد، وبطبيعة الحال يسبق هذا التهديد الكثير من المحاولات لتفتيت الوحدة الوطنية وإضعاف روح المقاومة وإجراءات عديدة لخرق أمن الوطن وأمن المواطنين.. لذا فإن مسؤولية حماية الوطن وأمنه هي مسؤولية مشتركة لجميع الناس، وبما أنها مسؤولية فهي واجب تتكفل به جميع الأجهزة والمواطنين.. إذ لم تعدّ أساليب المواجهة من البساطة بمكان، فقد تطورت عمليات التأثر والتأثير بتعقد نمط الحياة وأساليبها، فقد تنوعت أساليب الشر والعدوان، وبمعنى آخر تطورت أساليب المواجهة والمعلومات المستخدمة فيها.

لقد وظّفت الدول المختلفة ولاسيما المتقدمة منها أحدث ما وصلت إليه على المستوى التقني والمعلوماتي، إضافة إلى ما يهم ويعنى بالإنسان (الموارد البشرية) التي هي أساس الاستهداف لأنها المحرك لكل الأسباب والنتائج.. لذا حدثت تطورات واسعة وسريعة فيما يسمى بعلم النفس الأمني الذي يمثّل أحد الفروع المهمة في ميدان علم النفس، فيسعى علم النفس الأمني إلى توظيف النظريات والقوانين التي توصّل إليها علم النفس العام في مجال العمل الأمني على مستوى الأعداد والتطبيق والتوظيف لمعطياته المختلفة.

يعدّ علم النفس الأمني من العلوم والاختصاصات التي يستفاد منها إلى أقصى الحدود بهدف اعداد رجل الأمن ومفهوم الأمن والتحصين الأمني والتعرف على الأساليب والوسائل المستخدمة في العمل الأمني.

علم النفس عموماً يُعرف بأنه العلم الذي يتناول سلوك الإنسان بالدراسة، والتحليل والسلوك يعني كل نشاط (أفعال أو حركات أو عمليات عقلية) يقوم بها الفرد خلال تعامله مع البيئة أو بمعنى آخر هو الاستجابة التي تصدر من الفرد نتيجة تعرّضه لمنبر معين، وفي كل الحالات يحاول علم النفس أن يجد لها تفسيراً أو فهماً معيّناً ثم يحاول بعدها أن يتنبأ بما يمكن أن يكون عليه السلوك لاحقاً ويسعى أخيراً إلى ضبط ذلك السلوك والتحكم فيه أي تعديله أو توجيهه، ويمكن استخدام مبادئ وقوانين علم النفس في العديد من المجالات المهمة، وبذلك

فإن علم النفس الأمني هو استخدام معطيات علم النفس التطبيقية في ميدان العمل الأمني.

يمكن تعريف علم النفس الأمني بأنه أحد فروع علم النفس التطبيقية الذي يدرس الظواهر النفسية في حياة رجل الأمن بصورة عامة في ساحة العمل الأمني، الوطني والقومي بصورة خاصة.

الأهداف التي يسعى لتحقيقها علم النفس الأمني:

1. اختيار الأفراد وتوزيعهم وفقاً لقدراتهم واستعداداتهم العقلية وسلامة حواسهم.
2. التدريب والتأهيل النفسي.
3. الحث على رفع الروح المعنوية وتعزيز الولاء والانتماء.
4. معالجة المشكلات النفسية والاجتماعية للمنتسبين.
5. التوعية بصدد السلوك الاجتماعي للمنتسبين داخل وخارج المؤسسة الأمنية.
6. تحديد وتحديث وتطوير الأساليب السلوكية الخاصة برجل الأمن الوطني والقومي.
7. الإعداد والتهيئة السليمة لرجل الأمن (المخابرات) عند انتقاله من الحياة المدنية إلى العمل في المؤسسة ذات العلاقة.
8. التدريب على أساليب الحرب النفسية والتحصين الأمني.
9. دراسة مجال القيادة وسبل اتخاذ القرار.
10. التشخيص الأولي للشخصية المرضية التي تنتج عن الظروف الصعبة وكيفية التعامل معها ومعالجتها.

تهتم معظم الدول وعلى اختلاف مستوى مؤسساتها بعملية اختيار الفرد المناسب للعمل المناسب لما يشكل ذلك من استثمار الموارد البشرية والمادية على الوجه الأفضل، وتزداد الحاجة إلى ذلك كلما زادت أهمية وخطورة المواقع التي ينبغي أشغالها، إذ لكل مهنة مواصفات ومتطلبات مما يستلزم أن يكون هناك توافق بين تلك المهن وخصائص من يشغلها، فعلى سبيل المثال تدعو إدارات الجيوش في كل عام كثيراً من الشباب إلى الخدمة العسكرية من مختلف جيوش العالم، ويختلف هؤلاء الشباب المجندون فيما بينهم اختلافا كبيراً من حيث استعداداتهم وميولهم وثقافتهم ومهنهم، وتصبح أول مهمة يقوم بها الجيش هي اختبار هؤلاء الشباب اختباراً دقيقاً لاختبار الصالحين منهم للخدمة العسكرية ولاستبعاد غير الصالحين.

وتهتم معظم المؤسسات الحديثة، إضافة إلى الفحص الطبي الدقيق، بتطبيق الاختيارات النفسية لقياس القدرات والاستعدادات وسمات الشخصية، فإذا كانت معرفة قدرات الأفراد البدنية وخصائصهم الجسمية مهمة لبعض المهن، فإن معرفة قدراتهم واستعداداتهم العقلية وسماتهم الشخصية هي أكثر أهمية بلا شك.

وبدون معرفة هذه الصفات لا تستطيع هذه المؤسسة أو تلك أن تحسن اختيار أفرادها فليست المقدرة البدنية هي كل ما مطلوب، فهناك أعمال مختلفة يؤديها الفرد في مواقف وظروف مختلفة الظروف الطبيعية والظروف الاستثنائية. فلذا من الواجب أن يكون هناك أساس سليم يستطيع به تقدير الرجال تقديراً صحيحاً بحيث يوضع كل فرد في العمل الذي يتفق مع استعداداته ومواهبه وقدراته،

وإذا احسن الاختيار سيؤول الأمر إلى نجاح عملية التعلم والإعداد والتدريب والاطمئنان إلى كفايتهم ومهارتهم.. فلذا أصبحت الحاجة إلى خبراء نفسانيين مدربين على تقدير الأفراد وقياس قدراتهم واستعداداتهم قياساً علمياً صحيحاً بواسطة الاختبارات النفسية المختلفة.

الاختبارات:

يتكون الاختبار من بعض المسائل والمشكلات التي تعرض على الأفراد كلهم وللإجابة عليها، ولكل مسألة من مسائل الاختبار حل معروف تقارن به الحلول المختلفة التي يضعها الأفراد ويمنح كل حل درجة على حسب اتفاقه أو اختلافه مع الحل الصحيح للمسألة. وقد يكون الاختبار شفهياً أو يكون في صورة مسائل مكتوبة إذ يجيب عليها الأفراد كتابة أو في صورة رسوم وصور مختلفة يستجيب لها الأفراد بعد قراءتها، وقد يكون الاختبار عملياً فيطلب من الأفراد القيام ببعض الأعمال المعينة مثل إدارة آلة أو القيام بمهارة معنية أو ترتيب بعض الصور وبناء المكعبات، وإعادة تركيب الصور المجزئة..، وقد يكون الاختبار فردياً أو جمعيا. والاختبارات النفسية أنواع منها اختبارات الذكاء، والقدرة العقلية العامة، ومنها اختبار الاستعدادات العامة أو الخاصة، واختبارات التحصيل الشخصية: مثل اختبارات الميول، والاتجاهات، وتوافق الشخصية، والاتزان الانفعالي.

تبرز أهمية الفحوص النفسية بصورة عامة وأثرها في تقليل الوقت والمجهود الذي يصرف في إعداد وتدريب الأفراد، إضافة إلى دراسة الشخص نفسه دراسة تحليلية لنواحي قوته وضعفه ومعرفة ميوله وقدراته وإمكانياته بقصد توجيهه إلى خير ما يناسبه من المهن والأعمال.

ويمكن تقسيم الاختبارات إلى:

1. اختبار الأداء Performance test: وهو اختبار يطلب فيه استجابة يدوية أو استجابة حركية.
2. اختبار الاستعداد readiness test وهو يقيس المدى الذي حصل عليه الفرد من النضج أو اكتساب مهارة معينة.
3. اختبار التحصيل Achievement test وهو مقياس للدرجة التي حصل عليها الشخص من خلال التعليم أو التدريب.
4. الاختبار التشخيصي Diagnostic test: وهو لقياس نواحي القوة والضعف.
5. الاختبار التنبؤي Prognostic test: وهو يقيس التنبؤ بالمعنويات.
6. اختبار التصفية Screening test ويستخدم لغرض تصفية المتقدمين لمهنة معينة.
7. اختبار التصنيف العام General classification test وهو لغرض تقسيم المتقدمين إلى مجموعات
8. اختبار التمكن Mastery test: وهو يحدد المدى الذي وصل إليه الفرد أو المجموعة.
9. الاختبار الفردي Individual Test: وهو اختبار يطبق على فرد واحد.
10. الاختبار الجماعي Group test: وهو اختبار يطبق على مجموعة كبيرة أو صغيرة.
11. اختبار القوة Power test: وهو اختبار يقيس مستوى الأداء.
12. اختبار السرعة Speed test وهو من الاختبارات التي تحدد بزمن وتعتمد على سرعة الاستجابة
13. اختبار غير لفظي Non verbal test وهو من اختبارات الورقة والقلم وقد يحمل رموزاً أو صور

ويستخدم مع الذين تعوزهم الجوانب اللفظية.

14. اختبار لفظي Verbal test: وهو يعتمد على فهم الكلمات وهو من اختبارات الورقة والقلم أيضاً.
15. اختبارات الشخصية.
16. اختبارات الذكاء.
17. استخدام الاختبارات المختلفة لتعين الأفراد والمنتسبين للمهمات الخاصة.
18. التدريب على استخدام الحواس الخمسة وما فوقها (الإدراك فوق الحسي).
19. تهيئة البرامج الخاصة بالتوعية والإرشاد والتكيف لاستقبال حياة مدنية طبيعية بعد انتهاء الخدمة في الجهاز الأمني.

التصنيف المهني:

إن الكثير من الخدمات والأعمال الفنية يتطلب توفر مجموعات معيّنة من القدرات لدى الأفراد الذين ينبغي أن يقوموا بها، ونطلق على هذه العملية بما يسمى عملية الانتقاء المهني Vocational-Selection، وهي عملية تلعب دوراً أساسياً في توفير الأفراد اللازمين، وبالإضافة إلى ذلك هناك التصنيف المهني الذي تسبقه عملية مهمة في غاية الأهمية هي عملية تحليل الأعمال والخدمات Jobe analysis بقصد معرفة عناصر تأديتها على الوجه الأكمل ثم معرفة مكونات النشاط الإنساني اللازمة لذلك، والمفروض أن يقوم بهذه العملية التحليلية أخصائيون في هذا العمل وبالتعاون مع الأخصائيين النفسيين.

أسس التصنيف المهني:

1. تجميع المعلومات عن الأعمال، وذلك من خلال تحليل الأعمال المختلفة ومعرفة المسؤولين عن طبيعة هذه الأعمال، وينتهي التجميع عادة بتصنيع الأعمال ذاتها في فئات متمايزة.
2. جمع المعلومات عن الأشخاص الذين سيقوم بينهم الانتقاء والتوجيه، ويقصد بذلك جمع المعلومات عن شخصياتهم وتاريخهم والماضي عن طريق استفتاءات الشخصية والمقابلات وتتناول هذه الاستفتاءات والمقابلات نواحي الشخصية الآتية:

أ. التقارير الخاصة بالتحصيل الدراسي
ب. معلومات طبية عن الحالة الصحية والنفسية
ج. الوضع الاجتماعي للأسرة
د. الهوايات والاهتمامات
هـ. تقديرات بدنية لصفات الشخصية وحالتها المزاجية
و. اقتراحات خاصة بنوع العمل الذي يمكن أن يؤديه.

المصادر:

- بوليز، ادموند وكورديليا كيلي، كيف نتعامل مع الناس، ترجمة محمد عثمان وأبو الفتوح رضوان، مصر، دار الهلال.
- بسكوازي، التوجيه المهني في الجيش البلجيكي، ترجمة مولود قاسم، الكتاب السنوي في علم النفس، المجلد الأول، دار المعارف.
- زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، ط3، القاهرة، عالم الكتب، 1974
  العقيدي، سعاد ابراهيم، التدريب وأهميته في تنمية قدرات الفرد، بحث غير منشور 1986.
- مرسي، سيد عبد الحميد، الارشاد النفسي والتوجيه التربوي والمهني، القاهرة 1975.
- شان يسي، شارل، علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة محمد ياسر الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.
- الزبيدي، كامل علوان، علم النفس في الميدان العسكري، الدار العربية للموسوعات،

بيروت، ط1، 1988.

- كردينيه، جان، أفضل توزيع للمجندين على وظائف الجيش المختلفة، ترجمة محمد عزت حجازي، الكتاب السنوي في علم النفس، المجلد الأول، دار المعارف.

الفصل الثانيالتدريب وفق أسس نفسية
في مجال العمل الأمني

المقدمة

إن للتدريب دوراً كبيراً ومهماً في الحياة والعلاقة بين الفرد والعمل الذي يؤديه، وله تأثير متبادل يحتاج إلى تنشيط وتجديد، وأن ترك العمل به يترتب عليه تقادم المعلومات للفرد وعدم صلاحيتها وتجميد خبراته ومهاراته عند حدّ معين، وربما يؤدي بمرور الزمن أو الوقت إلى تقلصها وانكماشها وعدم قدرتها على استيعاب التطورات العلمية والتقنية، لذا فإنه يتطلب من الفرد أن يضيف ويحدّث في معلوماته ويطوّر مهاراته وهنا يبرز دور التدريب.

يؤدي التدريب إلى تحقيق فائدة اكبر للمجتمع نتيجة تهيئة الأفراد لأعمال جديدة، وصقل مهاراتهم وتعميق أفكارهم وتنمية دوافعهم ومن ثم زيادة التنافس بينهم لبناء وتنمية المجتمع.

إن التدريب يعتبر نشاطاً مهماً في عمل أية مؤسسة، ولكي يحقق التدريب أغراضه لا بد أن يسير وفقاً لخطوات علمية مدروسة. لذا فإن عملية التخطيط للتدريب تعتبر من المهام الصعبة، وذلك لأن العديد من المتغيّرات الفنية والإنسانية يتطلب تعديلها أو تغييرها.

يتوقف نجاح عملية التدريب وفاعليته على إتباع أسلوب سليم وفق خطوات منطقية وتطبيقية لمبادئ التعلّم والتي تعتمد على الآتي:

1. استعداد المدرب للتدريب.
2. التهيئة الذهنية للمتدربين وكسب تعاونهم.
3. عرض البيانات والمعلومات واستخدام وسائل الإيضاح.
4. قياس تحصيل المتدربين وتصحيح أخطائهم.
5. تقويم عملية التدريب.

لذلك فإن التدريب الذي يصمم لتحقيق التعلّم يعتمد على ثلاثة عوامل هي:

أ. الممارسة.
ب. الإندفاع.
ج. الفهم.

فالفرد ينبغي أن يعرف كيف يعمل ما ينبغي عليه عمله، وأن يفهم الأسباب التي تدفعه للقيام بذلك العمل، وعندما يتعلّم المقاتل أو العامل في أجهزة الأمن أو المخابرات فقط من خلال الفهم، يصبح قادراً على تطبيق حكمته للمواقف الجديدة التي تخلق وقت الظروف غير الاعتيادية.

لا يستطيع الفرد أن يتعلّم ما لم تكن لديه اندفاع، أي رغبة في التعلّم، لديه في التعلّم. وفي هذه الحالة يرتبط التعلّم بالروح العالية، وعندما يرغب الفرد في عمل ما سوف يقوم بعمله، وعندما تكون لديه

متعة في عمله ومعنويات جيدة، عندها يكون جاهزا لتعلم كيف يقوم بعمل ما يراد منه.

إذن يجب أن يكون للفرد دوافع للتعلّم. وعندما تكون لديه رغبة في التعلّم فإن النجاح فيه يكون مكافأة ملائمة تجعل التعلّم سريعاً ومستمراً. وإلى جانب الإندفاع والفهم فإن هناك حاجة للممارسة أيضاً، حيث أن معظم الأعمال التي تحتاج إلى مهارة سواء أكانت المهارة، تحديد مدى الهدف أو التشغيل الميكانيكي للأجهزة، فهي ليست ميكانيكية في بداية فهمها في الوهلة الأولى، لأن أي فعل مهما كان يسيراً فإنه يتكون من ارتباطات متعددة، لذلك يستلزم أن يعاد مرة بعد مرة حتى تشكل جميع الارتباطات. وهذا هو السبب الذي يجعل الإعادة مهمة لأية محاولة تعلّم يراد لها الرسوخ، حيث كل محاولة تشكل الارتباطات الضرورية وصولاً إلى الكمال. وعندما يصل الارتباط إلى الكمال في التعلّم من خلال تكرار الإعادة، فإن التعلّم لا يزال غير تام لأنه غالباً ما يحدث النسيان حال إنهاء الإعادة، فالتعلّم. وللمحافظة في الوصول إلى التعلّم التام والمحافظة عليه من النسيان فلا بد من الإعادة من وقت لآخر. وهذا السبب الذي يدعونا إلى إعادة التدريب بين فترة وأخرى.

أ - الممارسة:

ما هو معروف أن يتعلّم الفرد بالممارسة، وأن الممارسة الكامنة والمناسبة تجعل التعلّم متكاملا. والممارسة تعني الإعادة فمن خبراتنا في المدرسة الابتدائية مثلاً، أننا قد تعلّمنا جدول الضرب من خلال الإعادة المتكررة مرة بعد مرة، حتى عرفناه. والبنادق ترتفع سوية إلى الأكتاف في الاستعراضات العسكرية نتيجة التدريب والممارسة، فالممارسة هي تدريب، لهذه الأسباب كلها يتدرب المقاتلون، ويكررون نفس الحركة عدة مرات حتى تتشكل العادة وتترسّخ، فالمتدربون يمارسون إجراءاتهم المتخصصة، وكل ذلك يتم بالممارسة حيث تستطيع كل حركة تتبّع الحركة الجسمية الأخرى بشكل آلي.. أوتوماتيكي " وتفكير قليل أو حتى بدون تفكير (مثل القفز والهبوط بالمظلات، حفر المواضع، استخدام المسدس...) وعملية الضبط والتنفيذ هي بمجملها عملية ممارسة لتشكيل عادات معيّنة أو ردود أفعال معيّنة محددة تظهر دون بذل جهد أو تفكير، وفي وقتها المناسب، كأداء التحية مثلاً، وعلى الرغم من أن التكرار ليس أساسياً في التعلّم - إذ بالإمكان تعلّم الانبطاح على الأرض عند سماع انفجار قريب - فإن الممارسة هي الطريقة الاعتيادية التي بواسطتها يكون التعلّم تاما. ومن الواضح انه إذا لم يكن بالمستطاع التعلّم من المرة الأولى، فإن من الواجب التعلّم بالممارسة. فليس هناك ما يجب عمله

إلا اعاده ثانية وثالثة وهكذا، حتى يتم تعلم الطفل ولهذا السبب فإن القدرة على التعلّم غالباً ما تقاس بعدد الإعدادات التي يحتاجها الفرد ليتعلّم شيئاً ما تماما. أو ليكون التعلّم من الجودة بما يتناسب والهدف من تعلّم ذلك الشيء.

من الناحية العملية فإن التعلّم يتم من خلال تكوين ارتباطات جديدة خاصة في الجهاز العصبي للإنسان. منها ارتباطات بين تنبيه معيّن واستجابة معيّنة له تظهر كلما يقدم التنبيه المرتبط بتلك العادة. فالتدريب على إصابة الهدف بواسطة الممارسة المتكررة تحدث ارتباطاً بين ظهور أي هدف على سبيل المثال والتصويب إليه. إن هذا اليسير وبهذا الشكل لأغراض الفهم، فعلى الرغم من أن المبدأ هو كذلك، إلا أن الارتباطات المتكونة بطبيعة الحال تكون أكثر تعقيدا.

فلتعلّم أي فعل أو مجموعة من الأفكار فإن هناك حاجة لارتباطات متعددة، وتحدث مثل هذه الارتباطات عادة عندما تكون الإندفاع" الرغبة" قوية وأن الارتباطات غير المتعددة أو التفصيلية تتكون من مرة واحدة. غير أن أي فعل عادة لا يتم تعلّمه تماماً هذا وللنجاح والفشل أثر في التعلّم كأثر الإثابة والعقاب. فالنجاح يزيد الرضا لدى المتعلّم، والذي بدوره يؤثر في تثبت ما يراد تعلّمه في الذاكرة وعندما تتبلور أفكار لدى المتعلّم وهذه الأشياء تؤدي إلى النجاح، بالتالي تكوّن رغبة في تعلّمها. وفي التعلّم هناك مبدأ مهم. إن ليس هناك ما هو ناجح، كالنجاح. فالنجاح يعني أن الفرد على صواب وان ذلك يعني أن هناك احتمالا أكثر في أن يكون على صواب في وقت آخر أو في حالات تعلّم أخرى. من جهة ثانية فإن الفشل يؤدي إلى إزالة الدافع إلى التعلّم ويكون أساسا في الاعتقاد بصعوبة تعلّم ما هو قادم قبل أن ينجح الفرد في عمل آخر. وبما أن النجاح والفشل يرتبطان بهذه الصورة بالتعلّم فإن من المهم للمتعلّم معرفة متى يفشل؟ ومتى ينجح؟ ومن المهم إذن إخباره بتقدمه وأدائه.

ب - الإندفاع:

تشير المؤشرات إلى أن ما من أحد يمكنه أن يتعلّم دون أن تكون له رغبة في التعلّم، وهناك مثل معروف مفاده، أنك تستطيع أن تأخذ الحصان إلى النهر ولكنك لا تستطيع أن تجبره على شرب الماء. فالفرد عندما يعيد كلمات دون تفكير أو أنه كرّرها لغرض التكرار فقط فإنه سوف لن يتعلّمها. وبنفس الطريقة إذا تعرّف شخص بشخص آخر ولا يتوقع أن يراه ثانية وليس هناك سبب يدعوه لحفظ اسمه أو لتذكره، فإنه بعد دقائق قليلة من اللقاء سوف لن يتذكر اسمه على أكثر الاحتمالات. وكل منا قد مر بخبر أثناء قراءة صفحة من كتاب أو كلمات منها وفكره مشغول في شيء آخر، فإنه ينتبه إلى نفسه وقد أكمل

الصفحة دون ان يعرف ما الذي قراه، وعليه فإن الانتباه والاهتمام او الرغبة هي من أساسيات التعليم وان من المشكوك فيه أن الإعادة وحدها كافية للتعلّم.

وبما أن التعلّم يمكن أن يحدث بعد ظهور حدث أو التعرّض لحدث مرة واحدة، إلا أن الإندفاع والاهتمام مهمان للتعلّم كالممارسة.

إن من السهل تعلّم الأشياء الممتعة أو التي نهتم بها مقارنة بتلك التي لا نهتم بها. لأن ما نهتم به هو ما يحدث انتباهنا وما يجذب انتباهنا نهتم به مقارنة بتلك التي لا نهتم بها. وعندما يكون هناك فعل معيّن أو مادة معيّنة يراد تعلّمها، وهي غير مهمة لمن يراد تعلّمها، فإن من الصعوبة ضمان أي نوع من أنواع الانتباه، وبالتالي عدم ضمان أي نوع من التعلّم ويمكن ضمان الاهتمام ومن ثم الانتباه من خلال خلق دافعية لدى المتعلّم. إذ أن الدوافع الأولية تأتي من الإثابة والعقاب، ويتبع هذا في تعلّم الأفراد في المؤسسات التربوية المتنوعة عن طريق الإثابة والعقاب، وعلى الرغم من أن التعلّم عن طريق العقاب ممكن، إلا أن التعلّم عن طريق الإثابة أفضل. فالإثابة تجعل المتعلّم يحب ما يتعلّمه وهذا يقود إلى اهتمامه بما يتعلّمه وزيادة رغبته. أما العقاب فإنه يجعله لا يرغب في المهمة المراد تعلّمها إنما يؤديها رغبته في تجنب الأذى. ولهذا السبب فإن الإثابة والاستحسان أكثر إندفاع في ضمان التعلّم بدافع العقوبة.

الأفعال الجسمية والعقلية ينبغي أعادتها مرة بعد مرة، أي يجب أن تمارس قبل أن يكون بإمكان الفرد إداءها بدون أخطاء في مختلف الظروف المشتتة أو ظروف الانفعالات التي ترافق أداء مثل هذه المهارات خاصة في المواقف المتنوعة.

فالممارسة والإندفاع والفهم هي الأسس المهمة لتعلّم كل الأفعال العقلية والآلية في النشاط الخاص والعام من الأداء في التعلّم. من أجل أن تضمن تزايداً في إندفاع الفرد حين تخبره بأنه على صواب أو أن تصحح أخطائه في نفس الوقت الذي يقع فيها. ومن المفضل في حالة كهذه، أن تضمن في أول خطوة أو محاولة تعليمية، نجاحاً للمتعلّم ليساعده في خلق الإندفاع التي تساعد كثيراً على التعلّم اللاحق. ومما يساعد على تصاعد الإندفاع وبالتالي ضمان التعلّم هو أن يشترك المتعلّم في عملية التعلّم كي يكون النشاط التعليمي ضمن حيازته شخصياً ولهذا السبب يوصي من يعلّم مهارة أن يربط الممارسة بالمحاضرة، فقد يتعلّم المتعلّم الأفكار المتعلقة بالواجب أو بمناورة ما على السبورة أو على طاولة ولكنه يحتاج إلى ممارسة حقيقية لكي يثبت التعلّم، وقد يرى متدرب يمر على الكتيّب الخاص بالمهارة أو النشاط عدة مرات لكنه لا يتعلّم الواجب أو استخدام السلاح ما لم يتم ممارسة عملية في ذلك وعدة مرات. لذا فإن من

المهم فهم كيفية عمل الأشياء او كيف تعمل. فالأعمال المعقّدة ينبغي أن تكون لها ارتباطاتها العاملة في الجهاز العصبي، كما أن الأعمال العقلية مثل: معرفة المدى للرمي ينبغي أن تمارس. إذن فالمحاضرة في كيفية تقدير المدى مهمة في التدريب ولكنها غير كافية وغير مفيدة ما لم يتم تثبيتها من خلال الممارسة الحقيقية، ولهذا فإن الجنود لا يعدون مهيئين كمقاتلين ما لم يمروا بمعركة وكذلك مع العاملين في كل الأجهزة المدنية منها أو الأمنية أو العسكرية.

إن من الواضح، أن الإندفاع إلى التعلّم بالنسبة لأي نشاط، تكون مجندة لتحقيق النجاح. فعندما يشعر المتعلّم أو القائم بالفعل أنه حر وغير مكره أو مجبر على التعلّم وعندما يبدو له أن جهده ينبثق من داخله يقسر عليه من الخارج. إن هذا المبدأ مهم في أي عملية تعلّم. والسؤال الذي يثار هنا، هل الاعتماد على مبدأ كهذا يتعارض مع الضبط العام والخاص؟ والجواب ليس بالضرورة أنه سيتعارض، لأن هدف المدرب هو أن يكون له دور مساعدة المتعلّم على النجاح دون التأثير في مسائل الضبط الأساسية. وظل تأثير الإندفاع في التعلّم والأداء موضوعاً رئيسياً ومثيراً للاهتمام لدى علماء النفس حيث برز أكثر من سؤال أمامهم، فهل زيادة الدافع يؤدي إلى زيادة الاستجابات الملائمة لهذا الدافع؟ وهل زيادة الدافع تسهّل تعلّم استجابة جديدة من أجل الحصول على الإثابة؟ أي هل يتعلّم المتدرب الذي يكون لدية دافع أكثر مما يتعلّمه متدرب آخر لا يكون لديه دافع؟

لقد أظهرت الدراسات والاستجابات أن هذه العلاقة أكيدة ومثبتة لعدد من الدوافع حيث أن أداء الاستجابة يتوقف على شدة الدافع، فالإندفاع من شأنها أن تسهّل الأداء والتعلّم، غير أن تحديد النقطة التي يبدأ عندها الدافع يتدخل في التعلّم والأداء أو يعرقلهما، فهي مسألة تتوقف على طبيعة الفعل نفسه من حيث سهولته أو صعوبته، حيث يشير قانون يوركيس دودسن إلى تناقص المستوى الأمثل للدافع إلى التعلّم بازدياد مستوى صعوبة العمل. على أن لا ننسى جانب الإثابة وتأثيره المباشر على الإندفاع حيث أن لقيمة الإثابة أو مكانتها تأثيرا مباشرا على مدى اهتمام الشخص بالعمل من أجل الحصول عليها.

وخلاصة القول، فإن الإندفاع هي واحد من العوامل التي تحدد كيفية سلوك المقاتل ومع أن العلاقة معقدة بين الإندفاع والسلوك إلا أن من الممكن فهم السلوك بعد معرفتنا بمستوى الإندفاع.

ج - الفهم:

يأتي الفهم للعلاقات التي ينبغي أن يتم تعلّمها بعد الرغبة أو

الإندفاع من حيث الأهمية وذلك لأن الفهم يعزز الرغبة، على الرغم من أن الرغبة في التعلّم يمكن أن تكون موجودة بغض النظر عن الفهم. وبما أن الفهم مهم للتعلّم فإن التعلّم الجيد يحتاج إلى تعليم شفوي وممارسة حقيقية، أي هناك محاضرة لها حاجة وشيء مطبوع وشرح، لجعل ما يراد تعلّمه مفهوماً. ثم هناك حاجة بعد ذلك إلى تطبيق عملي حقيقي. أي ممارسة لإتمام الفهم وتثبيته لدى المتعلّم أي أن المرحلة الأخيرة من عملية الفهم تأتي من خلال الممارسة الحقيقية. فلتعلّم السباحة ينبغي أن يخيّر المتعلّم ما الذي ينبغي عمله ومن ثم يجب الممارسة الفعلية للسباحة/حتى يتم الفهم التام لما اخبر به المتعلّم قبل الممارسة. ومثل ذلك تعلّم قيادة السيارة، فهناك القليل مما يمكن تعلّمه عن القواعد بمجرد المحاضرة والتعريف بكيفية قيادة السيارة أو أي مركبة أخرى، ما لم تتم ممارسة القيادة بالفعل وكذلك بالنسبة لأي تقنية أخرى" كالتدريب على السلاح" وإعادة تركيبه، فلكي يتم الفهم ينبغي أن تشرح الأجزاء وتوضح على السبورة مثلاً ومن ثم تمارس العملية بصورة كفوءه.

إن الفهم في بعض الأحيان يأتي متدرجاً وبطيئاً ويزداد الفهم بتقدم الشيء المراد تعلّمه وحسب سياقات مختلفة ومتعدده منها الابتداء من السهل إلى الصعب ومن الجزء إلى الكل أو أخذ الكل أولاً، ثم الوصول إلى الأجزاء المكونة له. لكنه في بعض الأحيان يأتي بومضة سريعة من البصر مثله مثل تعلّم الطفل في أن لا تمسك شعلة الشمعة الملتهبة.

التعلّم الكفء أو الفاعل:

إن التعلّم والتعليم يسيران سوية، فالفرد يمكن له أن يعلم بدون معلّم فيما لا يمكن لمعلم أن يعلم دون متعلّم. فالتعلّم أكثر أهمية، والتعليم يتطلب خلق ظروف للتعلّم وتوفير المعلومات والوسائل وتنظيم الظروف التي فيها يكون المتعلّم قادراً على الحصول على الرغبة والإندفاع الضرورية لنجاحه.

وفيما يلي قواعد أساسية للتعلّم الكفوء أو الفاعل:

أ - كن قادراً وجديراً:

إن الحقيقة هو أن كل شخص يمكن أن يقوم ببعض الأشياء أفضل من الآخرين، والكفاءه في التعلّم تتم باختبار القدرة التي تعتمد في جزء منها على الجانب الاستعدادي (الفطري) وفي جزء منها على التعلّم السابق، إن اختيار الفرد للتدريب على أي مهارة أو مهمة ما قبل أن يتم التدريب، ولكن هل للمتدرب دور في أن يختار ما يشاء في جميع الأحوال؟ الجواب لا، ولكن يمكن له أن يسهم في ذلك من خلال توضيح فيما إذا كان يمتلك القيادة أولاً، إن معرفته بذلك سوف تساعده

على النجاح الذي سيساعده في جعله قادرا.

ب - كن راغباً:

إن ذلك يبدو أمراً صعباً. فهل يستطيع الشخص أن يقرر انه يكون راغباً فيما سيقوم به في التدريب أو يرغب في شيء لم يكن قد تبرع في عمله أو تطوع للقيام به. على الرغم من صعوبة أمر كهذا، فإن هناك بعض الطرق التي يستطيع الفرد من خلالها زيادة رغبته وهي:

. أن يترك المجال للشخص ليختار رغبته ضمن حدود ما مكلف به فإذا كان على الشخص يتدرب على عمل ما واجتاز العمل بنجاح، فإنه لا بأس في أن يسأل عن رغبته في التدريب على نشاط مقارب فيه.

ثانياً. ربط التعلّم بالنجاح والفشل: يعدّ النجاح بحد ذاته إثابة أو تشجيع أما الفشل فهو عقاب. فالشخص يمكن أن يشجع نفسه بنجاحه، وعلى المدرب إلا أن يجعل المتدرب يتذكر ذلك، وأنه ليس من الصعب التذكير بذلك وعدم جعل الترقية مثلاً أمراً عادياً، بل تكون مكافأة لنجاحه في عمله.

ثالثاً. التنافس: وهو إثارة في نفس الشخص المنافسة، إذ من الممكن أن يتم إيجاد شخص ضمن المجموعة المتدربة ممن يتنافس معه ويحاول الوصول إلى مستواه، وإذا كانت قدرات الشخص متدنية فعليه اختيار من هو في مستواه ويمكن منافسته أو يكون التنافس مع الشخص نفسه من خلال خلق المنافسة مع الذات لمقارنة أداء حالي بأداء لاحق، ومحاولة التفوق.

رابعاً. العمل مع الآخرين كلما كان ذلك ممكناً: إنه من السهل للشخص أن يكون راغباً وفعّالاً في العمل، بشرط أن يكون العمل أو التدريب تعاونياً بدلاً من أن يعمل فردياً، وحتى وان عمل كل شخص لوحده في جزء عمل يتقاسم أجزاءه عدد من الأشخاص حيث يساعده العمل التعاوني (في مجموعة) على خلق الرغبة في العمل لدى الأفراد المختلفين.

ج - اعرف قواعد التعلّم:

أي أن يعرف المتدرب أو المتعلّم بعض القواعد المهمة في التعلّم سواء، أكان ذلك التعلّم تدريباً من خلال القراءة، ويمكن تلخيص ذلك بالنقاط الآتية:

أولاً. أن يكون المتعلّم منتبهاً للمهمة التي يقوم بإنجازها، فعلى الرغم من أن يكون الانتباه لديه عادة من خلال وضع نفسه في وضع انتباهي حتى وإن كان ذلك قسراً في البداية، أي عند بدء قيامه بأداء أي مهمة وخلال أدائه لها.

ثانياً. الابتعاد عن المشتتات، إذ أن من المهم أن يكون التدريب أو

القراءة في مكان منعزل، ولصعوبة تحقيق ذلك، فإن من الأفضل تعوّد الشخص أن لا يشتت انتباهه أي عارض وذلك من خلال تكوين عادة القراءة أو التدريب بوجود الضوضاء.

ثالثاً. أن لا يكون المتدرب أو المتعلّم متوتراً وقلقاً خلال التدريب على اكتساب المهارات الميكانيكية، بل أن يعطي الوقت الذي يحتاجه والأسلوب الذي يريده من خلال العمليات الأولى للتدريب على الأقل.

رابعاً. أن يعرف المتدرب مدى تقدمه، وأن يتعرف على أخطائه ليتلافاها أولاً بأول كلما كان ذلك ممكناً، إذ أن ذلك يساعد في عدم تعلّم الأشياء خطأ، بل يجعل العمل صحيحاً مما يزيد من اندفاع المتدرب.

وهذا يعني أن يحاول المدرب تجنب المتدربين الأخطاء والحركات غير الضرورية في بداية التدريب، لأن ذلك يخلق الثقة بالنفس ويزيد الإندفاع والاهتمام.

د - أفهم ما يراد تعلّمه:

أن يفهم المتدرب لماذا يتدرب على شيء ما أو لا كيف تعمل هذه الآلة أو الجهاز أو السلاح؟ وما هو أثر كل جزء في العمل؟ ولماذا يقوم المتدرب بعمليات متعددة.

هـ - تعلّم الكل أولاً:

أن يتم تعلّم أولاً الشيء كلياً قبل تعلّم الأجزاء، فتعلّم الكل يعطي معنى وفهماً لما يراد تعلّمه أو التدريب عليه، ففي حالة التعلّم من خلال قراءة كتاب، فإنه ينبغي أولاً أخذ صورة كلية وسريعة عن الكتاب بمعرفة فصوله والعناوين الفرعية، قبل البدء بقراءته تفصيليا.

و - الممارسة:

كل شيء يتم تعلّمه أو التدريب عليه نظرياً أو عملياً، ينبغي ممارسته أو أعاده ممارسته بشكل عملي ولمرات عديدة، ولا تترك الممارسة أبداً وإنما تعاود لترسخ، وأن يتم التذكير بفائدة ذلك وهدفه لتبقى الرغبة، ولكي لا يقود التكرار إلى الملل.

تعلّم حل المشكلات:

عندما تكون هناك مشكلة ما ويراد حلها، وتعرف الطريقة الصحيحة لحلها، فلا تعدّ تلك مشكلة. فالشخص عندها قد عرف الطريقة وطبّقها وحصل على الجواب الصحيح أو حل المشكلة. أما إذا لم تكن الطريقة لحل المشكلة معروفة فإن هناك حقيقة. إن المشكلات يواجهها عامة الناس مع خصوصية بعضها، وأن حل المشكلات يتم من خلال المعرفة والتبصر وهو التوصل إلى ما هو نافع ومفيد لحل المشكلة، إنه لمن الصعب تقديم نصيحة أحياناً ليكون المتعلّم الجديد حكيماً ولامعاً، ولكي

يكون ايضا بعد ذلك مهيئا لحل مشكلاته اي يكون متبصرا. إن من المألوف في الحياة العامة أن يحل الشخص مشكلة ما يجابهها، بالمحاولة والخطأ قد تحتاج وقتا كثيراً. لذلك فليس من الممكن الاعتماد على أسلوب المحاولة والخطأ في المواقف التي تتطلب استجابات سريعة. والنصيحة المهمة في هكذا مواقف أن يزيد الفرد من كفاءته في حل المشكلات من خلال تدريبه على استخدام معلوماته السابقة، وأن يعرف كيف ينتقي المعلومات ذات العلاقة في الوقت المناسب فالشخص الذي واجه مشكلة عليه أولاً أن ينظر إلى المشكلة نظرة عامة، فيفهمها، ويراها بوضوح، ثم يصوغها بشكل مريح مستخدما أسلوبه وعباراته، ومن ثم يذكر أو يستذكر الطرائق التي تبدو أنها قابلة للتطبيق بالنسبة للمشكلة ذاتها ثم يتفحصها ليرى أكثرها مناسبة، إن كل ذلك يحدث كعملية محاولة وخطأ عقلية ووزن الحل المناسب عقلياً، وأي حل أكثر كفاءة عند تطبيقه لمعرفة الصواب والخطأ من حيث اختزال الوقت واحتمالات الخسارة. كما أن هناك أمور تحتاج أن ترى مدى مناسبتها من خلال التطبيق العلمي.

من هنا تستدعي الحاجة أن يدرب الأفراد على مهارة حل المشكلات وليس على حل مشكلة معيّنة بذاتها. لأن الإنسان يتعرض لعدد هائل من المشكلات وهي غير متشابهة، وحتى المشكلات المتشابهة تصبح غير متشابهة نتيجة لظروف حدوثها، وما يحيط بها من ظروف، إذ علينا أن نزود الأفراد بكل المعلومات الضرورية، ثم تدريبهم كيف يستحضرون تلك المعلومات حيث يجابهون بمشكلة. ومن ثم ينتقون من هذه المعلومات الأكثر من خلال عملية التبصر، قد يستحدثون معلومات جديدة من المعلومات السابقة، ثم يتدربون على كيفية وزن الطرائق عقلياً واختيار الأنسب منها. إن عملية التدريب هذه تجعل الفرد ينجز كل هذه الخطوات في ثوان.

ج. العمليات الحركية النمذجة:وهي العمليات التي تعني ترجمة هذا التمثيل إلى سلوك صريح، حيث لا بد من امتلاك مهارات حركية معيّنة كي تحدث النمذجة بصورة لا سيما المهارات المعقدة.

و. العمليات الإندفاع:وهي تلك العمليات التي تعنى تدعيم السلوك بالمحفزات فإن النمذجة تترجم إلى فعل وأداء بسرعة وقد يؤدي نفس الشيء توقع الإثابة.

وفي العمليات الإندفاع، غالباً ما ينمذج الإنسان الشخص الذي يرى فيه أنه يشبهه، وكلما كان التشابه كبيراً، كانت احتمالات النمذجة عاليا.

التعلّم بالنمذجة أو الملاحظة:

يقصد بالنمذجة أن الإنسان يصوغ سلوكه على أساس ما يشاهده من نماذج من خلال نشاطه اليومي، ومن مراقبة ما يفعله الآخرون، وما يحدث عندما يفعلون ذلك، وقد يكون النموذج إنساناً في الحياة الواقعية أو ضمن مسرحية أو فيلم يشاهده الفرد وينمزج سلوكه وفقاً له. والتعلّم بالنمذجة يسمح للإنسان أن يتعلّم استجابة جديدة في

موقف اجتماعي بمجرد ملاحظة سلوك الاخرين، وهؤلاء الاخرون يعدون نماذج، وأن اكتساب الاستجابات من خلال مثل هذه الملاحظة يسمى الإقتداء بالنموذج ومما تشير إليه نظرية التعلّم بالنمذجة. إن ما يتم ملاحظته قد لا يظهر في نفس اللحظة بل قد يتأخر ظهوره ليوم أو لأسبوع أو لشهر فهو يختزن في الذاكرة ويستحضر ضمن عمليات التذكر في مواقف تالية. كما لا يشترط أن يتم تعلّم جميع مظاهر السلوك أو جميع الخصائص التي تتعلق بالنماذج، بل قد يتم تعلّم بعض منه، فالمتعلّم بالملاحظة والحالة هذه انتقائية.

إن طبيعة التعلّم بالنمذجة مشروطة بأربع عمليات وهي:

أ. **العمليات الإنتباهية:وهي تلك التي يتحكم فيها الانتباه بالنمذجة، والتي لا يمكن حدوثها دونه إذ لا يكتفي برؤية النموذج وملاحظة ما يفعله، فالشخص يجب أن يصغي وينتبه إلى النموذج بدقة إدراكية كافيه لاكتساب المعلومات الضرورية لاستخدامها في محاكاة النموذج.**

ب. **العمليات التذكرية:وهي العمليات التي تتعلق بالاستبقاء، فإذا لم يكن الشخص قادراً على تذكر السلوك فإنه لن يكون بمقدوره محاكاته أو تقليده.**

ويمكن للشخص ترميز ما رآه والاحتفاظ به على صورة رمزية وهناك، نظامان للتمثيل:

أولاً. التمثيل الرمزي التخيلي: وهو يعني رسم صورة تخيلية في ذهن الشخص المتخيل وكيفية التعرف لهذه الصورة.

ثانياً. التمثيل الرمزي اللفظي: وهو يعني أن يصف الفرد لفظياً ما يفعله النموذج أمامه.

المصادر:

- **نوفاكو، التدريب العسكري للمتطوع مجال لاكساب المهارات الخاصة للتعامل مع الصعاب، ترجمة محمد الحجار، الدفاع العربي 1985.**
- **مليكلة، لويس كامل، سيكولوجية الجماعة والقيادة، القاهرة، 1970.**
- **مرسي، سيد عبد الحميد، الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي والمهني، القاهرة، 1975.**
- **شانديسي، شارل، علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة محمد ياسر الايوبي، المؤسسة العربيـة للدراسات والنشر، 1984.**
- **الزبيـدي، كامل علوان، علم النفس في الميدان العسكري، الدار العربيـة للموسوعات بيـروت، 1988.**
- **العقيدي، سعاد ابراهيم، التدريب وأهميته في تنمية قدرات الفرد، ما بحث غير منشور، 1986.**
- **بوليز، ادموند وكورديليان كيلي، كيف نتعامل مع الناس، ترجمة محمد عثمان وأبو الفتوح رضوان، مصر، دار الهلال.**

الفصل الثالثالحرب النفسية

تاريخ الحرب النفسية:

تاريخ الحرب النفسية:تعتبر الحرب النفسية من موضوعات الساعة في الوقت الحاضر رغم أنها استخدمت منذ أقدم العصور، وقد برزت في كل عصر من هذه العصور أساليب مختلفة للحرب النفسية التي كانت ترتبط أساساً بالمعارك الحربية بصورة أولية، وكانت إحدى العوامل الأساسية في نجاح أو فشل هذه المعارك، ويظهر أن الصينيين أول من أجاد هذا الفن الحربي ثم الهنود وبعدهم العرب، ولعل التطور الكبير الذي أصاب كل مرحلة زمنية أثّر على ابتكار أساليب لهذه الحرب ومن الأساليب التي استخدمها الأقدمون (الفراسة والتخمين والفطنة) وغيرها من القدرات التي لا يتمتع بها إلا قلّة من الناس وهم السحرة والفلاسفة والحكماء، وقد كانت تنتشر الحرب النفسية عن طريق إرسال الجواسيس أو من خلال التجار وغيرهم لغرض جمع المعلومات، ويعتبر الهجاء والشعر والغناء والخطابة وابراز وسائل القوة من الوسائل النفسية التي استخدمت قديما.

ومن الشواهد التاريخية التي تدلل على الذكاء المستخدم في التمويه وخداع العدو ومحاربته نفسياً، ما يروي عن قصة أعرابي وقع أسيراً بيد أعدائه حيث أجبروه على أن يكتب لقائد جيشه خطاباً يوهمه فيه بقلة وتخاذل العدو وينصحه بالتقدم وذلك كي يتمكنوا من القضاء على العرب، فخضع الرجل إلى أمرهم وكتب ما يريدون ولكنه ذيل في نهاية الخطاب العبارة الآتية:

(نصحت فدع ريبك ودع مهلك)

ووصل الخطاب إلى القائد العربي على أنه توجيه من أحد اتباعه المخلصين ولكن القائد قرأ العبارة المكتوبة في نهاية الخطاب بالعكس فكانت (كلهم عدو كبير عد فتحصن).

وبهذا نجا الجيش العربي من مكيدة كادت تقضي عليه. كما أن الكفار قد استخدموا أساليب نفسية بعد وفاة الرسول محمد (ص) وذكروا بأن الإسلام قد انتهى وأخذوا يبثون الشائعات حيث قالوا لو كان محمد نبيا لظل بينكم ولم يمت ولكن أبا بكر الصديق (رض) فطن إلى ذلك فخاطبهم قائلاً: "أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً

قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت واسمعوا قول الله)وَمَا

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن

ٱلشَّٰكِرِينَ ٱللَّهُ وَسَيَجۡزِي شَيۡـٔٗاۗ ٱللَّهَ يَضُرَّ).

وقد قال الرسول محمد (ص) في معركة الخندق (الحرب خدعة) حينما كانت العرب قديماً لا تعرف ذلك، وقد مارس الرسول الكريم (ص) الحرب النفسية في معركة الخندق لإضعاف العدو وبث الخلاف فيما بينهم.

واستخدم معاوية بن أبي سفيان مع علي بن أبي طالب (ع) أسلوباً آخر وهو رفع المصاحف على رؤوس الرماح في معركة صفين.

إن الشواهد التاريخية كثيرة، لذا فإن هذا الفن الحربي موجود منذ وجود الإنسان ولكن شاع أكثر في الغزوات وفي الحروب، وفي الوقت الحاضر برزت أساليب جديدة ومتطورة ومبنية على أسس نفسية واجتماعية بعد دراسات تفصيلية عن الجهات أو الشعوب التي توجه لها الحرب النفسية (الزبيدي، ص 265).

تعريف الحرب النفسية:

يعد (ليبارجر Lirebarger) أول من قدم تعريفاً للحرب النفسية بكونها تستخدم الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية مما تتطلبه الدعاية. وقد ورد في معجم الجيش الأمريكي للحرب النفسية بأنها استخدام مخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها.

ويعرّف جمال السيد الحرب النفسية بأنها الحرب كلها سواء كانت بالقوة المادية أو القوة المعنوية وهدفها هو وضع العدو في حالة نفسية معيّنة هي حالة الهزيمة.

ويعرّف الدباغ الحرب النفسية بأنها الاستغلال المخطط والمنظم للدعاية والإجراءات الأخرى الكفيلة بالتأثير على الأفكار والسلوك ووضع العدو أو المجموعات الصديقة أو المحايدة بشكل يسند تحقيق الأهداف والأماني الوطنية.

ويقول (ميلوش ماركو) أن الحرب النفسية حملة شاملة تستخدم فيها كل الأجهزة والأدوات المتاحة للتأثير في عقول وأفئدة جماعة محدده بقصد تدمير مواقف معيّنة واحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح الطرف الذي يشن هذه الحرب.

أما (صلاح) فيرى أن الحرب النفسية قد تكون دفاعية وهجومية وتقوم بتقوية المقاتلين وتعمل على تحطيم معنويات الأعداء، وهي بعيدة عن عرف وتقاليد الحرب التقليدية ولا تخضع لرقابة القانون، (الزبيدي، ص 217)

ويعرّفها (حامد) بانها بديل للصراع الجسدي واداة من ادوات تنفيذ السياسة الخارجية.

أما (فريد) فيعرّفها بأنها هي شكل من أشكال قيادة الحرب فبواسطة أساليب متعددة منها الدعاية وخلق الرعب والأمور الأخرى، تحاول التأثير على الدول المحايدة والصديقة بهدف إرغامها على اعتناق أفكارها والسير في سياستها.

ويعرّفها (ايزنهاور) فرصة لكي تحصل على نصر دون خسارة في أرواح وكي تفوز في النضال من أجل السلام.

أما السوفييت فيعرّفونها بأنها (كل عمل سياسي ونفسي يهدف إلى تحطيم معنويات العدو، وشل قدراته على القتال، ودفعه للاستسلام والخروج من الحرب).

أما الإنكليز فهم يعرّفون الحرب النفسية بالحرب السياسية التي تستخدم فيها المبادئ النفسية والعقلية والانفعالية ولذلك استخلصوا منها سلب العقول والقلوب.

ومن خلال ما تقدّم يمكن القول بأن هنالك تداخلاً في مفهوم الحرب النفسية ومفاهيم أخرى كحرب الأعصاب وحرب السياسة وحرب الإذاعات والحرب الأيدلوجية والحرب الباردة والدعاية والتسميم السياسي وغير ذلك. وإن الكثير من الممارسات يصعب ادراجها ضمن الحرب النفسية (ربيع، ص 52).

أهداف الحرب النفسية:

1. **التأثير على الروح المعنوية لأية جماعة وتفتيتها من خلال التوجه إلى ميدان الحرب النفسية وهو الشخصية.**
2. **تحطيم قوة العدو في وقت السلم والحرب من خلال إستخدام الخطط والبرامج المنظمة.**
3. **إستخدام أي أسلوب من أساليب الحرب النفسية كلاً أو جزءاً.. سياسة عسكرية اقتصادية... إلخ والتي من شأنها أن تجبر العدو على الاستسلام.**
4. **التأثير في مشاعر وأفكار الآخرين ومحاولة تغيير سلوكهم تجاه موقف أو مواقف معينة.**
5. **العمل على زيادة شقة الخلاف بين العدو وحلفائه في الداخل والخارج.**
6. **إجبار العدو على تغيير خططه وبرامجه الوقتية والدائمة.**
7. **تشجيع ودفع أفراد القوات المسلحة المعادية على الاستسلام من خلال استخدام الأساليب المختلفة مثل النشرات ومكبرات الصوت وغيرها وخاصة في وقت الحرب.**
8. **إذن فإن الهدف الأساسي من الحرب النفسية هي محاولة تغيير سلوك أفراد العدو والميدان الرئيسي للحرب النفسية هو الشخصية، وعلى العموم فإن الحرب النفسية هي حرب باردة، هي حرب أفكار تهدف للحصول على عقول الرجال واذلال إرادتهم، هي حرب ايديولوجية عقائدية، والحرب النفسية هي حرب أعصاب، حرب سياسية، حرب إرهابية هي حرب كلمات واشاعات هي حرب تزلزل العقول وتغيّر السلوك. فالحرب إذن حرب بالسلاح وحرب بدون سلاح والرسول الكريم (ص) يقول (جاهدوا الكفار بأنفسكم وسيوفكم والسنتكم) (الزبيدي، ص 219).**

أسس الحرب النفسية:

1 - تحديد الهدف:

أ. **مما لا شك فيه أن الأمة بأكملها ستكون هدفاً للحرب النفسية بحيث تمتد المعارك لتشمل**

كل الجبهات وبكل ما يمكن استخدامه من اسلحة، ولاجل تحقيق النصر يتحتم على الرجال المبتكرين تجزئة هذا الهدف الرئيسي إلى أهداف تشمل جميع القطاعات وتترجم أفكار هذه القطاعات وتحوّلها إلى نشاط يومي.

ب. من السهولة تحديد هدف العدو في الميدان فهو الرجل الذي يرتدي البدلة العسكرية، ويعمل مع أي قوة معادية لكن بالنسبة للحرب النفسية الأمر يتطلب عقل الإنسان ونفسيته وليس جسده. ولما كان الناس يختلفون في معتقداتهم وسلوكهم وتتحكم في سلوكهم عوامل عديدة، لذا تنشأ عدة مشكلات أمام العاملين في ميدان الحرب النفسية وهذا يتطلب منهم أن يكونوا على مستوى عال من الفطنة والحكمة ونوع من الذكاء الفطري.

2 - تحديد الواسطة:

وهي الوسيلة التي يمكن بواسطتها الوصول إلى مواطني العدو وكسب ثقتهم وبث روح عدم الثقة في العناصر القيادية وتهيئتهم نفسياً لقبول فكرة الاستسلام وتشجيعهم على تنفيذها. وكمثال حي على ذلك ما قامت به القوات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية بإمداد القوات الألمانية بمطبوعات جيدة الطبع والتحرير فهل قدم الأمريكان خدمة بدون مقابل؟

لقد كانت تلك الكتب تحمل في كل سطر منها دعاية للحلفاء واضعاف قدرات العدو وحثه على المقاومة والتأكيد على ضياع الأمل في موقفهم والتشكيك في زعمائهم والوصول بهم إلى الحالة العقلية التي تؤدي إلى التسليم.

3 - توخي الهدف:

قد يكون من السهل في المعارك الحربية قتل الجنود وتدمير الممتلكات وهذا الأسلوب في العمل العسكري تتضح مظاهره وآثاره أمام العيان. لكن الهزيمة الحقيقية بهذا المبدأ لا تتم إلا من خلال التنسيق بين العمل العسكري والعمل النفسي.

4 - الرقابة:

يعمد خبراء الحرب النفسية الدعاية بحيث يوصلون المعلومات إلى العدو وبصورة دقيقة وقريبة إلى أنفسهم.

5 - التعاون:

إن السياسة العامة للحرب النفسية توضع من قبل الحكومة وعلى ضوئها تضع السلطات السياسية خطط الحرب النفسية السوقية والمعززة للمعنويات. أما الخطط النفسية التعبوية فتوضع من قبل السلطة العسكرية.

6 - المرونة:

هي التكيف لمجابهة الأحوال غير المتوقعة أو لاستثمار الفرص.

7 - المباغتة:

تؤمن المباغتة في هذه الناحية سلسلة من العمليات المخادعة

والتضليل وابتكار اساليب ووسائط جديدة وبالاستخدام المتفن السريع لمادة الحرب النفسية.

8 - التعرّض:

لا يمكن كسب الحرب بدون تعرض وهذا ينطبق على العمليات النفسية كافة وعلى غيرها من العمليات في آن واحد، انطلاقاً من هذا المبدأ يصح القول كافة وعلى غيرها بأنه لا يمكن الوصول إلى أية نتيجة حاسمة في الحرب النفسية بدون حركات نفسية إيجابية، ويحتم هذا الأمر على الأخصائي في الحرب النفسية إعطاء الرسائل التي يوجهها نحو الهدف صفة إيجابية كما عليه إدامتها ليتسنى له الحصول على المباداة.

9 - البساطة:

تؤمن البساطة في الحرب النفسية بوضع خطط خالية من التعقيد، تتضمن توجيه رسائل بسيطة وواضحة ومفهومة لجماعات محددة لغرض معيّن.

10 - الاقتصاد بالقوة:

يقصد به استخدام الحدّ الأدنى من الإمكانيات لتحقيق هدف الحرب النفسية.

11 - التحشد:

هو تركيز الإمكانيات المتيسرة إزاء الهدف في النقطة المنتخبة وفي الوقت والمكان المطلوبين للحصول على نتيجة حاسمة.

12 - المعلومات:

تتطلب الحرب النفسية معلومات دقيقة تتضمن تفصيلات أكثر واشمل من تلك المطلوبة لأية حركة عسكرية أخرى، ولأجل نجاح الحرب النفسية يجب أن يعرف القائم بالحرب النفسية شيئاً عن الجماعات المعادية أو الصديقة التي يخاطبها ويعلم شيئاً عن الإجراءات لحكومة العدو وتشكيلاته العسكرية.

13 - كسب الثقة وأدامتها:

إن من أهداف أخصائي الحرب النفسية هو كسب أفراد العدو وذلك بما يطرحه من حقائق عن سير الحرب والأحداث المهمة (الزبيدي، ص 221).

مجالات الحرب النفسية:

تعمل الحرب النفسية في المجالات الآتية:

1. المجال العالمي: وفي هذا المجال يجب أن تتجه الأساليب نحو إقناع الرأي العام أو محاولة خداعه للحصول على التأييد والمساعدات المختلفة.
2. المجال القومي: هو محاولة إلهاء أبناء الأمة الواحدة في معارك جانبية وبث الفرقة

بينهم وافتعال ازمات وصراعات مختلفة كما يحدث اليوم بين اقطار الوطن العربي.

3. المجال القطري: وهو محاولة إلهاء أبناء البلد الواحد من خلال شق وحدة الصف الوطني وتأليب القوميات بعضها على البعض الآخر وإثارة النعرات الطائفية، وافتعال الأزمات السياسية والاقتصادية وغيرها. (الزبيدي، ص 225).

أساليب الحرب النفسية:

لغرض تحقيق أهداف الحرب النفسية هنالك أساليب ووسائل متعددة يمكن استخدامها، ومن هذه الأساليب ما يأتي:

1. الأساليب العسكرية: توجّه الحرب النفسية لشل معنويات العدو وتهبيط عزيمته وهمته على القتال، والقاء الرعب في قلبه، ودفعه إلى الاستسلام. والحرب النفسية التي توجه للقوات المسلحة على أشكال مختلفة.
2. الأساليب الاقتصادية: تحاول الدول جاهدة إضعاف أعدائها اقتصادياً من خلال ضرب الموارد الأساسية والتأثير على موارده الاقتصادية إلى الخصم وتجميد كل إمكانياته الإنتاجية.
3. الأساليب السياسية: على الرغم من أن هذا الأسلوب واسع ويشمل ميادين عديدة منها داخل بلد العدو أو خارجه، إلا أن الغرض الأساسي هو التأثير على العدو وإضعاف معنوياته في داخل بلده وحرمانه من التأييد الخارجي، ومن الأساليب السياسية الخداع والتزوير.
4. الأساليب الدينية: وهذا الأسلوب من الأساليب الخطيرة التي تثير الصراعات والفتن الطائفية والعنصرية ومحاولة تأجيجها. (الكناني، ص 27).

الدعاية

مقدمة:

عُرِفَت الدعاية Propaganda منذ آلاف السنين فقد عرفها الفراعنة في مصر والقياصرة، واعتمد عليها الأباطرة في دعم قوتهم على مر العصور، وكانت الدعاية القديمة تقوم على الحق والواجب ولهذا انتقد القدماء أحد الفراعنة الذي مسح اسم سلفه وكتب اسمه، على الآثار القديمة لتدل عليه. ولا تزال المعابد والهياكل خير دعاية للمدينة القديمة وهي برهان ساطع على عظمتها ومهارة شعوبها.

أما في العصور الوسطى فقد راجت الدعاية في أسواق أوروبا، إذ كانت تلك العصور خير دعاية للإعلان عن التجارة والاتصال بين الشعوب، فكان المداحون دعاة لأراء الشعب وأحاسيسه ومن أوضح الأمثلة على ذلك سوق عكاظ وسوق المربد بالبصرة، وفي الوقت الحاضر تبدّل مفهوم الدعاية تبدلاً واضحاً وأصبحت الدعاية تتضمن الكذب والرياء والغش والخديعة وهي تحاول بقصد وعمد أن تؤثر في النواحي الشخصية الفردية أو الجماعية. وهي كثيراً ما تستخدم وسائل خفية للوصول إلى قصدها الأخير وهو عقول الآخرين واستعملت الدعاية في الشؤون الحربية بشكل كبير.

لذا فإن علم النفس الاجتماعي يرى في الدعاية محاولة للتأثير في اتجاهات الأفراد وآرائهم وأنماط سلوكهم كأن يكون ذلك في الجانب العسكري والمدني، لذا فإن الهدف الأساسي من الدعاية هو قيادة الأفراد والجماعات لاعتناق فكرة أو للقيام بعمل ما. وقد تبدو حرب الدعاية أكثر مباشرة في اتجاهها إلى نفسية الخصم، ولكن ليس في

هذا ما يبرر انفرادها واتسامها وحدها بانها نفسية. فإن استخدمت حرب المعارك العسكرية الأساطيل والطائرات والمدافع لتبلغ عن طريق الخسائر التي تحدثها في العدو، إلى القضاء على أمله في النصر واقناعه بالهزيمة، فإن حرب الدعاية تستخدم كثيراً ما أيضاً من الأدوات والمعدات والوسائل، وحسبنا أن نذكر أنها تجد وسيلتها في كل كلمة منطوقة أو مكتوبة وفي كل صورة مرسومة أو مطبوعة فهي لا تعدو بذلك أكثر (مباشرة) في اتجاهها إلى النفس من أنواع الحرب الأخرى. وإنما هي بالأحرى أكثر انسيابية في وسائلها في تيار الحياة اليومية للناس فلا ينتبهون إليها كانتباههم إلى المدافع والأساطيل، ومن هنا تستطيع أن ترى في الذين توجه إليهم بأمصالها دون أن تنتبه ضحاياها تمام الانتباه إلى هذه الشبكة من العوامل التي تلقى عليهم وتطرفهم فتنتهي بهم قليلاً قليلا إلى تبديل آرائهم، بل وإلى أن (يعتنقوا) من الآراء والاتجاهات ما ترسمه لهم وتفرضه عليهم هذه الشبكة. (الزبيدي، ص 229).

تعريف الدعاية:

لقد عرّفت الدعاية بتعريفات كثيرة منها:

1. عرفت الدعاية في معجم أكسفورد بأنها: ترابط أو وسيلة منتظمة أو حركة مدبّرة ومنسقة بقصد بث أو نشر مبدأ أو ممارسة معينة، فالدعاية وفق هذا المنظور تعنى بث ونشر المبادئ والمعتقدات والممارسات التي تتعلق بهذه الأمور.
2. عرفت الدعاية في معجم ويبستر: هي الوسائل لنشر العقائد والمبادئ والخطب الشفوية والمكتوبة من أجل تصعيد قضية سياسية أو دينية أو عسكرية. (حامد ربيع، ص 84).
3. عرّفها (كوولتر) بأن الدعاية محاولة مدبرة من قبل فرد أو جماعة لتكوين آراء جماعات أخرى أو تغييرها أو السيطرة عليها باستخدام وسائل الاتصال بحيث تتوافق ردود أفعالهم مع رغبات رجل الدعاية.
4. نورمان جول بأول عرّف الدعاية: بأنها نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار أو السلوك أو كليهما معا.
5. وعرّف لاسويل الدعاية: بأنها الاحتيال عن طريق الرموز.
6. ويعرّف لاملي الدعاية: بأنها الاحتيال بطريقة أو بأخرى.
7. أما علماء النفس الاجتماعي فيعرّفون الدعاية: على أنها تتضمن شيئاً خفياً أو خداعاً.

ويمكن إجمال الدعاية بتعريف واضح وهو (فن التأثير النفسي والممارسة العلمية المخططة لغرض الترغيب والتهديد للقبول بعمل ما أو الإذعان لسلوك معيّن).

أهداف الدعاية:

1. المحافظة على الروح المعنوية للجيش والشعب وتوجيه أفكارهم لتقبّل الحرب، وما قد ينتج عنها والفترة التي تمتد إليها.
2. كسب التأييد في الرأي العام في المجال القومي من شرح أبعاد القضية.
3. إحداث الفرقة بين صفوف العدو، وإضعاف قدرته القتالية والتشكيك في قدرته على تحقيق أي نصر معيّن.
4. كسب العدو فكرياً وتقديم المكاسب لأهالي الأراضي المسيطر عليها، وإظهار أن قضية العدو خاسرة وأنه لا جدوى من إطالة الحرب.

مميزات الدعاية:

1. نشر التخاذل وتثبيط المعنويات يعملان على تحطيم الدوافع والبواعث للقتال.
2. تجد الدعاية طريقها في كل كلمة مكتوبة أو منطوقة.
3. لها تكتيك يشبه القتال فهي تهاجم وتدافع، وقد تنسحب من مكان من الجبهة لكي تسدد ضربتها من مكان آخر، وقد توهم بالهجوم من ناحية بينما هي تحشد قواها من ناحية أخرى.

تصنيف الدعاية:

هناك وجهات نظر عدة حول تصنيف الدعاية فمنهم من يصنفها إلى:

1. الدعاية الاستراتيجية: وتوجه ضد قوات العدو والشعوب المعادية والمناطق التي يحتلها العدو بأكملها وهي إضافة إلى الخطط العسكرية الموضوعة تستهدف تحقيق أغراض موضوعية مدروسة في الفترات قد تمتد إلى أسابيع أو أشهر أو سنوات.
2. الدعاية التكنيكية: وهي التي تتعلق بالخطط وتوجه إلى عدد معيّن من المستمعين المحدودي العدد في الغالب، وهي موضوعه تدعيماً لتعليمات حربية محلية.

ومنهم من يصنفها على أساس العلاقة بين نشاط الدعاية والدعاية المضادة التي يقوم بها العدو. وعليه فتنقسم إلى:

1. الدعاية الدفاعية: الاحتفاظ بنوع من النشاط الاجتماعي أو العام متفق عليه ومعمول به ومن هذا القبيل الدعاية السوفييتية لمشروع الخمس سنوات.
2. الدعاية الهجومية: وتستهدف وقف أي نشاط اجتماعي لا يرغب فيه القائم بالدعاية أو التوجيه وتحويله إلى نشاط جديد يرغب فيه وفي تحقيقه أما عن طريق وسائل ثورية في نفس المجتمع أو عن طريق وسائل دولية دبلوماسية أو حربية بين مجتمعات مختلفة.
3. الدعاية الانقسامية: ويقصد بها الدعاية التي تحدث انقساماً في جماعات العدو أو تحدث تصدّعاً في جبهة معيّنة في جيشه.
4. دعاية التركيز: يقصد بها تفنيد جانب من دعاية العدو في موضوع معيّن. (الزبيدي، ص 231، 238).

وهناك تصنيف آخر للدعاية:

1. الدعاية البيضاء: هي الدعاية المكشوفة غير المستورة. وهي عبارة عن النشاط العلني من أجل هدف معيّن كما يكون ذلك في الصحف والإذاعة ووسائل الاتصال بالجماهير.
2. الدعاية السوداء: هي الدعاية المستورة. وتقوم عادة على نشاط المخابرات السرية ولا تكشف الدعاية السوداء مطلقاً عن مصادرها الحقيقية. ولكنها تنمو وتتوالد بطرق سرية وذلك في داخل مناطق العدو أو على مقربة منها ومن وسائلها الصحف السرية والنشرات والمطبوعات السرية وتزييف أغلفة الصحف الوطنية.
3. الدعاية الرمادية: هي الدعاية التي لا تخشى من أن يقف الناس على مصادرها الحقيقية. ولكنها تختفي وراء هدف من الأهداف، أي أن الدعاية التي تأتي عن هذا الطريق دعاية غير مباشرة، والدعاية غير المباشرة أقوى تأثيراً بدون شك من الدعاية المباشرة.

أما بصدد تسمية أنواع الدعايات فإنها صنّفت حسب ميدان تخصصها مثل الدعاية العسكرية والدعاية التجارية والدعاية السياسية والصحية والثقافية... إلخ ويعتبر هذا التصنيف حسب التخصص هو الأفضل عند تصنيف الدعاية وتحليلها (الكناني، ص 32).

وسائل الدعاية:

هناك وسائل عدة يمكن أن تستخدم في مجال الدعاية منها:

1. الوسائل الصوتية: الإذاعة ما تبثه من برامج مختلفة وأناشيد وأغاني وأحاديث... إلخ.
2. الوسائل الصوتية والمرئية: وتشمل الأفلام السينمائية والتلفزيونية.
3. الوسائل المطبوعة: وتشمل الصحف والمجلات والكتب والنشرات.
4. الوسائل المرئية: وتشمل المعارض والمهرجانات والإشارات والأزياء والتماثيل... إلخ.
5. الاجتماعات: وتعقد حسب المناسبات المختلفة.

6. المؤتمرات الصحفية: وما يتخلل هذه المؤتمرات من احاديث، اما في اوقات الحروب فتستخدم كل الوسائل السابقة إضافة إلى الوسائل التي تستخدم في المعارك من:

أ. دبابات الدعاية: وهي دبابات مصممة خصوصاً لإطلاق مكبرات الصوت بدلاً من القذائف.

ب. طائرات الدعاية: وهي خاصة لإلقاء المنشورات على المدن أو على جبهات القتال بدلاً من إلقاء القنابل.

تحليل الدعاية:

إن تحليل الدعاية يبدأ من معرفة الأمور الآتية:

1. معرفة المصدر.
2. معرفة الهدف.
3. معرفة المحتوى.
4. معرفة الوسائل.
5. معرفة المواقف.
6. معرفة الآثار السلوكية.

(الزبيدي، ص 242)

الإشاعة

المقدمة:

تعدّ الشائعات من أسلحة الحرب النفسية الخطرة التي تستخدم في أوقات الحرب والسلم على حدّ سواء كما أنها تستخدم أسلوب التخفي والتنكر.

إن هذا السلاح قديم قدم الإنسان وأهم ما في هذا السلاح هو خطورة الأفراد الذين يستقبلون الشائعات. فهم ليسوا أعداء للثورة بل هم مواطنون صالحون ولكن الشائعات أخذت طريقها إلى عقولهم فانساقوا إليها بحيث أصبحوا أدوات يرددونها دون أن يدركوا الهدف من ورائها.

الإشاعة هي قصة أو خبر تتداوله الألسن من دون أن يعرف مصدره والإشاعة يمكن وصفها كالمرض الذي يسري بين الناس الضعفاء البنية، فالإشاعة تنتشر حيثما تجد النفوس الضعيفة بسرعة عظيمة وخطرها شديد الأثر، فالإشاعة هي عبارة عن خبر أو قصة أو رواية أو نكته أو أغنية أو رسم كاريكاتيري تتناقلها الأفواه دون أن يكون هنالك ربط لمصدرها أو معرفة هذا المصدر.

وعليه فالإشاعة وباء اجتماعي يقصد به الهدم ولما كانت تتضمن موضوعاً معيّناً فإن الاهتمام بها يكون مؤقتاً ومجالاتها متعددة قد تشمل الحرب، الفيضانات، الكوارث، العلاقات السياسية والموضوعات الاقتصادية وأنظمة الحكم والمسؤولين من الحكومة والشركات أو الصحف أو السيدة فلانة أو المسؤول فلان، وليس كل الشائعات من نسج الخيال بل بعضها قد يعتمد على جزء من الحقيقة. وقد تكون الشائعة أحياناً إحدى الرغبات الكامنة والتي تنفث السموم والحقد والكراهية.

تعريف الإشاعة:

ليس من السهل وضع تعريف دقيق لمعنى الإشاعة لأنها تحمل معاني متعددة الأغراض، وهذه التعريفات وإن اختلفت في صيغتها ومصدرها ولكنها تعطي معنى واحد.

يعرّف كل من كولد البورت وليوبوستمان، الإشاعة في كتابهما (سيكولوجية الإشاعة) بأنها اصطلاح يطلق على رأي موضوعي معيّن مطروح كي يؤمن به من يسمعه وهي تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن تتطلب مستوى البرهان أو الدليل.

وعرّفها الدكتور مختار التهامي في كتابة (الرأي العام والحرب النفسية) بأنها الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع أو تعمد المبالغة أو التهويل في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومات كاذبة أو مشوّهة لخبر معظمه صحيح أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة.

وتتضمن الإشاعة مفاهيم عديدة منها:

إن الاشاعة عبارة عن تداول خبر غير معروف مصدره، من فم إلى فم أو أنها قصة أو خبر تتناوله الالسن دون أن يعرف المصدر؟

وقد تكون الاشاعة أيضاً عبارة عن تعبير يطلق على المعلومات أو الأفكار التي تنقلها الرواية الكلامية، تتناقلها الأفواه دون أن تركّز على مصدر موثوق به يؤكد صحتها، وتوجّه في الأساس للتأثير على الأنفعال الذي يعبّر عن تفكير الإنسان وخياله بالشكل الذي قد يصل فيه هذا الإنسان إلى الحدّ الذي قد يرى منها ما ليس موجوداً فيضيف إليها ما يجعلها سريعة السريان والانتشار.

وتنشأ الإشاعة إما من حدث ما لا أساس له من الصحة أو بعبارة أخرى كاذبة جملة وتفصيلاً، أو تعتمد على جزء يسير من خبر له صحة ولكنها تضيف على هذا الجزء أجزاء أخرى لتحقيق غاياتها ومآربها.

وحسبنا أن نزيد في القول هنا أن تأثيرها على نفوس المستمعين وقبولهم إياها يتوقف على مقدار وعيهم ودرجة استعدادهم النفسي، ويخيل لي أن الإشاعة غالباً ما تجد آذاناً صاغية وتسري في الشعب الضعيف الأعصاب كسريان النار في الهشيم، وتنخر بنيانها الداخلي بجبروت أكبر من الدعاية وإن اتسع أفق الاهتمام بالدعاية على الصعيد الزمني سعة لا عهد للإشاعة بها.

الإشاعة تاريخياً:

إذا كان هذا هو تأثير الإشاعة، فلا مناص من أن نتتبع تاريخها، فهناك ما يدل على أن الإشاعة وجدت على البسيطة مع الإنسان، بل أنها عاشت وتبلورت وترعرعت في أحضان كل حضارة وثقافة وعصر وفي كل مكان.

وقد تطور استخدامها مع تطور الزمن اصبحت ذات اثر فعّال لا تقل في أهميتها بشيء عن استخدام السلاح، وقد استخدمت في الحرب العالمية الثانية حيث استخدمها الحلفاء، كما استخدمها الجهاز النازي الهتلري بشكل كبير، وما أن انتهت تلك الحروب، حتى بدأت معظم الدول تفكر في كيفية استخدام هذا السلاح الجديد المؤثر، وقد جلس العسكريون يفكرون بحماس لاستحداث وسيلة تتوجه نحو الإنسان نفسه، تصيبه بالأعماق وتشله عن الحركة وتجعله ألعوبة في مهب الريح، وأخذت الإشاعة تطلق بواسطة الجواسيس وعملاء ماجورين وقد يطلقها الرجعيون في بلد معيّن بهدف خلق أجواء البلبلة والخوف، وكثيراً ما استهدفت الإشاعة في الحروب أجواء متوترة في الجبهة الداخلية للبلد المعني أو خلخلة مؤخرة الجيش وضعضعة معنوياته، وتبقى هذه الشائعة تأخذ مسراها وتفعل فعلها المؤثر إلى أن يرد عليها بواسطة بلاغ رسمي أو توعية محلية حيث يكون هناك جهات متخصصة داخل الجيش أو المخابرات مهمتها فحص الشائعات والرد عليها أو وضع شائعة مضادة تبطل مفعول الشائعة الأولى.

وليس مهماً في أن تكون الشائعة مرتّبة ومحكمة، ولكن في بعض الأحيان قد تطلق على شكل نكتة عابرة، ولكن في الحقيقة تكون ذات يد لترتيب أوضاع في غير صالح التوجه العام، والفكاهة من أخطر الوسائل المؤثرة في الناس لأسباب عديدة، فالنكتة تؤدي الغرض الذي يريده الأعداء بطريقة لطيفة متضمنة طابع التشويق، يرتاح إليها السامع والمتحدث، ولا يعترض عليها السامع لأن القصد منها هو الضحك والتسلية وليس الإساءة، كذلك إنها ترسخ في الأذهان ولا ينساها السامع أو المتحدث بسهولة وبهذا تكون أثارها قوية ومستمرة وتكون أيضاً مصدراً لنكات أخرى.

ومن الواضح أن الإشاعات تنتشر على نطاق واسع أثناء الحرب بسبب حدوث انقلاب كبير في حياة الناس وتغيّر أحوال معيشتهم وكذلك بسبب أن الكثير من الموضوعات المهمة والأمور العسكرية تتطلب الكتمان والسرية. وتخضع الإشاعة عند سريانها إلى ثلاثة قوانين ابتداءاً من مصدرها وحتى نهايتها وهي:

1. قانون التغيير أو التشويه.
2. قانون التضخيم والمبالغة.
3. قانون التنسيق.

تصنيف الإشاعات:

هنالك من يستخدم معيار الوقت في تصنيفه للإشاعات كما يلي:

أ - الإشاعات الزاحفة:

وهي تروّج ويتناقلها الناس همساً وبطريقة سرية ثم يعرفها الجميع وتوجّه ضد رجال الدولة وضد التقدم والتطور. (ويروّج هذه

الإشاعات المتضررون والحاقدون والرجعيون والإقطاعيون من العهود السابقة).

ب - إشاعات العنف:

وهي الإشاعات التي تروّج عن الحروب والكوارث وميزتها أنها تثير العمل الفوري إذ تستند إلى العواطف ثم الذعر ثم الغضب ثم العنف.

ج - الإشاعات الغائصة:

وهي التي تروّج ثم تغوص ثم تظهر مثل تسميم قوات العدو بمياه الشرب أو قساوة العدو مع الأطفال والنساء.

وهناك تصنيف يستند على الدوافع النفسية:

أ - الكراهية أو الحقد:

إن إشاعة الحقد والكراهية تعتبر من أخطر الإشاعات وأشدها فتكاً في الشعب وهي سريعة الانتشار، والهدف منها إرباك الرأي العام وتهيئة حالة من الاضطراب ممزوجة بالكراهية بين صفوف العدو لعرقلة سير إنتاجه الحربي وبنائه المادي وتطوره الاقتصادي، كالإشاعة التي أطلقها الألمان، ومفادها أن بريطانيا رفضت إدخال أبنائها في القتال واكتفت بأبناء المستعمرات بينما يقدم الأمريكان الزهور من شبابهم.

ب - الرغبة أو الأمل:

وهي التي تعتمد على عوامل مغايرة تماماً لإشاعات الخوف والتي يرجو فيها ناشروها أن تكون حقيقية، كالإشاعة التي راجت خلال الأيام الأولى من الحملة على بولندا حول دحر البولنديين الهجوم الألماني.

ج - الخوف:

وترمي إلى إثارة القلق في نفوس السكان كالإشاعة التي بثها الألمان في إنكلترا وأمريكا حول تحطيم الغواصات الألمانية أساطيل الحلفاء وأن إنكلترا استسلمت من جراء الحصار الاقتصادي المفروض عليها.

لذا فإشاعات الخوف من شأنها أن تشيع الذعر وتذيع عدم الثقة في جدوى القدرات العسكرية وهذا بدوره يؤدي إلى اشاعة الروح الانهزامية مثل إشاعات تتضمن هزيمة عسكرية في معركة ما أو اقتراب قوات العدو من الحدود أو احتمال وصوله إلى منطقة ستراتيجية مهمة.

ويمكن تصنيف الإشاعات أيضاً من حيث خصائصها إلى:

أ. **الإشاعات السوداء: وهي إشاعات ذات طابع تشاؤمي حيث تتخذ مسالك تتميز بسرعة في الأنتشار.**
ب. **الإشاعات البيضاء: أقل سرعة في الانتشار وبمقدار ما تعبّر الأولى عن التعقد وتعدد**

الزوايا تكون الثانية اكثر منها بساطة واقل تاثيرا.

كما أن الإشاعات تختلف من حيث طبيعتها:

أ. الإشاعات الفردية: تتناول فرداً معيّناً أو أسرة معيّنة أو مصنعاً معيّناً أو إحدى القرى وما إلى ذلك من المواضيع ذات الطابع الفردي.

ب. الإشاعات الجماعية: هي التي تخص فئة من فئات المجتمع أو طبقة ما سواء كانت هذه الفئة ذات طابع مهني أو اقتصادي أو سياسي أو ديني كتلك الإشاعات التي تتناول فئة مهنية كالأطباء أو المهندسين أو العمال أو تبحث في أمور طبقة اجتماعية كطبقة الكادحين أو غيرها.

ج. الإشاعات الإجتماعية: تتناول زاوية واحدة تتعلق باقتصاديات هذا البلد أو نظامه السياسي أو الاجتماعي.

وتصنف الإشاعات بحسب المكان إلى:

أ. الإشاعات المحلية: والتي تنتشر وتختفي في محيط الإطار المحلي الذي أطلقت فيه.

ب. الإشاعات القومية: وهي الإشاعات التي تنتشر في الإطار القومي فهي قضايا تخص الوطن بشكل عام أو التي يهتم بها المجتمع في إطاره القومي. فتتهيأ لها من أسباب الإنتشار ما يدفع بها لاجتياز الحدود المحلية إلى جميع نواحي المجتمع في مستواه القومي أو لأن الأجهزة المحلية لم تستطع أن توقف سريانها.

ج. الإشاعات الدولية: إذا طغى إطار الإشاعة وتوسع انتشارها وتناقلها عدد من المجتمعات ثم وكالات الأنباء العالمية تصبح إشاعة عالمية.. (موسى زناد، ص 36 - 39).

أشكال الإشاعة:

تأخذ الإشاعة في الحرب صيغاً متعددة، فقد تستخدم لأحداث التفرقة كتلك التي نشرها الألمان في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية (ستحارب بريطانيا إلى آخر جندي فرنسي) أو كحجاب من الدخان لإخفاء الحقائق بنشرها بين العديد من الأكاذيب أو كطعم للحصول على المعلومات يجعل العدو يكذبها بالرد عليها بالحقائق أو لتحطيم الثقة بمصادر أخبار العدو كما حصل عام 1941 حينما قام الإنكليز بمحاولة فاشلة لنسف الخطوط الحديدية في برلين فأشاع الألمان بنجاح المحاولة، ولدى وصول الإشاعة إلى إنكلترة اعتبرها الإنكليز برهانا على نجاح عمليتهم فأعلنوا عن ذلك في إذاعتهم، وهنا دعت وزارة الدعاية الألمانية مجموعة من الصحفيين الأمريكان والأوروبيين المرموقين وأطلعتهم على الحقيقة ليثبتوا كذب ما أذاعه الإنكليز، فكان ذلك الحدث عاملاً في تحطيم الثقة في الإذاعة البريطانية.

يقول الدكتور كوبلز وزير دعاية ألمانيا الهتلرية في هذا المجال ما يلي (ينبغي أن نبحث عن الأقليات المؤثرة وعن الزعماء الطموحين الفاسدين وذوي العصبيات الحادة والميول الإجرامية فنتبناهم ونحتضن قضيتهم ونهول مظالمهم ونهيّج أحاسيسهم بمزيج من الدعاية والإشاعة مثيرين الغني على الفقير، الرأسمالي على البروليتاري، الآري على اليهودي، دافع الضرائب على فارضها، الجيل الجديد على القديم الذي هو مسؤول عن النظام السائد في المجتمع، وبذلك ستحقق درجة من الفوضى يمكن معها التلاعب بمقدرات العدو وفق ما نشاء).

اهداف الإشاعات:

1. تحطيم معنويات الشعب بإثارة موجة من الرعب والخوف في نفوس السكان لأجل تصديع الجبهة الداخلية.
2. زعزعة معنويات القوات المسلحة وخلق نوع من فقدان الثقة بينها وبين قياداتها لغرض إحلال روح التمرد وانحطاط الضبط، وبهذا يمكن التغلب عليها.
3. تحطيم الروابط بين الدول المتحالفة والصديقة، كالإشاعات التي أطلقها الحلفاء بأن الألمان في شمال أفريقيا كانوا يقاتلون الإيطاليين في خط النار وانسحبوا راجلين تاركين آلياتهم في أرض المعركة. (الحرب النفسية، ص 15 - 17)

سمات الشائعات:

1. تنطلق الشائعة من واقع المجتمع الذي تبث فيه.
2. تأخذ حاجات الأفراد بنظر الإعتبار عند بثها.
3. يرى الإنسان فيها ما ليس موجوداً في غيرها.
4. تستخدم الأسلوب اللفظي أثناء حركتها.
5. تأخذ طريق الغموض فهي لا تنتسب إلى مصدر معيّن لأن الغموض يولد الشك.
6. تستخدم أساليب مختلفة في البث منها (الخبر) الرواية، القصة، النكتة الملاطفة، الأغاني، الرسم الكاريكاتيري، الخرافات... إلخ.
7. تكون موجزة لغرض التذكّر والنقل
8. تنشأ الإشاعة من خبر لا أساس له من الصحة أو تلفيق خبر فيه شيء من الصحة.
9. عبارة عن تنفيس للمشاعر المكبوتة عند بعض أفراد.
10. تكثر الشائعات عندما تقل الأخبار أو حينما تكثر الأخبار ويرتاب الناس في صحتها.
11. يضيف بعض الأفراد إلى الشائعة جوانب معيّنة وبأسلوب خاص مما يزيد في سريانها.
12. توجه اهتمامها إلى الفرد لتزيد من انفعالاته حول بعض المواقف الحياتية.

(الزبيدي ص 83)

حرب الشائعات:

الإشاعات ركن أساسي في الحرب النفسية، فهي الوسيلة الفعّالة لإحداث البلبلة في الحرب والسلم. والبلبلة مفتاح إلى تغيير الاتجاهات وزعزعة أسس الحكم وهز الإيمان بالوطن والوحدة والصمود.

ترويج الإشاعة وحبكها وتوقيتها يحتاج إلى دقة في الصنع والصياغة بحيث تصبح مستساغة معقولة قابلة للبلع فالهضم فالانتشار وبحسب النسق الآتي:

1. فمن أصول بث الإشاعة الناجحة أن تكون بشكل خبر أو رواية ومختصرة ونفاذة وملائمة لاحتلال جزء من تفكير المواطن العادي لتتمكن بعدئذ من تحوير فكرة واتجاهه.
2. يجب بث الإشاعة في ظرف من الغموض والالتباس لتجد لها مرتعاً خصباً ومستقراً مضموناً. فالغموض يولد الشك، والإشاعة تنمو في الشك وتؤثر في الرأي العام...
3. يستحسن أن يكون الناس في حالة من التوجس والخوف من حدوث شيء ما، فإذا ما ظهرت الإشاعة تبلورت حولها الهواجس وتحول التوجس الحي إلى خوف حقيقي، وهذا هو المقصود من الحرب النفسية.
4. أسلوب التهديد واستعراض العضلات يدخل تحت هذا النوع من الإشاعات، إذ يقوم المخطط بتسريب المعلومات التي تثير الحذر والتمعن لدى الرأي العام لاحتمال وقوعها: فالضغوط الخارجية تلوح بين حين وآخر بالتدخل في شؤون هذا البلد أو ذاك أو (إحداث) تنسيق أمني في مناطق النفط، وغير هذا.
5. يجب أن تكون الإشاعة في صالح جماعة أو مذهب أو طائفة، وضد عصبة وجماعة أخرى وحسب تخطيط وأهداف الحرب النفسية لتشعل نار الكراهية والعداء والعنف والتوتر..
6. يجب أن تعبّر الإشاعة عن القلق الدفين أو النقد الحبيس فتأتي الإشاعة فيكون تداولها منفذاً للتفريغ والتنفيس عن الحالة النفسية الداخلية.

يجب ان لا يغرب عن البال ان الإشاعة سلاح المتضررين والمحتكرين والعملاء والرجعيين داخل الأوطان المتحررة، وعن طريقها يشنّون حرباً نفسية على المواطن البريء المخلص لكي يبعدوه عن أهدافه وقيادته ولكي يزرعوا بذور الشك فالتلكؤ فالإهمال والجمود. فعندما تقوم الحكومة بإجراء ما، تنطلق إشاعات (الرتل الخامس) لتفسيرها بما يزيد من القلق والريبة والخوف في نفوس المواطنين، وهكذا تنطلق الإشاعات لتخريب كل خير وصالح ومفيد من أبسطه إلى أعظمه. فمن إشاعة وجود اختلافات.. إلى احتمال الاستيلاء على الممتلكات الشخصية.. إلى اختفاء السكر من الأسواق قريباً.. إلى اتهام المصالح الحكومية بالربح الفاحش والاستغلال والاحتكار.. إلى اتفاق سري مع دولة أخرى ضد المصلحة الوطنية... إلخ وتؤدي هذه الإشاعات مفعولاً وقتياً من زعزعة الثقة - ما لم تكن السلطة الوطنية ساهرة يقظة للتصدي لها ومعرفتها حالاً لكي تطفئها وتفندها. فالإشاعة سلاح يمكن أن يستخدمه كل شخص أو جهة لتفكيك الجبهة الداخلية أو تشتيت الجبهة الخارجية في الحرب والسياسة.

تنطلق الإشاعات قبل الانتخابات في الدول الغربية، وتصبح أداة في المنافسة الحزبية الضروس. ففي عام 1924 كانت الانتخابات محتدمة في بريطانيا بين الأحزاب الثلاثة: المحافظين والعمال والشيوعيين.

ونشرت جريدة (الديلي ميل) صورة فوتوغرافية لرسالة زعمت أنها مرسلة من (زينوفيف) الزعيم الشيوعي وموجهة إلى الحزب الشيوعي البريطاني يحضّه فيها على قلب نظام الحكم.. كانت نتيجة تلك الوثيقة المزورة تأزم الموقف بالنسبة لحكومة حزب العمال التي كانت قد اعترفت بنظام الحكم السوفيتي قبل مدة قصيرة. وهكذا سقطت حكومة العمال من جراء تغيير اتجاه الناخبين الإنكليز لمجرد إشاعة مطبوعة في صبيحة أيام الانتخابات. (الدباغ، ص23 - 26)

انتشار الشائعات:

إن انتشار الشائعات يرتبط بقانون يؤكد على جانبين مهمين هما الغموض والأهمية، لذا فإن القانون يؤكد أن الشائعة تنتشر عندما يتوفر الغموض والأهمية وحسب قوة كل منهما. والعلاقة بين الغموض والأهمية ليست علاقة إضافية وإنما هي علاقة تضاعفية.

مقدار الأهمية × مقدار الغموض = درجة انتشار الشائعة

ومعنى ذلك لا يكون الخبر الذي تحتويه الشائعة مهما إلا إذا كانت توجد رابطة بدرجات متفاوتة بين نتائج هذا الخبر وبين الشخص

المستمع له، فلو فرضنا ان واحدا منا سمع ان بريطانيا احتلت جزر الفوكلاند فإنه كخبر يسمعه بشكل اعتيادي ولن يهتم به أو يفكر في ترده لأنه لا توجد رابطة بينه وبين بريطانيا وجزر فوكلاند.

أما إذا كان الخبر يقول أن العدو لا سمح الله دخل جزءاً من أراضينا، فإنه سوف ينقل بترديد هذا الخبر، فهو في حالة من الخوف والذعر.

أما عن الغموض فإنه يحمل نفس قيمة الأهمية في انتشار الشائعة فكلما كان الحدث موضع الشائعة محاطاً بالغموض والسرية كان ذلك أقوى للانفعال، فلو فرضنا أن بياناً قد صدر عن القيادة العسكرية في بلد ما يقول بأن قوات العدو قد قصفت المنشآت الاقتصادية في مدينة مثلاً، وأن هذا البيان أذيع من الراديو على الناس، فإن أحداً لن يهتم بترديد هذا الخبر لأنه سوف لن يقدم شيئاً جديداً حول الموضوع. ولكن لو فرضنا أن الخبر لم يعلن ويذاع من قبل الجهات المسؤولة فعندئذ قد يهتم المستمع بالشائعة، فبتوافر الغموض والأهمية في الشائعة تتوافر الرغبة لدى الفرد في ترديدها وعلى ذلك يمكن أن تصوّر درجة انتشار الشائعة بالمعادلات الآتية:

مقدار الأهمية × مقدار الغموض = درجة انتشار الشائعة

10 × 10 =	100	درجة انتشار الشائعة
10 × صفر =	صفر	درجة انتشار الشائعة
صفر × 10 =	صفر	درجة انتشار الشائعة
2 × 10 =	20	درجة انتشار الشائعة
10 × 5 =	50	درجة انتشار الشائعة
1 × 10 =	10	درجة انتشار الشائعة

ولكن للعلم أن هذا القانون ليس هو بالقانون المطلق أو الجاهز الذي يسري على كل الحالات أو الأحوال لأن الحديث عن الشائعة يقترن مع الإنسان ويبقى هذا الإنسان هو الذي يردد الشائعة أو يلغيها. (الزبيدي، ص 84)

لماذا تنتشر الشائعة:

تتردد الشائعات لانعدام المعلومات وقلة الأخبار، والإنسان بطبيعته ميال لسماع الشائعات ويفرح بها دون قصد منه وبدون إرادته، لذا يجب تزويد الأهالي بجميع الأنباء جملة وتفصيلاً وحسب الظروف لتحقيق الرضى النفسي وتنفيساً عن الكراهية، فالنفس البشرية فيها حب وكره واستقرار وقلق وإقدام واستسلام. سرور وحزن فنذكر قول الشاعر حيث يقول:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

والشائعة هي نوع من حلم اليقظة وعموماً يمكن إنجاز سرعة

الشائعة كالتالي:

1. تجعل ناشر الإشاعة وموزّعها يشعر بأنه شخص مهم.
2. تفسر أسئلة مهمة عندما لا تكون هنالك حقائق إعلامية عنها.
3. تقدم تبريراً لتصرفات شخصية.
4. تنفّس وتعبّر عن عواطف شخصية مكبوتة بحيث تقلّل من قيمة مجموعة معنية.

(الدباغ ص 20)

حركات الشائعات:

تتحرك الشائعة وتسلك طرق غير معروفة وغير واضحة، فبعض الشائعات تكبر وبعضها تصغر وذلك بحسب نوعية ناقلها، وتأخذ بعض الشائعات خلال حركتها الشكل الآتي:

فإذا تحدث الشخص رقم (1) إلى الشخص (2) حول حدث معيّن فإن الشخص رقم (2) إذا نقل هذا الخبر إلى الشخص رقم (3) فإن الخبر يحتفظ بـ (70%) من معلوماته الأولية، أما إذا وصل إلى الشخص رقم (5) فلا يصل أكثر من 30% من المعلومات الأولية للخبر. لكن هذه المعلومات هي المعلومات الأساسية التي تضم هدف الشائعة.

إن عملية انتقال الشائعات تتعرض أثناء حركتها إلى عملية تحوير من مجال لآخر، وأن هذا التحوير أو ما يسمى بالتطعيم يستفيد منه مروجو الشائعات لأن عملية التحوير سوف تصبغ الشائعة بلهجة المنطقة التي تبث فيها. لذا فإن المجتمعات ذات الثقافة المحدودة المنعزلة أو ما يسمى بالبيئات المغلقة نسبياً قد يتطوع أهلها لنقل الشائعات بمجرد ظهورها عن قصد أو غير قصد. (الزبيدي ص 86)

تحليل الشائعات:

لابد لمن يريد أن يحلل الشائعات أن يضع في الحسبان جملة من العوامل الأساسية وعليه أن يفسر من خلال الاستنتاج لهذه العوامل، وهنالك أسئلة ليست هي بالوصفة الجاهزة وإنما هي أمور عامة يمكن أن يستفيد المحلل منها في تفسير وتحليل الشائعات ومن هذه الأسئلة ما يلي:

1. هل تعتبر الشائعة قابلة للتصديق؟
2. هل تعتبر الشائعة متعلقة بموضوع معين؟
3. هل يتوفر الغموض والأهمية وأيهما أكثر بروزا؟
4. هل يفتقر الشخص الناقل والسامع لها للمعايير التي تثبت صحتها؟
5. هل تعبّر الشائعة عن توتر داخلي؟
6. هل تقدّم الشائعة تفسيراً سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً؟
7. ما الذي يجعل الشائعة تتسم بالأهمية عند الراوي لها؟
8. هل تنطوي الشائعة على احتمالات الإسقاط؟
9. هل تكسب الشائعة ناقلها أثناء ترديده لها منزلة ممتازة؟
10. هل يحتمل أن الشائعة تعرضت إلى التحريف أو الإضافة؟
11. أي طابع تحمل الشائعة النكتة، الخرافة، الأسطورة، الأغنية، الخبر، القصة... إلخ.
12. هل للشائعة علاقة بالأحداث الجارية؟
13. إلى أي نوع ممكن أن تصنّف هذه الشائعة؟
14. ما هي الطريقة المثلى لدحض هذه الشائعة؟

هذه جملة من اسئلة عديدة يمكن ان يقوم بها من يريد ان يحلل الشائعة.

(الزبيدي ص 86 - 87)

النتائج المترتبة على الشائعات:

لقد حصدت الإشاعات كثيراً من النتائج الكبيرة والفعّالة منها:

أ. قيام الثورات: لقد كان أحد الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة في تركيا في 27 مايو 1960 قبل موعدها هو انتشار إشاعة حول عزم حكومة مندريس بإعدام بعض أعضاء حزب الشعب المعارض.

ب. الرعب والخوف: في عام 1944 انتشرت إشاعات مثل نقل كثير من الجنود من ساحة الحرب في الباسفيك وغرب أوروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأصابتهم بالذهان (الجنون) بينما الحقيقة، أنهم نقلوا لأن أعصابهم لم تتحمل صدمة المعارك الحربية ولأنهم لم يكونوا صالحين للجندية وقد انتشرت هذه الاشاعات وسببت قلق الآباء والأمهات والزوجات وأساس ذلك الرعب والخوف المستحوذ على النفوس.

ج. الإساءة إلى الفرد: إذا كان الغرض من الإشاعة يدور حول شخص بالذات وكان الهدف منها الإساءة إليه فإنها تكلفه حياته أحياناً.

د. تدمير معنويات الشعب: يبث هذه الإشاعات وكلاء العدو وجواسيسه بصفوف الشعب لتحطيم وتدمير معنوياته ولأجل تصديع وإرباك الجبهة الداخلية، ويجب اختيار موضوعات من طبيعتها أن تلفت الناس إليها، وتبهرهم عن كثير من سواها.

هـ. تحطيم الوحدة بين الشعوب المتحالفة والصديقة: الغرض منها هو تحطيم الوحدة بين الشعوب وتفكيك عرى الصداقة وزرع بذور عدم الثقة وروح الشك فيما بين الدول المتحالفة والجيوش الصديقة، وذلك لأجل إخراج إحدى القوى المعادية من تحالفها مع حليفاتها وجعلها وحيدة في الميدان.

و. الإضرار بالقوات المسلحة: تبث هذه الإشاعات في ساحات القتال بقصد زعزعة المعنويات وفقدان الثقة بين الكتائب وقياداتها لغرض خلق البلبلة والانهزامية وإحلال روح التمرد وعدم الضبط وفقدان الطاعة وإيجاد روح اليأس والاستسلام وبذا يتم تحطيمها والتغلب عليها.

أساليب علاج الشائعات:

1. التحصين: إن التعرف على أهمية الشائعة وأشكالها وأسباب اثارتها هو نوع من المعرفة التي يجب أن يزود كل مواطن بها لكي يكون على بينة من أمره وما يحاك ضده من قبل الأعداء. إن تعويد المواطن والجندي على الصمود والكفاح والإيمان بحقه ومشروعيته، وغرس الثقة في النفوس كفيل بأن يجعل الجميع عند مستوى المسؤولية في عدم ترويج الشائعات وعدم ترديدها.
2. العمل الإعلامي: إن أهم سمة يجب أن تتسم بها الأجهزة الإعلامية هي الدور الذي تلعبه في تنوير الرأي العام فعندما يكون الإعلام قوياً بوسائله المختلفة يكون فعّالاً في إزالة الغموض والالتباس الذي يقع فيه بعض الناس عند سماعهم لبعض الأخبار.
   إن إبراز الحقائق من الأمور الهامة وكما يقال أن الشائعة تروّج إذا غاب الخبر. لذلك يجب الاهتمام بأجهزة الإعلام من خلال النشرات الأخبارية والتعليقات بحيث يثق بها الناس، كذلك عدم تفنيد الشائعة لأن عملية ترديدها لغرض تفنيدها يزيد من انتشارها لذلك يجب أن تذكر الحقائق للناس بدلاً من تكذيب أو ترديد الشائعات.
3. الإبلاغ الفوري: يتطلب من المواطنين في الداخل والجنود في جبهات القتال أن يكون كل واحد منهم مقاتلاً نفسياً ومن صفات المقاتل النفسي أنه يسرع إلى الإبلاغ الفوري عن الشائعة إلى أقرب جهة مسؤولة. إن هذا الأسلوب هو الأسلوب الأمثل لقبر الشائعات والكشف عن الشائعات الأخرى.
4. مواجهة الشائعة بصبر ودون انفعال: هنالك بعض الشائعات من القوة بحيث تزيد من الحالة الانفعالية للفرد أيا كان هذا الفرد مدنياً أو عسكرياً، والمعروف أن الانفعال يزيد من الحساسية النفسية للفرد لذا فإن المطلوب هو سماع هذه الشائعة وتقبلها دون انفعال وتحديد مصدرها والإبلاغ عنها وبالتالي فإنها سوف لن تجد في نفسه مصدرا للنمو.

5. **اتباع التعليمات الخاصة بمواجهة الشائعة: إن الفرد ملزم بان يتبع القواعد والشروط الصحيحة في مواجهة الشائعات مثلما يتبع المريض إرشادات الطبيب في تناول الدواء، للقضاء على المرض، لذا فإن المطلوب هو كما يقال الوقاية خير من العلاج. فعدم ترديد الشائعة وعدم ترويجها يؤدي إلى قبرها، كذلك فإن الجهات المسؤولة تبرز للناس الحقائق حتى لا يكون هناك غموض.**
6. **الحركة: إن الفراغ الذي يعيشه الفرد هو الذي يساعد على انتشار الشائعات لذلك فإن إشغال الفرد بأمور معيّنة سوف يساعد على ابتعاده عن سماع ونقل مثل هذه الأمور، كذلك إن إشغال وقت الجندي في جبهة القتال بأمور معيّنة من رصد واستطلاع ودوريات وغارات على العدو الخ كفيل بأن يقضي على وقت الفراغ ويمنع من تداول الشائعات.**
7. **ابتكار أساليب جديدة في علاج الشائعات: قد تكون هذه الأساليب التي ذكرت لها فائدة. ولكن هنالك شائعات لها طبيعة خاصة وفق المواقف والمتغيّرات لذا فإن المطلوب هو ابتكار أساليب جديدة لمواجهة مثل هذه الشائعات.**
8. **وهنالك أسلوب آخر: مطلوب من كل مؤسسة مدنية أو عسكرية أن تضع لوحة في بناية المؤسسة فمثلاً في باب الدائرة توضع لوحة كبيرة في مكان بارز تكتب فيها جميع الشائعات وبعد فترة سوف تمتلئ هذه اللوحة بالعديد من الشائعات المتناقضة بحيث أن القارئ لهذه اللوحة يصعب عليه تصديق أي واحد منها.**

المصادر:

- **الزبيدي، كامل علوان في علم النفس العسكري جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر 1989.**
- **ربيع، حامد، الحرب النفسية في الوطن العربي، بغداد، دار واسط للطباعة والنشر، 1989.**
- **لكناني، كريم حميد في الحرب النفسية واثرها في المعركة الحديثة: جامعة البكر - كلية الاركان رسالة ماجستير، 1995.**
- **زناد، موسى، الحرب النفسية.**
- **الدباغ، أكرم إسماعيل، الحرب النفسية.**
- **الحرب النفسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.**
- **د. الدباغ، فخري، الحرب النفسية.**
- **كنعان، جورمي، سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية 1980.**

الفصل الرابعالباراسايكولوجي

يعدّ موضوع الظواهر فوق الحسية من المواضيع التي أخذت الاهتمام من قبل المؤسسات العلمية حديثاً، بعد أن كانت قصصاً وروايات وأحداثاً ومشاهدات، تناولها التراث الفكري الإنساني في صور عديدة، تارة تأخذ التهويل وأخرى المعجزات ومرة الكرامات. والباراسايكولوجي كعلم حديث يمتلك المنهجية الواضحة ويختار الوسائل التحليلية والتجريبية المناسبة في دراسة ما ينطوي تحته في إطار التصنيف العام لقدراته.

ظل العلم لزمن طويل يحاول أن يتجنب الاقتراب من معظم الظواهر والقدرات الخارقة الغريبة التي تتكرر في حياتنا وفي دواخلنا ومن حولنا وعلى مدى عمر الإنسان وحضوره المادي على سطح الأرض، لكن عدداً من العلماء الرواد القلائل حاول في الماضي البعيد، التصدي لبعض الظواهر وتوثيقها ورصدها والبحث في إمكانية إيجاد تفسيرات علمية ومنطقية لها.

بين الماضي والحاضر انكشف الكثير من الملابسات والتساؤلات عن هذه الظواهر، فلم تعد غامضة تحيطها هالة الوهم بل اقتربت من إمكانية هذا الكائن العظيم، ألا وهو الإنسان فلم يبق ذلك المجهول بل استطاعت العلوم أن تضع النقاط على الكثير من الحروف، وبدأ الاقتراب أكثر فأكثر في التعرف على طاقاته وإمكاناته رغم ان الشوط ما زال طويلاً.

لقد تم إستخدام طاقات الإنسان وقدراته المتنوعة ومدركاته وقابلياته الحسية وفوق الحسية في المجالات الحياتية المختلفة على مستوى ادائه كفرد أو جماعة، وبما يخدم ويطوّر الطبيعة المهنية التي يمارسها ومنها الاستخدامات في مجال العمل الأمني ومتطلباته، فلا بد أن نتعرف على موضوع الباراسايكولوجي وبلغة علمية واضحة ليتسنى فهم وإدراك متطلبات توظيف هذه القدرات واستخداماتها.

الإنسان ذلك المجهول:

ظل العلم لزمن طويل وهو يحاول أن يتجنب الاقتراب من معظم الظواهر والقدرات الخارقة الغريبة التي تتكرر في حياتنا وفي دواخلنا ومن حولنا على مدى عمر الإنسان وحضوره المادي على سطح الأرض، لكن عدداً من العلماء الرواد القلائل حاول في الماضي البعيد التصدي لبعض هذه الظواهر وتوثيقها ورصدها والبحث في إمكانية إيجاد تفسيرات علمية ومنطقية لها.

لقد شهد القرن العشرين هجمة معاكسة ضاربة توغلت في اوساط البحث العلمي المتعطش لمعرفة الحقيقة، رغم كل أنواع السخرية والتسفيه، فقد توجّه العلماء بكل جرأة وشجاعة وموضوعية هادفة إلى

الولوج في اعماق هذه الظواهر ودراستها. اننا على ابواب عصر جديد من الفهم العلمي الواضح، والمعرفة الشاملة، والتألق الروحي المتسامي، عصر تذوب فيه التناقضات.

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم. خلقه من تراب فسواه ونفخ فيه من روحه. فليس في الإنسان شيء يستعصي على الفهم والإدراك. والاصل الترابي للإنسان مسألة محسومة وملموسة فهو لايكاد يموت حتى يتحلّل إلى عناصره الأولي التي لا تختلف أبداً عن باقي عناصر الأرض الأخرى، إذ يصبح سماداً جيداً لنمو النباتات.. وهكذا تستمر دورة الحياة، إن الإنسان مؤلف من مادة وروح. وعندما تتفاعل الروح، ذلك السر الغامض الذي ينطوي عليه الإنسان مع المادة ممثلة في الجسد، تتكون النفس وهي الذات الإنسانية برمتها. وان أرقى ما في النفس وأجلّها قيمة هو العقل... العقلُ الذي يوجه الإرادة والتفكير، وبالتالي تحقيق الفعل السلوكي المتناغم مع انفعالات الإنسان ورغباته.

إن إنساناً بهذه الروعة والقوة لابد له أن ينطوي على قدرات وطاقات كامنة ومخفية أكثر بكثير من القدرات والطاقات الظاهرة. فإذا كان الإنسان قد اخترع اللغة وتعلّمها، وعلّمها، واكتشف القراءة والكتابة فاتقنها، وعرف النار والمادة واستخدمها وسخر كل ما في الطبيعة لخدمته وسعادته، وأدرك الأشياء وعلّلها، بعقله وإدراكا ته الحسية وفوق الحسية، وبنى صرح الحضارة وتكيّف معها واخترع الجهاز والآلة والثقافة ووّظفها، وطوّع الصورة والنغمة وتغنّى بها، وعرف نفسه... فعرف ربه، إذاً.. فهل من مستحيل أمام الإنسان وقدراته؟؟

وإذا كان الإنسان بعقله وفكره.، ونورانيةِ روحه، قد أنجزَ في الماضي البعيد تاريخاً مجيداً وسِفراً تليداً، ونسج بجوانيته وشفافيته خيوط الفكر الإنساني المتطور، ومارس التخاطر والجلاء الحسي وتوارد الأفكار والخواطر، وعمل في الكهانة والتنبؤ ومعرفة المستقبل، وزاول الشامانية والاستشفاء ومختلف ضروب العلاج الروحي، وأشتغل بالسحر والكهانة وممارسة الطقوس المتنوعة، لتحقيق سعادته وسروره وكفايته، فإنه يُطِلُ على العالم وهو قوي الشكيمة، واثق الخطى، لأنه يمتلك ناصية العلم والثقافة، يَطّلُ بكل جرأةٍ وشجاعة ليعلن عن إمكانية اطلاق قدراته وطاقاته الكامنة في إعماق النفس وجوهرها، مطوّعاً قوانين الطبيعة ونواميسها لتفسير ظواهر الإدراك فوق الحسي، كالتخاطر والاستشفاف والتنبؤ وظواهر التحريك النفسي، وتوظيفها لخدمة الإنسان والإنسانية جمعاء.

العقل والدماغ.. ذلك اللغز:

يتكون الدماغ من المخ والمخيخ والنخاع المستطيل، حيث يقع المخ في أعلى الدماغ ويشبه في شكله نصف الكرة، إذ ينقسم إلى قسمين، القسم الايسر ويضم النصف الناطق والمنطقي والرياضي أما النصف الايمن فيسمى النصف الصامت أو المتأمل، وهو النصف الذي يختص بالحدس والتخمين والإلهام والابداع، وتشير الدراسات العلمية إلى أن النصف الأيمن من المخ هو المكان الذي تنطلق منه قدرات الإدراك فوق الحسي تلقائياً ومخبرياً.

يشتمل كل نصف من كرة الدماغ على أربعة فصوص، وهي الأمامي والصدغي والجبهوي والخلفي، حيث يتخصص كل فص من هذه الفصوص بوظيفة فسيولوجية محددة إضافة إلى التكاملية المشتركة. وتتكون مادة المخ من مادة ناعمة هشة تتألف من طبقتين، الأولى: السمراء وتسمى باللحاء والثانية بيضاء.

وتحتوي المادة المخية على أكثر من 150.. مليون خلية عصبية، ويسيطر المخ على المراكز السفلية ويعتبر مسؤولاً عن العمليات العقلية العليا ويكون مصدراً للأعمال الارادية. وتقدر سرعة التيار الكهربائي الذي يحمل الرسائل من المخ وإليه عن طريق الأعصاب بنحو ثلاثين متراً في الثانية الواحدة، وقد توصل العلماء إلى تحديد مناطق خاصة في اللحاء يتحقق بها الإدراك لمختلف الحواس وتنبعث فيها الحركة إلى سائر أنحاء الجسم.

لنتعرف الآن على العقل الإنساني وطبيعته إذ ان الإنسان لايوصف بالقمة إلا به فالإنسان من حيث الجسم الحي لايختلف عن أي حيوان آخر من حيث الحركة والنشاط والنمو وحفظ النوع، وقد أثبتت الدراسات العلمية بما لايقبل الشك أنه لا النطق ولا اللغة ولا الضمير ولا كبت الشهوات من الأمور التي تفرّق بين الإنسان والحيوان، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتصف بالحرية، حرية التصرف، وحرية الاختيار، أما الحيوان فأياً كان تدريبه، هو محروم من هذه الحرية. فضلاً عن امتلاك الإنسان لملكةِ الارادة التي تعدّ القوة المُحركة للسلوك الإنساني عموماً والتي كلما زادت وقوت، أصبح الإنسان أكثر عطاءً وأقدَر إبداعاً.

يرى البعض ان العقل هو آخر تطورات المادة وصُورها. وأن عمليات التفكير والتصور والتذكر والتخيل والأرادة ليست إلا تفاعلات كيمياوية أو كهربائية من نوع ما. ومنهم من يقول أن المخ هو العقل. لكن علوم اليوم أثبتت فجاجة هذا القول وسذاجته. حيث إن المخ هو الجهاز الذي يستخدمه العقل لمزاولة قدراته وهو مركز التوصيلات الهاتفية، أي البدالة التي لا يمكن أن تتم مكالمة هاتفية إلا عن طريقه، ولكنه ليس المتكلم نفسه.

لم يكن مفهوم العقل لدى الاقدمين يؤلف مشكلة أو يمثل صعوبة.

فهو عندهم احد مظاهر الروح التي هي قبس من الله، وهو شيء مغاير للمادة ولا يتحدد في مكان وهو يعلو على الزمان والمكان. وقد أثبت العلماء والفلاسفة عن طريق العمل والتجريب مؤكدين أن العقل هو أعظم قوة في الوجود وهو مركز الابداع والتقدم والعمليات الخلاقة.

ولهذا يعدّ الإنسان مركز الكون ومستودع العقل الخلاق، وهو وسط بين الذرة والنجم.. فإن شاء نظر إلى نفسه كذرةٍ من التراب لاحول لها ولاقوة... وان شاء أرتفع بنفسِه إلى فوق النجوم بما أودع فيه من عقل وفكر وإرادة وجمال... إنسان بهذا القدر من الطاقة والقوة والموهبة، لابد أن تكون له طاقات وقدرات كامنة ومخفية وخارقة.

الباراسايكولوجي والعلم:

إن جوهر العلم، هو الإجابة عن أسئلة تتضمن مشكلات ومن ثَم إيجاد الاجوبة التي قد تفتح الباب لأسئلة جديدة. واجمالاً فالعلم الدقيق هو الذي يبحث عن الحقائق وفق منهج وأسلوب يتضمن الضبط والسيطرة والتكرارية وغير ذلك.

وللعلم منظورين عبر تاريخه، قديم وجديد. يدورالمنظور القديم للعلم حول فكرة ان كل شيء في هذا الكون مركّب من المادة. ولاشيء غير المادة يحكم أو يتحكم بالقوانين الطبيعية للعالم والكون والإنسان، إذ لا وجود للروح على الاطلاق في تفسير الحقائق والمدركات. وقد استمر هذا المنظور حتى بدايات القرن العشرين. وبالرغم من صرامة هذا المنظور وتعسفه وعدم قدرته على تفسير العديد من الظواهر وفق منظوره، إلا أنه تمخض عن العديد من الابداعات والابتكارات والاكتشافات التي هزت العقل الإنساني والإنسانية عموماً.

ومنذ الربع الأول من القرن العشرين بدأت النظرة الجديدة للعلم تنمو رويداً رويداً لا بوصفها البديل المغاير للنظرة القديمة، ولكن بوصفها المنظور المتطور والمتفتح والعقلاني للعلم السليم. ويتلخص المنظور الجديد للعلم والذي قادهُ علماء أفذاذ في الطب النفسي والفيزياء وعلم النفس الإنساني وفيزيولوجياً وجراحة الدماغ والأعصاب، في المزج بين المادة والعقل وخواص الطبيعة في تفسير حقائق الكون ومدركاته، أي بتفاعِل هذه القوى وبشكل تضامني وتكاملي.

يدعو أصحاب النظرة المعاصرة للعلم إلى الإيمان بعقل أزليّ الوجود، يرعى شؤون هذا الكون. ويؤكد روادهم أن الإنسان مكون من عنصرين جوهريين: جَسد فإن وروح خالدة لا ينالها الفناء، وإن التفكير والإدراك هما ليس من صنع المادة، بل يؤثران مباشرة في العمليات

الفيزيولوجية. كما رفض هؤلاء تفسير السلوك البشري بلغة الدوافع والغرائز الحيوانية بشكل مجرد بل اعلنوا عن إيمانهم بالقيم الاخلاقية والجمالية والجوانب الروحية والفكرية والنفسية والتي تستمدُ طاقتها من الأسس النفسية للسلوك كالعادة والارادة والوراثةِ والبيئةِ والوجدان والضمير والمثل الأعلى.

إن منهج علم النفس الإنساني يمثل القاعدة الشرعية الأساس لعلم الباراسايكولوجي والتي منها ينطلق بجرأة وشجاعة ليفتح بابه للعلوم الأخرى، بهدف تفسير الظواهر وإيجاد النظريةِ الموحدة التي ما زال العلماء يبحثون عنها.

وفي إطار النظرة العلمية المعاصرة للباراسايكولوجي فإن الشك ما زال يرافق مسيرة الباراسايكولوجي في العالم من حيث الاعتراف بعلميته وجدَيته من قبل البعض من العلماء بالرغم من الجدل الواسع والنقاشات المحتدمة التي احرزتها البحوث والدراسات النظرية والتجريبية، وفي المقابل هناك من يعترف بعلمية الباراسايكولوجي وقدرته على اخضاع الظواهر والقدرات المختلفة للفحوص والتجارب المختبرية. وقد شَهدَ العَقد الأخير تطوراً كبيراً في هذا الإتجاه والذي صار ينمو ويترعرع جنباً إلى جنب مع التطورات العلمية الرائدة في حقول بحوث الدماغ والإتصالات والمعلومات.

يُعَرّف الباراسايكولوجي على أنه ذلك العلم الذي يعنى بالدراسة العلمية المنهجية لظواهر الإدراك فوق الحسي وظواهر التحريك النفسي وغيرها من الظواهر. إن الظواهر الباراسايكولوجية وفي إطار النظرة المعاصرة، تنتهك دون شك القوانين العلمية السائدة والتي تتحكم في وجود الإنسان. كذلك فإن بعض هذه الظواهر يصعب إعادتها وتكرارها لأنها ذات طبيعة عفوية وتلقائية وهي ليست طوعية أو تحت الطلب لمن يمتلكها. وبالرغم من وجود المعارضين والمتشككين في مشروعية هذه الظواهر، فهناك من يقول: أن الباراسايكولوجي علم يسمو فوق العلوم الأخرى لأهميته وقدرته على ابتكار الأساليب والطرق الابداعية المستخدمة في العلوم الطبيعية والإنسانية. لذلك فهو سائِر في تبني التفسيرات الحالية لقوانين الطبيعة دون أن يتقاطع معها، ولكن بعقلٍ متفتح ورؤية علمية ابتكارية وإبداعية جديدة تهدفُ إلى صياغات جديدة ومرنة لهذه القوانينِ وتفسيراتها.

إن العلم بمنظوره المعاصر ما زال عاجزاً عن تقديم التفسير القاطع أو المناسب لجميع الظواهر الباراسايكولوجية. لكن هذا لا يمنع بأن العلم قادر على إيجاد التفسير المقبول لهذه الظواهر في المستقبل القريب كذلك فإن العديد من المحاولات العلمية الجادة تسير بخطى حثيثة في مراكز البحوث والجامعات من أجل إيجاد نظرية

موحّدة لتفسير جميع الظواهر الباراسايكولوجية لأنها تنبع من اصلٍ واحد. والذي يُشَجّعُ على هذا الاتجاه وجود الظواهرِ على أرض الواقِع وإنتشارها وإمكانية تطبيقها وإستخدامها.

الباراسايكولوجي... حوادث ومشاهدات عبر التاريخ:

هل سبق لك ان فكرت في شخص ما لم تره منذُ أمد طويل وتمنيت أن تراه، فإذا هو أمامك بعد زمن يسير أو لم تتمنى في يوم من الأيام حضور صديق أو شخص مقرب، فإذا هو أمامك تراه بعد فترة قصيرة. مثل هذه الحوادث طالما يتعرض لها الإنسان، قديماً وحاضراً ومستقبلاً. وفي الماضي القديم لم تكن هذه الحوادث تثيرُ أستغراباً أو دهشة، فانطواء الإنسان على قوة روحية هائلة، والايمان بالله كانا كفيلين بتفسير كل شيء..!

وعبر التاريخ الإنساني، نشأ علم الفراسة حيث يستطيع الإنسان من مجرد نظرةٍ يلقيها على بعض اعضاء الإنسان أو أثر من آثاره، أن يدرك الكثير عن سيرته وأخلاقه وتاريخه، وقد عرف هذا العلم قدماء المصريين وأشار إليه أبو قراط وكتب عنه جالينوس وألف فيه أرسطو والرازي وابن رشد. ومن العرب نقِلَ إلى أوروبا في العصور الوسطى. وكان في تلك العصور سائداً ومنتشراً، وأبرز تعليل لهذه الظواهر، أنها تتصل بقوة الإنسان الذاتية. وامتد تفكير الإنسان قديماً وحديثاً إلى ربط هذه القدرات بقوى وكائنات أخرى، تقع خارج نطاق الذات الإنسانية..

وتطورت الدراسات والبحوث في هذا المجال، ورجحت بشكل واضح أن الإنسان ينطوي على طاقة نفسية محركة وقوى إنسانية روحية هائلة تعيش في داخله، وتنشط في جوهره. وعندما بدأ العلم يفسر الكون على أسس علمية ورياضية، وتخلى عن المفاهيم المثالية، بدأت تضعف مكانة القوى الخارقة لدى الإنسان، إذ لم يعدّ لها مكاناً في القرن التاسع عشر. وفي القرن العشرين ظهر تبدل في النظرة العلمية، ووجدت أسس جديدة للفكرة حول الأشياء وانتعَشَت في هذه الحقبة أفكار القوى الخارقة وظواهر الإدراك فوق الحسي مثل الاستشفاف أو التخاطر أو التنبوء وغيرها الكثير. ومن أشهر التجارب الباراسايكولوجية في التاريخ الإنساني ومن أولها، عندما أراد ملك ميديا مشورة تكهنية لغزو فارس، إلا أنه وضع سؤالاً إختبارياً للعديد من الكهان وهو: ماذا كان يعمل في تاريخ وساعة معينين؟ فقط كانت إجابة كاهنه دلفي صحيحة! وهنا وضع الملك سؤاله الحقيقي بكل ثقة، فأخبرته الكاهنة أنه إذا ما غزا فارس، فإن امبراطورية كبيرة ستتحطم، فغزاها بالفعل وفشل. فعاقب الملك (بيثينيا) كاهنة دلفي،

لكنها اخبرته، بانني قلت إذا ما غزوت بلاد فارس فستتحطم إمبراطورية، وفعلاً تحطمت إحدى الامبراطوريتين.

ويتضمن الفكر الإنساني عبر العصور ثلاثة أنواع من التفكير: الخرافي والميتافيزيقي والعلمي وقد جعل التفكير الخرافي الإنسان في عالم الاوهام والخيال. أما التفكير الميتافيزيقي فقد شجع على الاهتمام كلية بالعالم الآخر. ولم ينقذ الإنسان من مجاهيل الخرافة والميتافيزيقيا إلا عندما بدأ من حواسه واعتمد على خبرته الحسية فتجمعت لديه معرفة من نوع جديد هو ما نسميه بالعلم.

بدأت في أوروبا ما بين عام 1882 وحتى عام 1900 محاولات علمية محايدة وجادة لبحث الظواهر الباراسايكولوجية، وتأسست لهذا الغرض جمعيات علمية قادها علماء كبار من الاختصاصات المختلفة، وتضمنت هذه المحاولات توثيق الحوادث والمشاهدات الخاصة بالظواهر ومتابعتها وإجراء التجارب المختبرية على أصحابها. ومن أبرز هذه الجمعيات تلك التي تأسست في بريطانيا عام 1882 والأخرى في أمريكا عام 1885.

وإمتازت الفترة بين عام 1900.. إلى 1930 بتطور متردد وبطيء في بحوث القدرات الخارقة، وامتناع الكثير من الوسطاء أو ممن يدعون امتلاكهم للقدرات عن الخضوع للظروف التجريبية المُسَيطَر عليها، كذلك فقد تم خلال هذه المرحلة كشف الكثير من الغش والتزوير في الظواهر ذات الجوانب الفيزياوية. ولذلك تحول الاهتمام البحثي نحو التجارب المسيطر عليها ووفق منهجية علمية تعتمد التكرار.

ازدهر البحث الباراسايكولوجي للفترة من عام 1930 وحتى عام 1960 بافتتاح مختبر راين للباراسايكولوجي مشيراً إلى تحولات حقيقية في هذا النوع من البحوث. ويمكن أن نطلق على هذه الفترة في حياة الباراسايكولوجي بالولادة الحقيقية للباراسايكولوجي، حيث تم تطبيق البرنامج الاستكشافي الذي يعتمد على الطلاب المتطوعين والأشخاص غير المشهورين، إضافة إلى تصميم الاختبارات الدقيقة والمسيطر عليها وفق برامج إحصائية بالغة الدقة والنتائج، مما أدت إلى إرساء القواعد الحقيقية للبحث العلمي في هذا الحقل المعرفي، وحَسّنت من سمعة البحوث الباراسايكولوجية في الأوساط العلمية والمعرفية المتخصصة.

لقد شهدت الفترة ما بين 1960 وحتى أواخر التسعينات اهتماماً كبيراً من قبل الفيزيائيين في البحوث العلمية ذات العلاقة بتفسير الظواهر وإستخدامها، كما تميزت هذه الفترة بدعم البحوث العلمية في الباراسايكولوجي في الجامعات على مستوى الدراسات العليا وإفتتاح العديد من مراكز البحث العلمي في أرجاء دول العالم. ويفخرُ العراق بأنه البلد الذي جاءَ في طليعةِ البلدان العربية بتأسيس أول

مركز علمي بحثي عام 1987 في هذا الحقل المعرفي. كما تاسست في العراق أول جمعية علمية على مستوى الوطن العربي عام 1993 تهدفُ إلى رصد قدرات الإنسان فوق الحسية ودراستها والتعريف بها والعمل بإتجاه خلق باراسايكولوجيا عربية تسّتمد قوتها من تراثِ الامةِ الزاخرِ بهذه القدرات.

ما ليس من ظواهر الباراسايكولوجي:

أشرنا سابقاً إلى أن الباراسايكولوجي هو الدراسة العلمية والبحثية لأحداث محددة غير عادية، ترتبط بخبرات الإنسان. لقد أصبح جلياً لنا، أن الباراسايكولوجي يدرس الظواهر التي تم تصنيفها إلى قدرات الإدراك فوق الحسي، حيث التخاطر والجلاء البصري والتنبؤ وظواهر السايكوكينيسز حيث تأثير الذهن على المادة وتحريك الأشياء بقوة الذهن. إن هذه الظواهر وغيرها الكثير ممن تقع في إطار المنهج العلمي للدراسة، ما زالت تخضعُ للبحث العلمي أملاً في إيجاد تفسير علمي صائب لها وفق نظرية موحدة تنبع من الطاقة الإنسانية العظيمة التي وهبها الخالق العظيم للمخلوق الذي جعله في أحسن تقويم، وتعتمد على قوانين الله في الطبيعة والكون والعالم والإنسان، دون اللجوء البعالم الغيبيات أو المجهول أو الروحانيات، والتي تنغلق أمامها ابواب البحث العلمي النشيط، خاصة وأن هذه الظواهر والقدرات هي في مجموعها تقع في دائرة الإنسان ذاته بما حباه الله من قوة وطاقة وإرادة وحرية وإختيار، دون الاستعانة بقوى وكائنات أخرى تقع خارج وعي الإنسان بنفسه.

لابد لنا في ضوء ما عرضناه وتحدثنا عنه أن نحدد بكل وضوح وجلاء، ما هو ليس بالباراسايكولوجي. فبالرغم من ما يعلن عنه البعض أو يعتقد به خطأً بعض الناس أو يروّج له بعض المنتفعين ممن يقعون في دائرة الشعوذة والدجل، حول ربط العديد من القدرات التي يدعون إمتلاكها بموضوع الباراسايكولوجي، فإن الباراسايكولوجي لا علاقة له بهذه الظواهر وأصحابها، لأن مجرد الاعتقاد بها، يخرجه قسراً أو طواعية من منظومة العلم والبحث العلمي، وفي هذا خسارة كبيرة للإنسان والإنسانية، كما في السحر بأشكاله المختلفة وإستدعاء الأرواح وتحضيرها وقراءة الفنجان أو الطالع وغيرها، ليس تجاهلاً أو ترفعاً وإنما لصعوبةِ إخضاع مثلِ هذه الظواهر للمختبر والتجريب وفي الوقت الحاضر على أقل تقدير.

إن الباراسايكولوجي لايدرس الظواهر غير الطبيعية أو المشوشة، ولا علاقة له أبداً بالتنجيم أو السحر بكافة أنواعه والارواح الشريرة أو تحويل بعض المواد إلى ذهب. كذلك فإن قراءة الفنجان والكف وغيرها من التكهنات الغيبية كالابراج مثلاً لا تمت بصلة إلى عالم

الباراسايكولوجي التجريبي، لانها عمليات صُنعية يمكن التدريب عليها. وبذلك فهي تتقاطع مع فلسفة القدرات الباراسايكولوجية بوصفها قدرات تلقائية تنبع من جوهر النفس الإنسانية ودواخِلها.

إن الفكرة السائدة منذُ أمد طويل في الساحة العلمية حول الانفصال التام بين الذاتي والموضوعي، ونقصد بالذاتي هو: نحن، والموضوعي هو العالم من حولنا، تتقاطع مع المنهج الفكري لدراسة القدرات والظواهر الباراسايكولوجية حيث الاعتقاد بأن العلاقة بين الذاتي والموضوعي هي علاقة إتصال وتفاعل وتناغم لا يمكن الفصل بينهما، لذا فإن هذه القدرات الغريبة والصعبة على الفهم في إطار النماذج العلمية السائدة، يمكن دراستها والبحث فيها عندما يكون لها موقعاً على المتصل الذاتي والموضوعي.

أما النظرة المتشككة التي ينطوي عليها بعض العلماء تجاه الباراسايكولوجي، فتكمن وراءها حقيقة ان المصطلح أصبح مرتبطاً بمديات واسعة من الظواهر الغريبة والمجهولة والمواضيع الهشة ذات الابعاد غير العلمية أو ما يطلق عليها بـ (العلم الزائف): كذلك فإن ارتباط الظواهر الباراسايكولوجية ببعض العروض المسرحية التي يقدمها بعض المدَّعين والمنتفعين يقلّل دون شك من جدية البحث العلمي في الباراسايكولوجي.

ونحن كعربٍ مسلمين لابُد لنا أن ننطلق في بحوثنا وتوجهاتنا من حقيقة تراثنا الزاهر وحاضِرنا المتنامي لِنرجِّح في زمن اللحظةِ التي نحن فيها ماهو مقبولٌ ومُستوعَب في الساحة المعرفية والعلمية، مستمدين إرادتنا، أولاً من الإرادة الإلهية العُليا، وثانياً من آفاقِ النظرة الجديدة للعلم وثالثاً من تراثنا التليد الذي يزخرُ بالقدرات الفائقة والتجارب المدهشة. فضلاً عن حقيقةٍ لا بُدَ من الإشارة إليها وهي أن القرآن الكريم، كِتابُ الحق والفرقان يتضمن العديد من السوّرِ والآيات التي تتناول العديد من القدرات الفائقة لدى الإنسان الذي جَعَلَهُ اللهُ تباركَ وتعالى خليفة لَهُ في الأرض وحَملَهُ الأمانة التي لم تتحملُها الجبالُ ولا الملائكةِ.

إن ما يميّز منهجنا الفكري والعلمي عن المنهجِ الغربي في البحث والتأصيل للقدرات الباراسايكولوجية هو هذا الذي أشرنا إليه والذي ينطوي على إيماننا الأكيد وإعتقادنا الجازم بحيوية تُراثنا الزاخر ونقاوة كتابنا القرآني العظيم الذي قالَ اللهُ فيه تبارك وتعالى:)إنا أنزلنا الذِكر وإنا له لحافظون(، ليس من منطلق التطرف أو الانحياز ولكن من منطلق الإعجاز العلمي والفكري والأخلاقي الذي جاء به كتابُ الفرقان مبشّراً وجامعاً وشاملاً لكلِ الرسالات التي سبقتهُ، متفتحين في الوقت نفسِه عَلى كلِ ما جاءتِ به الرسالات السماوية من فكرٍ وحكمةٍ ودلالات، وكلُ ما نَطقت به الفلسفات القديمةِ من

نظمٍ واحكام وإعتقادات.

إنهُ منهج جَامع أصيل، يَنهلُ من الماضي بعلومه ومعارِفِه، ويتصافَحُ مع الحاضِرِ بابتكاراته وإبداعاته، ويتطلّعُ إلى المستقبل بآفاقه وإكتشافاته، بحثاً عن الحقِ والحقيقة، وتيّمناً بالآية الكريمة:)سنريهم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفسهم حتى يتبين لَهم أنهُ الحق("صدق الله العظيم"

تصنيف وطبيعة القدرات الباراسايكولوجية (فوق الحسية):

عرف الإنسان ظواهر غير طبيعية منذُ القدم، وتباين أسلوب تعامله وتفسيره لتلك الظواهر تبعاً لتطور الفكر الإنساني والتفكير العلمي. والباراسايكولوجي مصطلح يعبّر عن مجموعة من القدرات الكامنة كغيرها من القدرات التي يمتلكها الكائن الحي على مستوى العمليات العقلية العليا. وقد يطلق أحياناً على هذه القدرات بالخارقة. إلا أن خارقيتها ليست لقوانين الطبيعة ونواميسها وإنما للمألوف والعادي من أحداثٍ وخبرات، وللتفسيرات العلمية المألوفة والسائدة لهذه القوانين.

القدرات فوق الحسية ليست مجرد احتمالات نادرة تقتصر على بعض الأشخاص، إنما هي إمكانيات شاملة لا تخضع إلى احتمالات زمانية ومكانية، بل إلى تفاعلات محددة بين الإنسان وبيئته، فكل شخص يتمتع بهذه القدرات، كقوة كامنة فيه، والمهم هو كيفية إيقاظ هذه القدرات والعمل على تطويرها وتنميتها، وبذلك لا يمكن أن تكون إلا جزءاً من النظام الوراثي للكائن الحي ومن المحتمل ان الجميع يتمتع بهذه القدرة.

لقد أظهر الباراسايكولوجي اهتماماته البحثية فيما يخص الظواهر فوق الحسية وخصائصها وكيفية ظهورها والعوامل المؤثرة عليها، كذلك طبيعة الأشخاص الذين تظهر لديهم هذه القدرات، وبالتالي ما يترتب عليها من تساؤلات حول العلاقة بين القدرات المختلفة والشخصية الإنسانية.

إن أهم ما يميّز القدرات فوق الحسية، تلقائيتها وظهورها عند البعض بعفوية ودون تخطيط مسبق. وتشير بعض الدراسات إلى أن عدداً من الموهوبين بهذه القدرات يستطيعون التحكم بها نسبياً مما يسهل برامج التدريب والتطوير التي تطبق عليهم.

يمكننا القول من خلال إستعراض ما سبق أن القدرات فوق الحسية قديمة قدم الإنسان لكنها في نفس الوقت جديدة ومتجددة من خلال اخضاعها للدراسة العلمية وتوظيفها مجتمعياً.

ويمكن إجمالا تحديد خصائص وطبيعة هذه القدرات كما ياتي:

1. لها صفة الكمية المتجهة إلى الامام أو الخلف نحو هدف معيّن. وهذا يمكن أن يكون واضحاً في التجارب المختبرية على الموهوبيين من أصحاب هذه القدرات.
2. لا تتقيد هذه الظواهر بالإعتبارات الوصفية لكل من الزمان والمكان، فهي تمتدُ بمرونة وطواعية بيين الماضي والمستقبل.
3. لا تتأثر هذه القدرات بالمسافة بيين المرسل والمستقبل كما في قدرة التخاطر على سبيل المثال.
4. لا توجد علاقة واضحة بيين هذه القدرات ومتغيرات العمر والجنس والذكاء.
5. لا تتقيد هذه القدرات بمتغيرات أصل الإنسان الأنثرويولوجية كاللون اوالعِرق.
6. تنتشر هذه القدرات في عموم المجتمع وعامة الناس، إلا أنها قد تظهر بشكل واضح لدى البعض وتبقى كامنة لدى البعض الآخر. وهذا يتفق مع قانون الفروق الفردية بيين البشر كما هو الحال بالنسبة للقدرات العقلية العليا كالذكاء مثلاً.
7. تتأثر هذه القدرات كثيراً باعتقاد وإيمان المجرّب أو الباحث، وتتناقص بتأثير الهبوط في هذه الخاصية لدى المجرّبيين.
8. لا تتقيد ولا تُحجَب هذه القدرات بالقوانين الطبيعية المعروفة كالجاذبية أو الاشعاعات أو الموجات الكهرومغناطيسية.

تصنف الظواهر الباراسايكولوجية (فوق النفسية) إلى ثلاثة أصناف رئيسة، هي:

1. القدرات العقلية (الفكرية) وتسمى أيضاً بالمُستقبِلَة: وتتضمن قدرات الإدراك فوق الحسي .E.S.P والتي تميلُ إلى التداخل مع بعضها البعض. ونعرّفها على أنها: قدرة عقلية عليا تتجلى بشكل تلقائي عند الأفراد الموهوبيين وتتضمن الحصول على معلوماتٍ ليسَ عن طريق الحواس الجسدية أو التحليل المنطقي ودونَ تحديدٍ للمسافة أو الزمان أو المكان. وتشمل التخاطر والاستشفاف (الجلاء البصري) والتنبؤ بالمستقبل. وفي جميع هذه القدرات يكون الإنسان مستقبلاً لها من الخارج، أي من البيئة التي تحيطُ به:

ولأهمية موضوع هذه القدرات بوصفها الأكثر أهمية، إذا لا بُد من تناولها بشيء من الإيجاز والتوضيح. وهي:

أ - التخاطر Telepathy:

ونعّرِفهُ بأنهُ: التواصل المعلوماتي المباشر بين عقلين، أحدهما مُرسِل والآخرُ مستقبل، للأفكار والمشاعِر أو أي من النشاطات الحيوية، دون توسطِ الحواس الجسدية أو تحديدٍ للمسافةِ، وعلى شكلِ صورٍ ذهنية تحدثُ في نفسِ وقت وقوع الحدث.

ب - الإستشفاف (الجلاء البصري) ClairVoyance:

ونعّرِفهُ بأنهُ: الحصولُ على معلوماتٍ واضحة حول الأماكن أو الأشخاص أو الأحداث الموضوعية دون الاعتماد على الحواس الجسدية أو الاتصال المباشر بشخص آخر، ودون تحديد للمسافة وعلى شكلِ صورٍ ذهنية تحدثُ في نفسِ وقتِ وقوع الحدث.

جـ - التنبؤ بالمستقبل Precognition:

ونعّرفهُ على انه: قدرة فوقَ حسية يتنَبأُ بها الفرد بأحداثٍ موضوعية مستقبلية عن طريق الاستشفاف (الجلاء البصري) أو أمور تخصُ أشخاصاً آخرين تخاطرياً أو عن طريق الأحلام. ويمكن أن يكون الهدفُ ماضياً وبذلك يسمى Retrocognition، إذ لا يمكن الاستدلالُ عليه من

البيانات العاديةِ المعروفة كما في التنبؤ بالمستقبل.

وغالباً ما تندمجُ قدرتي التخاطر والإستشفاف (الجلاء البصري) في الواقع العملي لدى الأفراد الموهوبين، وهنا نطلِقُ عليها بالإدراك فوق الحسي العام G.E.S.P.

وقَد يتضمن كُلُ نوعٍ من قدراتِ الإدراك فوق الحسي قدرات أخرى لها تعريفاتُها الخاصة وإستخداماتها وتطبيقاتها. ولأغراض التوضيح فقط دون الأطالة فإن للتخاطر خمسة أنواع منها التخاطر الموسع والكامن والتنبؤي. أما الاستشفاف (الجلاء البصري) فيشتمل على عدةِ قدراتٍ منها: الجلاء السمعي (الاستهتاف) والتكهن النفسي والأحساسُ بالأشعاعات، والأحساسُ عن بُعد والقراءة بعيون معصوبة والرؤية عن بُعد والجلاء البصري التنبؤي. كذلك فإن التنبؤ بالمستقبل يتضمن على قدرة أخرى للتنبؤ بالماضي، إذ يتعذر معرِفة المعلومات أو الأستدلال عليها بالأساليب العادية ويسمى بـ Retrocognition، حيث يتمُ التنبؤ بأحداثه عن طريق إحساس مجهول أو حُلمٍ من أحلام النوم أو اليقظة.

2. **القدرات المادية (الفيزيائية) وتسمى أيضاً بالقدرات المعبّرة: وهي القدرات التي تتدفق فيها الطاقة الذاتية للشخص الموهوب، إلى الخارج. ويتمثلُ هذا النوع من القدرات بتحريك الجسم المادي من مكانه وتوجيهه بإتجاه معيّن أو إيقاف جسم معيّن متحرك من الحركة أو ثني قضيب معدني باستخدام الطاقة النفسية أو الفكرية والتي نطلِقُ عليها "الأرادة". ومن أكثر هذه القدراتِ إنتشاراً ظاهرة السايكوكينيسز أو التحريك النفسي. وتشتَملُ هذه القدرة على عددٍ آخر من القدرات والظواهر منها التحريك النفسي المحدود والتحريك النفسي الواسِعَ النطاق والذي ينطوي على الجراحة الروحية وتصوير الأفكار والسباحة في الهواء والاستشفاء الروحي ولي المعادن والمجلوبات والمأخوذات الروحية.**
3. **الظواهر الروحية: - ولا تعدّ هذه الظواهر من بين الظواهر فوق النفسية ليس إنكاراً لها أو نفياً لوجودها، بل بسبب الشكِ الذي يراود أغلب الباحثين في الباراسايكولوجي التجريبي وخاصة المعاصرين منهم بأن هذه الظواهر تقع في دائرة الغيبياتِ وليس في دائرة الباراسايكولوجي التجريبي بسببِ صعوبةِ إختبارها علمياً ومختبرياً، لذلك فهي تعدّ خارجة عن اهتمام الباراسايكولوجي، وتبقى ضمن إعتبار المتخصصين في الروحانيات. كذلك فمن الصعوبةِ بمكان، إخضاعها للتحليلات الإحصائية. وتشتملُ هذه الظواهرُ على أكثر من إثنين وعشرون ظاهرةٍ منها: التجسد، خبرة الخروج من الجسد، إستدعاء أو (إستحضار الارواح)، اليوغا، التنويم الإيحائي، التصوف، وغيرها من الظواهر ذات الصِلةِ بالروحانيات.**

التعامل مع القدرات الفوق الحسية:

عرف الإنسان منذُ القدم قدرات وظواهر غير إعتيادية، وتباين أسلوب تعامله وتفسيره لتلك الظواهر تبعاً لتطور التفكير الإنساني والعلمي، فتاريخ الحضارة الإنسانية مليء بالحوادث والشواهد لتلك القدرات، أما اليوم فإننا نقوم بدراسة علمية لهذه الظواهر، لإبراز الحقائق المجهولة والخفية من وراء هذه الظواهر.

لقد أظهرت الدراسات حول القدرات الباراسايكولوجية بأنها ليست مجرد إحتمالات نادرة تقتصر على بعض الأشخاص، إنما هي إمكانات شاملة لا تخضع إلى إحتمالات زمانية ومكانية، بل إلى تفاعلات بين

الإنسان وبيئته. فكل شخص يتمتع بهذه القدرات، كقوة كامنة فيه، والمهم في ذلك هو إيقاظ هذه القدرة والعمل على تطويرها.

ومن بين الوسائل المستخدمة لتنمية وتدريب القدرات فوق الحسية، تمارين الاسترخاء، إذ يتم من خلالها تحقيق إسترخاء جسمي وعقلي ونفسي وذلك بتهيؤ الفرد لتنشيط طاقته الذاتية لتحريك وتحفيز قدراته، ومن ثم يقوم بالتركيز الذي يهدف لتجميع الأفكار المشتتة لتنصب في موضوع أساسي واحد، ثم التأمل والذي يتضمن التفكير في الهدف، أي في الجانب التطبيقي من ممارسة القدرة.

لقد فقد الإنسان المعاصر الكثير من توازنه النفسي وقدراته فوق الحسية الفطرية المنشأ بحكم إنشغاله بطبيعة الحياة المادية وإبتعاده عن فترات الصفاء الروحي والتأمل المتعالي والحياة البسيطة. ويمكن تحفيز القدرات فوق الحسية لدى الإنسان من خلال إعادة التوازن النفسي السليم ونبذ الغم والهم وتعزيز الثقة بالنفس والتخلص من الضغوط والمشكلات النفسية الحادة، وصولاً إلى حالة من الاسترخاء والصفاء والنقاء.

إن التدريب على تنمية قدرات الإدراك فوق الحسي وتطويرها لدى الفرد، يساعد دون ريب في فهم الإنسان لذاته وبيئته بشكل أعمق ويساهم في إطلاق طاقاته الكامنة في مواجهة متطلبات العصر وضغوط الحياة.

وهناك الكثير من الناس ممن يُخفونَ إمتلاكهم لبعض الظواهر فوق الحسية إما لِعدم معرفتهم بها أو تخوّفاً أو خجلاً من إكتشافها فيهم، لاعتقادهمِ بأنها ستجلبُ لهم المشاكل والصعوبات. وعلى العكسِ من ذلك فهناكَ من يَدّعي أو يعتقد إمتلاكِه لهذه القدرات، دون دليلٍ واضح والتي إما تكون قصدية بهدف تحقيق الربح أو الأستفادة المادية، وإما بسببِ أعراضِ مرضيةٍ نفسية أو عقلية.

إن التعاملَ الصحيح مع القدرات فوق الحسية يكمن في صياغة الأسلوب العلمي والسليم في التعاملِ مع الموهوب الذي يَدّعي القدرة ومن ثَم يأتي التعامَلَ مع القدرةِ ذاتها كتحصيل حاصل. إن أولى المُهمات أمام الباحث العلمي في الباراسايكولوجي، هي مقابلة الموهوب وتقييم حالتهُ النفسية والطبية النفسية وذلك من خلال إجراء عددٍ من الاختبارات النفسية ذات العلاقة بالذكاء والشخصية والإستعدادات ومن ثم الفحص الطبي النفسي السريري للتأكد من سلامة الذي يدّعي الموهبة من الأمراض النفسية والعقلية المعروفة والشائعة. بَعَد ذَلكَ يخضعُ الموهوب إلى سلسلةٍ من الاختبارات الأستكشافية والتشخيصية للتعرف على مستوى وشدة القدرة التي يمتلكها.

وبعد التأكد من نوع القدرة وطبيعتها وشدّتها، تبدأ مرحلة جديدة

في متابعة الموهوب صاحب القدرة تتمثل بالتدريب والتطوير للقدرة التي يمتلكها تمهيداً للاستفادة منها وتطبيقها وإستخدامها.

التطبيقات والاستخدامات للقدرات الباراسايكولوجية (فوق الحسية):

كان الإنسان وما زال يبحث، ويبتكر الوسائل التي من شأنها استخدام قدراته وطاقاته على أكمل وجه، ومنها القدرات الباراسايكولوجية. وبالرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي في مجالات استخدام الطاقات الإنسانية عموماً، فإن الحاجة تبقى قائمة دون ريب للتطبيقات والاستخدامات لقدرات الإدراك فوق الحسي وبما يخدمُ الإنسان والإنسانية.

بدأ الإنسان بدراسة القدرات فوق الحسية وكيفية توظيفها في الإطار الذي يتناسب وطبيعتها وبما يحقق الرفاهية والسعادة والإطمئنان في خلق حالة التوازن النفسي على المستويين الداخلي والخارجي، وبناءاً على ذلك فإن هذه القدرات سوف تندمج فيما بينها لأغراض التطبيق مع تزايد استخدامها.

إن الاستخدام المنظم لقدرات الإدراك فوق الحسي في الحياة اليومية على مستوى الأفراد، وبصورة تدريجية، يمكن أن يتقبله المجتمع كحقيقة مطلوبة لأنها ستساعد على وضع الحلول لكثير من المشكلات التي تواجه الإنسان.

تتوزع التطبيقات والاستخدامات لقدرات الإدراك فوق الحسي على مساحة واسعة تشتملُ على العديد من مجالات الحياة المختلفة، كما في الصحة والتربية والتعليم والجيولوجيا والكشف عن الماء والمعادن، والنفط والتكهن بالحالة الجوية، وغيرها من المجالات وذلك عن طريق التخاطر والجلاء البصري والرؤية عن بعد والتحريك النفسي والتنبؤ بالمستقبل.

يوُلَدُ الناسُ وتولد معهم قدرات الإدراك فوق الحسي بنسبٍ متفاوتة، وتظهر بشكل أكثر وضوحاً لدى الأطفال من الجنسين. وتتأثر هذه القدرات بالعديد من العوامل، من أهمها أنماط التنشئة الأسرية والأجتماعية والتي تساهم بشكل فاعل في تنمية هذه القدرات وبالتالي توظيفها وإستخدامها.

إن أهمية الاستخدامات والتطبيقات لقدرات الإدراك فوق الحسي والتحريك النفسي في حياتنا اليومية، تنطلق من مجالات الاستفادة المباشرة وغير المباشرة على مستوى الفرد والمجتمع والتي تساعد دون شك في تطوير الأداء وتعظيم العطاء.

ولا بُد من الإشارة أن أي عِلمٍ من العلوم النظرية والتطبيقية، إذا لم يَجد لَهُ مجالاً للتطبيق والاستخِدام والمِساهمةٍ في تنميةٍ

المجتمعات وتطورها يبقى راكدا وعاجزا ومُحجما، وسائِرا نحو إضمحلاله ونهايته. إن الآمال التي يَعقِدُها الباراسايكولوجيون على قدرات الإدراك فوق الحسي كبيرة ومتفائِلة في إستخداماتها وتطبيقاتها، وهذا يمثل واحداً من الأسرار التي جَعَلت عِلم الظواهرِ فوق النفسية باقياً وصامداً رغم التحديات والمعوقات والتشكيك والمعارضة بأهليته ومشروعيته.

ولا يُخفى أن هذه الاستخدامات والتطبيقات في عموم المجتمع قد تكون للخير أو لِلشر. وتلك مسألة نسبية لابُد من الاعتِراف بها. فما هو خيرٍ لمجموعةٍ أو مجتمع ما قد يكون شراً لمجموعة أو مجتمع آخر والعكسُ صحيح، خاصة إذا كانت تلك الاستخدامات للأغراض السياسية أو العسكرية أو لتحقيق أهداف تخدم قضية الأمن الوطني والقومي. وقد لايكون هذا غريباً أبداً بالنسبة لعلم الظواهر فوق النفسية، إذ تشتركُ مَعَهُ في هذا الاتجاه العديدُ من العلوم الأخرى في إستخداماتها. وأكبرُ مثالٍ على ذلك إستخداماتُ الذرةِ ومجالاتها. فقد تستخدمُ للأغراض الطبية والعلاجية والإنسانية والمجتمعية، كذلك قد تستخدم للأغراض التدميرية والعدوانية. وهذا هو دَيدّن الحياة عموماً، فكُلِ شيءٍ فيها يَتَحملُ وجهان: وجه مشرق مضيء، ووجه آخر مُظِلم ومؤلِم.

ومن هذا المنطلق فإن مسألة الاستخدامات والتطبيقات لقدرات الإدراك فوق الحسي تتحكمُ فيها المصالِحُ الذاتية والموضوعية للفرد والمجتمع والدولة على حدّ سواء. وتختص مراكز البحوث العلمية في الجامعات بالجوانب الخيرة والمشرقة من الاستخدامات والتطبيقات، والتي تتسم بالوضوح والشفافية والنفع العام، خاصة للإنسان الفرد ومن ثم المجتمع عموما. وهذا في حقيقته يمثل جوهر الباراسايكولوجي الذي يعني قوة الروح والجسد بعزيمة الايمان وشدة الصفاء والنقاء. ومن الجديرِ بالذكرِ فإن المنهج الذي تَتَبِعُهُ المؤسساتُ ذات العلاقة بشؤون القدرات فوق الحسية هو إما البحثُ عن أسس التطبيقات والاستخدامات للأغراض المختلفة وإما البحثُ في إيجاد التفسيرات المناسبة لهذه القدرات بضوء قوانين العلم ومنهجيته. ويبدو أن تلك المؤسسات التي تهتمُ بالجوانب التطبيقية والاستخدامات الفعلية لقدرات الظواهر فوق النفسية أقوى وأكثر فاعلية من تلك التي تسعى إلى إيجاد التفسيرات وبما يتناسب مع منهجية البحث العلمي وقوانينه المألوفة. وبهدف التوضيح، نتناول بعض هذه القدرات التي يمكن توظيفها واستخدامها:

1. تأثير الذهن على المادة P.K:

يؤثر الإنسان في البيئة من حوله، تماماً كما يتأثر بها، وذلك من خلال حواسه الخمس التي تُحدثُ تفاعلاً مع البيئة. وتشير الدراسات

إلى ان الجهاز العصبي المركزي للإنسان قادر على إستقبال الموجات والذبذبات المنتشرة في محيطه والتي قد تترجمُ إلى أحداث ومعلومات تعكفُ على تحليلها وتفسيرها حواس داخلية وكامنة أخرى، على شكلِ إدراك حسي ومن ثم إدراك معرفي ففهم وإستيعاب مع الاستعانة بجهاز الذاكرة في الدماغ وآليات التخيل والتصور.

إن كل إنسان لديه القدرة على التأثير في الآخرين نسبياً وبصورة متفاوتة. وهذه القدرة قد تكون كامنة في أعماق النفس الإنسانية كسائر القدرات المتفوقة، وقد تستيقظ وتتوهج للحظات خاطفة وكأنها الومضة، وقد تطفو على السطح ويستطيع صاحبها اخضاعها لإرادته وإستخدامها كسائر القدرات العادية...

أما قدرة تأثير الذهن على المادة P.K فتقع ضمن إطار القدرات المعبرة التي أسلفنا الحديث عنها في تصنيف القدرات فوق الحسية، إذ ان هذه القدرة لها تأثير يمارس عن بعد، لا يعتمد على قوة فيزيائية معروفة... وكما تشير التجارب المختبرية الحديثة والتي تصور التأثير الذي يحدثه بعض الأشخاص على المواد من خلال التركيز الذهني. ومما يذكر أيضاً ان السايكوكنيزيا (P.K) ليست قادرة على تحريك الأشياء فحسب بل قد تدخل في كل عملية فيزيائية أو كيميائية أو في إستثارة مؤثرات مغناطيسية أو كهربائية، فضلاً عن ذلك، إحداث تفاعلات كيميائية عن طريق الطاقة النفسية، في مواد جامدة، على سبيل المثال، طبع الصور على الورق بالتركيز الذهني.

إن التجارب التي أجريت في مجال تأثير الذهن على المادة سجلت بعناية ودقة في تحريك الأجسام، كذلك القدرة على تمييز الألوان دون النظر إليها وذلك من خلال لمسها بأصابع اليد. ومن أهم الشروط المتبعة لنجاح التجربة هي إبعاد كل مثير عن الذهن والتركيز بشدة وقوة، بحيثُ انك لا ترى شيئاً سوى ذلك الشيء الذي تريد تحريكه، وتبدو الأشياء الأخرى أمام العين في مثل هذه التجارب وكأنها محاطة بضباب. ويمكن تحريك مواد يصل وزنها إلى أكثر من نصف كيلو غرام، كأن تركز عليها لمدة طويلة وتشحن نفسك بطاقة كامنة وعندما تصل إلى ذروة التركيز، إذ يبدو كأنك فقدت إدراكك، وحين ذلك يتحرك الجسم أمامك وكأن يداً خفية تحرّك هذا الجسم.

إن هذه اليد الخفية التي أشرنا إليها تقع في ذاتِ الإنسانِ وأعماقِه، ولا علاقة لها بكائناتٍ خارجية دخيلةٍ على الذات أو مؤثرةٍ عَلَيها. لكِنَ عجزَ الإنسان عن معرِفة مستوى وشدةِ وقوة الطاقات الكامنةِ التي ينطوي عليها وعجزةِ وقنوطه عن دراستها والتعمقِ فيها تجعلَهُ يَلجأُ طواعية أو رغبة أو قسراً إلى قِوىً خارجة عَنهُ لتفسير هذه القوى أو الطاقات.

لقد شاهدنا بأُم أعيننا، الموهوبة الروسية ميخائيلوفا في جلسةٍ

بحثية وإستكشافية في براغ عام 1989 وما زلنا نحتفظ بفيلم (شريط) تسجيلي لهذه الحادثة التجريبية، إذ قامت بتحريك عدد كبير من الأشياء مختلفةِ الحجوم والأشكال والأوزان، وكان هذا بحضورِ أكثر من ثلاثين أستاذاً وعالماً وباحثاً من مختلف أنحاء العالم. وقد جَرّت التجربة في أكاديمية العلوم التشيكية في براغ وضمن مراقبة دقيقة وذلك عام 1989. وقد قمتُ كطبيب بفحص ميخائيلوفا بعد الانتهاء من التجربة. فكان نبضها يزيد على 120 دقة في الدقيقة وضغطها حوالى 200/110، وكانت في حالة تعرقٍ شديد حيث فقدت من وزَنِها عبر تجربةٍ إستمرت على مدى ساعةٍ تقريباً بحدود أكثر من كيلو غرام واحد.

وتعدُّ هذه الظاهرة من أكثر الظواهر الباراسايكولوجية خَطُورةٍ وفائدة من حيث الاستخدام والتطبيق، إذ أنها تعبّر عن قوة الطاقة النفسية الكامنة وقدرتُها في التأثير على الأجسام المادية القريبة أو البعيدة منها.

إن حديثنا عن طاقات الإنسان الذاتية والكامنة، لا يُلغي بأية حال من الأحوال وجودَ قوىً وطاقاتٍ خارقةٍ في الطبيعة خارجَ الذات الإنسانية.

لكن مُجردَ التفكير بهذه القوى، والاتكال عليها في البحث والتجريب، وتجريد الإنسان الفرد من قواه وطاقاته العظيمة التي منحها إياهُ الخالق الأعظم، يجعل منا باحثين إتكاليين، نعَلّقُ قدراتنا الخارقة وغير العادية على شماعةِ الطاقات خارج الذات، دون أن نكونَ أكثر جَرأة وشجاعة في دراسةِ الذات الإنسانية، جسداً وعقلاً وجوهراً وإمكانات.

2 - التنبؤ Precognition:

اهتم الإنسان منذُ القدم بمحاولة معرفة المستقبل، واكتشف وسائل متعددة في سبيل ذلك، وهي في مجموعها ضروب من الحدس والتخمين والخرافة والتكهن، وبالرغم من أن الناس يعرفون جيداً نسبية المصداقية في هذه الوسائل، إلا أنهم يواصلون ولعهم وكأنهم مدفوعون من قبل قوة قاهرة تدعوهم إلى معرفة ما يخبئه القادم القريب أو البعيد.

الإنسان متنبئ بطبعه، وهذه الميزة حملها لمدة كان يعيش أثناءها في الكهوف إذ كان عليه أن يتنبأ بالاخطار التي تهدده.. أو الموت. ومن المحتمل أن يكون كل إنسان قادراً على التنبؤ ببعض احداث المستقبل دون أن يعلم حقيقة هذه القدرة، وقد يكون ما يعتقده مجرد إلهام أو تخيل، وغالباً ما يكون تنبؤاً لحادث في المستقبل.

يتمتع بعض الأشخاص بالقدرة على التنبؤ وبدرجة كبيرة دون أن يعلموا أهمية هذه القدرة ومقدار ما تقدمه لهم، بل كثيراً ما تظهرُ

القدرة لديهم عندما تستدعي اللحظة. ويمكن لقدرة التنبؤ هذه ان تخرج إلى حيّز الوجود، كلما كفّ العقل الواعي عن العمل، ففي أثناء النوم أو الاسترخاء، يحدث التنبؤ بالمستقبل أو معرفة الماضي، وهو شكل من أشكال الإدراك فوق الحسي يكون فيه الهدف حدثاً مستقبلياً أو ماضياً لا يمكن الاستدلال عليه من البيانات العادية المعروفةِ، في الوقت الحاضر. ويحدث التنبؤ، إما على هيئة الجلاء البصري التنبؤي حيث اكتساب المعلومات بصورة خارقة والتي تخص هدفاً مادياً سوف يحصل في وقت ما في المستقبل أو على هيئة التخاطر التنبؤي حيث الاكتساب الخارق للمعلومات التي تخص الحالة الفعلية والمستقبلية لكائن آخر.

إينما ذهبنا في أرجاء العالم، وكيفما بحثنا في تاريخ البشرية، نجد أفراداً يتنبؤن بأمور سرعان ما تتحقق، في عصرهم أو في عصور لاحقة، حتى أننا قد لا نجد شيئاً موجوداً الآن أو حادثة شهدها التاريخ إلا وسبق ان توقع وجودها أو حدوثها شخص هُنا وآخر هناك، وفي مقدمة الأمثلة على ذلك، أفلام الخيال العلمي

إن قدرة التنبؤ موجودة بالفعل لدى معظم الناس، غير ان البعض منهم يقف حائراً مندهشاً عندما يجد انه قادر على التنبؤ ولكن بعفوية وتلقائية ودون قصد مسبق.

ويعدُّ التنبؤ بالمستقبل من أخطر القوى والقدرات الباراسايكولوجية بوصفه يتعارض مع القوانين الفلسفية التي تتضمن مبدأ السبب والنتيجة. فمن العسير على الفهم العادي أو التقليدي أن تكون النتيجة سابقة للسبب. وفي هذا دون شك إنتهاك للقوانين الطبيعية والفيزيائية والفلسفية المعروفة التي تتحدث عن أن لكُلِ سببٍ نتيجة، والذي يمثلُ المنطق الفلسفي والعقلاني دون شك.

والأمثلة حول هذا الموضوع كثيرة ومتشابكة. حتى يجدُّ المرءُ المثقفُ أمامه كم من المعلومات التي يَصعِبُ تصديقها بحكم إنتمائه العلمي أو المعرفي. لكنها حقيقة قائمة، ولا بُد للعِلم بقوانينه السائدة أن يكيّفَ نَفسَهُ لتفسير مثل هذه الظواهر، كما فعل الفيلسوف " برود " في إبتكاره لمصطلح (السببية الخلفية) لتبرير حدوث مثل هذه الظواهر.

وتبقى هذه القدرة من أكثر تحدياتِ العلم.. وأكثرها جدلاً. فضلاً عن أن التنبؤ بالمستقبل قد يحدث أثناء اليقظة وبسلامة وحدةِ الوعي أو أثناء النوم والأحلام خصوصاً. ويمثّلُ هذا الجانبُ رافِداً معطاءاً وأساسياً للبحث العلمي، إذ أن الأشكال المختلفة للتنبؤ وفي الوقت الذي يتمكن بعض الموهوبين بهذه القدرات من التنبؤ بأحداث مستقبلية، فإن البعض الآخر يمكنه أن يتكهن بأحداث ماضية. وهناك شواهدَ كثيرة على التنبؤ بالمستقبل، وردت بوضوح في الكتب السماوية المقدسة

وخاصة القران الكريم، كما ان هناك العديد من التنبؤات المستقبلية وردت على لسان الرسول الكريم محمد (ص).

3 - الجلاء البصري (الاستشفاف) Clairvoyance:

كثيراً ما يتحدث الناس عن الاستشفاف (أو الجلاء البصري) الذي يُمثّل ظاهرة فوق حسية هامة، تعدّ حالة متصلة واحدة، لا يوجد فيها فصل زمني أو تاريخي، فعند تسامي الإنسان إلى حالة الاستشفاف يصبح الماضي والحاضر والمستقبل حالة واحدة، ويسري ذلك على الأحداث والأشخاص والأماكن.

يمكن القول ان الاستشفاف هو اكتساب المعلومات بصورة خارقة للأشياء والحوادث المادية المعاصرة. وخلافاً لظاهرة التخاطر، نرى أن المعلومات تُستَمدُ مباشرة من مصدر مادي خارجي (مثل صورة مخفية) وليس من عقل شخص إلى عقلٍ آخر بوصفه شكلاً من أشكال الإدراك الحسي.

إن حالة الاستشفاف تحصل عندما يتواصل العقل من خلال منظومات الوعي واللاوعي مع العالم الخارجي وما يتضمنه من صور أو أحداث أو أشخاص، وبغض النظر عن المسافة، وفي نفس زمان وقوع الحدث. إن الشعور بهذه القدرة قد يمتزج مع التخاطر، فَيُشَكّلُ قدرة أكثر شمولية تدعى بالإدراك فوق الحسي العام.

يتحدث الباحثون في الباراسايكولوجي عن وجود عالمين في حياتنا، عالم الحس وعالم الاستشفاف، ففي عالم الحس نرى عالم المرئيات الاعتيادية بشكل طبيعي، أما في عالم الاستشفاف فإنه يتجلى على شكل ظواهر قد تبدو خارقة في حدوثها وكيفية تفسيرها. ويبدو ان هذين العالمين في حياتنا قائمين جنباً إلى جنب، ولايؤدي اختفاء أحدهما إلى هيمنةِ الآخر على مجال الحالة التي يعيشها الفرد، فكلاهما متفاعلين ومتداخلين. وقد يعود هذا إلى نفس الطبيعة الفسلجية في تركيبة الدماغ، إذ يتولى النصف الأيسر من الدماغ بوصفة الجزء الناطق والمنطقي منهُ، مسؤولية الإدراكات الحسية العادية في حياتنا والتي تعتمد أصلاً على الحواس الخمس، أما النصف الأيمن من الدماغ، بوصفة الجزء الصامت، فيتولى إدارة الجوانب الأستشفائية والعاطفية وجميع الأمور ذات العلاقة كالاسترخاء والاستمتاع بالموسيقى والجوانب الفنية الأخرى. وإذ يعملُ الدماغُ كَكُلٍ واحد، وهذه حقيقة فيزيولوجية معروفة، فإن المعلومات التي ينطوي عليها النصف الأيسر، تنتقل إلى النصف الأيمن والعكس صحيح أيضاً وذلك من خلال مجموعة معقدة من الروابط العصبية، يطلق عليها الجسم الجسئي (Corpus collusum).

ولو أخذنا بنظرِ الإعتبار، المضامين الشائعة للتحليل النفسي،

وتفحصنا منظومة العقل التي تقسم إلى ثلاثة مكونات اساسية، هي، : الوعي، اللاوعي، وما تحت الوعي، لوجدنا أن منظومة اللاوعي، ذلك المخزن الواسع الكبير والذي يحتلُ جزءاً كبيراً من العقل الإنساني، ينطوي على مجموعة الخبرات والتجارب والممارسات المكبوتة وغير المتحققة منذ تكوين الجنين في رحم أمه وحتى الممات. إن علماء الباراسايكولوجي وعلماء النفس الإنسانيين يضيفون إلى إمكانات اللاوعي قدرات وقابلياتٍ أخرى ترتبط بالإبداع والإبتكار وقدرات الإدراك فوق الحسي والتي هي في حقيقتها كامنة فيه تنتظرُ الإنطلاق والإنبثاق. كذلك فإن النصف الأيمن من الدماغ والذي سبق الإشارة إليه، يُساهم في تحقيق هذا الإنطلاق، فيساعِدُ في تمكين الفرد من تطوير قابلياته وتنميةِ قدراته في هذا المجال. لذا، لابُد من القولِ أن التوازن بين نصفي كرة الدماغ مطلوب بشكل كبير وأساس في حياة الإنسان الفرد من أجل حياةٍ أكثر حيوية وإنجازاً وأداءً.

ويمكن تجسيد هذا التوازن الفسلجي على مستوى الدماغ، والوجداني على مستوى العقل، في صورة وطبيعة الإنسان المؤمن الذي يُنَقيَّ ذاتَهُ من براثن الشَر والحقد والكراهية والأنانية فيرتفع رصيدُ التقوى في نفسه، ويخبو ويضمحِلُ الفجور، فيَزدهرُ الإيمان وتسمو السريرة والبصيرة في آن واحد.

ومن أروع الأمثلة على الاستشفاف في هذا السياق، الرواية الموثقة التي تتحدث عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رض)، عندما كان يخطبُ بالمسلمين في المدينة المنورة، إذ توقف فجأة ليقول: ياسارية الجبل.. الجبل.. وسارية هذا قائد عسكري من قادة جيوش المسلمين. وبعد زمن ليس بالطويل كثيراً، وبعد أن عادَ سارية إلى المدينة مع جيوش المسلمين، سأله الخليفة عُمر عن صوته الذي سَمِعَهُ سارية وهو هناك، مُنبِهاً إياه بأن الأعداء يحاولون الالتفاف على مجموعته من فوقَ رؤوس الجبال، مما حدا بِسارية، إلى إتخاذِ مواقِع أكثر حصانة وقدرة على الدفاع والهجوم. إن تحليل هذه الحادثة يؤشّر حصول جلاء بصري (إستشفاف) لدى الخليفة عمر، وجلاء سمعي (استهتاف) لدى القائِد سارية.

والأمثلة كثيرة ومتعددة في تاريخنا وحاضرنا. ولو حاولت عزيزي القارئ أن تستعرض حياتك اليومية، منتبهاً إلى هذه القدرة بدقةٍ وصفاء، لوجدت أنك قد مررت يوماً ما، بحادثةٍ مضمونها جلاء بصري أو سمعي أو كلاهما ممزوجاً، بالتخاطر وتوارد الأفكار.

4 - التخاطر Telepathy:

استخدم الإنسان القديم، التعبيرات الصوتية والاشارات لإيصال أفكاره إلى الناس الذي يحيطون به، وقبل أن يعرف اللغة كوسيلة

للإتصال يُعبّر من خلالها عن افكاره ومشاعِره. لقد فرضت طبيعة الحياة البدائية نظاماً معيّناً من الإتصال يتفق مع الحالات الأولية لبزوغ شمس الحضارة.

إن أول ثورةٍ في تاريخ وسائل الاتصال بين البشر هي إكتشاف اللغة، ومعَ بداية تكوين المجتمعات، تطورت الحضارات وازدهرت الثقافات، لتبدأ ثورة جديدة في وسائل الاتصالات عبر الحاسوب ليصبحَ الإنسان من خلالها عبداً مطيعاً لها متجاوزاً قدراته الذاتية الهائلة، مما أدى إلى ظهور حالة من الصراع بين الذاتي والموضوعي متمثلة بالقلق.

إن حالة التناغم بين المادي والروحي على مستوى الذات يسمح بتلقائية وطواعية في تحريك الطاقات الكامنة وجعلها أكثر فعلاً وتفاعلاً مع الجديد.

ويعد التخاطر أحد أهم القدرات فوق الحسية، وهو وسيلة معروفة من وسائل الإتصال الذهني بين الناس، والتي يتم فيها نقل الرسائل والأفكار بين عقل وعقل آخر، دون استخدام وسيلة حسية أو مادية معروفة، وبغض النظر عن المسافة. وتزيد الظاهرة في فاعليتها بين المحبين. ويشير العلماء إلى وجود هذه القدرة عند جميع الناس، ولكن على قدر متفاوتٍ من الشدةِ. ويعود الفضل في تحديد هذه الظاهرة وإبتكار الاسم الذي أُطلق عليها، إلى العالم شارل مايرز عام 1882.

ولكي يتم التخاطر، لابد من وجود شخصين أو أكثر، أحدهما مُرسل والآخر مُستقبِل، إذاً: تحتاج العملية التخاطرية إلى ثلاث عناصر أساسية، هي: المُرسِل.. ويكون عادة في حالة شد نفسي ويقظة وحضور، والرسالة التخاطرية.. وتتضمن فكرة أو كلمة أو صورة، وأخيراً المستقبل ويكون في حالة استرخاء وسكينة. ومن شروط التخاطر أن يتم نقل الرسالة التخاطرية بين المرسل والمستقبل في نفس الزمان.

وللتخاطر أنواع مختلفة ترتبط بآلية تفسير الظاهرة، منها، إنتقال الفكرة أو الصورة بين العقل الواعي لكل من المرسِل والمستقبل أو بين اللاوعي لدى كل منهما. وهناك التخاطر الإيحائي والتخاطر التنبؤي والتخاطر في الاحلام.

ويفسّر العلم الحديث الظاهرة على أنها مجرد توارد في الأفكار، أي أن كلاً من المرسل والمستقبل قد فكر بطريقة واحدة في الوقت نفسهُ. وقد أسقِطَ الرأيُ الذي كان يقول بأن انتقال الأفكار يتم بواسطة ذبذبات كهربائية أو كهرومغناطيسية يبعثها الدماغ. إن المحاولات التفسيرية تنطوي في مجموعها على أن الإنسان يمتلك طاقة نفسية محرّكة وقوة روحية هائلة.

إن هذه القوة الروحية الهائلة والتي وِعائُها الجسد، تعبّر عن ذاتها

على شكلِ انواع مختلفة من الطاقة، والتي قد نَصطلحُ عليها بالطاقة النفسية لعدم وجود شبيهٍ لَها في عالم الفيزياء. وإذا كُنا قد إستعرنا مصطلح الطاقة من الفكر المادي، لسهولَته وشفافيته ووسعه وتمدده وعدم محدوديته، فإن لهذِه الطاقة الإنسانية لغة تتعامل بها مع جسدها ووعائها، ومع الآخر. فهي تتكلم عن طريق أعضاء الجسد ذاته، لتعبّر عن طبيعتها وماضيها ومستقبلها. فالعين تتكلم، والايادي تتكلم، والوجه يتكلم، والفكر المنبثق عن العلاقة المتوازنة بين العقل والدماغ، يعبّر عن مضامينه وموجوداته بثقة وارادة. ذلك هو نشاط الطاقة على مستوى الذات كجسد وكيان، لكن ابعاد هذا النشاط لا تتحدد حصراً بالجسد المادي، بل تتعداه إلى الخارج، القريب والبعيد فتتصل وتتواصل مع الطاقات الفردية الأخرى الموجودة في البيئة التي نعيش فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتصل وتتواصل مع طاقات الكون الأخرى التي تمثل نتاج الفعّاليات والنشاطات للموجودات في الطبيعة بغض النظر عن تكويناتها المادية.

ويمكن تفسير آلية التخاطر منطقياً وعقلياً وفق هذا السياق، ولكن لابد لنا ان نسعى أكثر ونبذل جهوداً علمية اضافية لتفسير ماهية هذه الطاقة وكنهها ليقع بين أيدينا الدليل الصحيح والاثبات القاطع الذي نستطيع ان نكسب به أصوات المشكّكين والمعارضين.

وكما يشير الباحثون التجريبيون في الباراسايكولوجي، فإن ما من إنسان فوق هذا الكوكب إلا وقد عاش ولو لمرة واحدة، تجربة تخاطرية ذاتية. فكم من مرة، يدق جرس الباب أو الهاتف، وإذا المتحدث معك هو نفس الشخص، القريب أو البعيد الذي كنت تواً تُفكرُ به. وكم من حلم في حياتك ينبأك تخاطرياً بحدث أو فكرة أو موضوع.

هذه هي حقيقة التخاطر وتوارد الأفكار التي غالباً ما تأتي إلى عقولنا الواعية واللاواعية ممزوجة مع الاستشفاف، ونادراً ما تأتي الينا مجردة دون صورة أو صوت.

5 - الاستشفاء:

كان الإنسان وما زال ينظر إلى مشكلة المرض والعلاج نظرة يشوبها القلق والاحباط واللاعقلانية أحياناً. وقديماً كان يعزى المرض إلى حالة من عدم التوافق بين الفرد ونفسه من جهة أخرى. أما العلاج فهو حالة التوافق بين الإنسان وجميع القوى التي تقع خارج وعيه والتي تحكم نبض الحياة بأسرها.

إن ايمان الإنسان بالعلاج الروحي وفاعليته امتد عبر العصور والازمنة واستمر حتى يومنا هذا، ومما لاشك فيه، فإن بعض الوسائل العلاجية التي استخدمت في الماضي أدت في الكثير من الحالات إلى نتائج إيجابية في شفاء المرضى، الأمر الذي جعل ظاهرة الاستشفاء

تستقطب اهتمام العديد من العلماء والباحثين الذين شرعوا بدراستها مختبرياً ووضعوا العديد من النظريات الافتراضية التي تفسر آلية عمل هذه الظاهرة.

يمكن القول أن قدرة الاستشفاء تقع ضمن قدرة الـ P.K أي تأثير الذهن على المادة، أي بفعل الطاقة العلاجية التي يمتلكها نادراً شخص معالج، وغالباً المريض نفسه والذي يعمل على تنشيط جهازه المناعي إلى الدرجة التي يتحقق من خلالها الشفاء، معززاً بذلك الإعتقاد والايمان والايحاء والتركيز، شريطة ان لا يتقاطع هذا النوع من العلاج مع الطب الرسمي أو يكون بديلاً عنه.

إن رغبة المريض بالشفاء وايمانه بجدواه واعتقاده بنجاحه واستعداده لتقبّل الإيحاء، يكمن في ذهن المريض وليس بالضرورة في قدرة المعالج على الاشفاء، إن أفضل من يمارس دور المعالج الروحي هو الطبيب نفسه، لأنه المؤهل من خلال مختلف الوسائل والطرق، وبعد أن يزرع الثقة والمحبة والامان في وجدان مريضه، أملاً للوصول إلى الشفاء.

وفي العقدين الأخيرين التي شهدت تقدماً مذهلاً وكبيراً في مجالات الطب على مستوى الوقاية والتشخيص والعلاج وقدّمت الصحة والعافية للملايين من الذين يعانون من المرض، كذلك تطورت في انحاء العالم أساليب علاجية جديدة ومتنوعة يطلق عليها خطأ (الطب البديل) التي هي في الحقيقة يمكن تسميتها بـ (الطب المتمم أو المكمل). ومن جملة هذه الأساليب العلاج الطبيعي، والعلاج بالأعشاب، وعلاج السرائر (الفورمولوجيا) الفايبرنيتكس، والعلاج بالصلاة و العلاج بالايمان، والعلاج باللمس وتمرير اليد فوق الجزء المريض، والعلاج بالغذاء وغيرها من الأنواع والأساليب.

إن الشفاء ضرورة إنسانية واخلاقية، والسعي إليه حق مشروع لكل مريض يشعر بالمعاناة. لكن المسؤولية الأولى على مستوى الدول والشعوب والمجتمعات تبقى على عاتق المؤسسة الطبية الرسمية في توفير الاجواء المناسبة لتحقيق الشفاء للمواطن من خلال تعزيز التقدم العلمي والتقني في مجالات الطب الرسمي من جهة، والتحكم بجميع الأساليب العلاجية الأخرى ذات الابعاد التكميلية لعمليات الوقاية والعلاج عموماً من جهة أخرى وذلك من خلال التشريعات القانونية والضوابط والتعليمات، حماية للمواطن والمجتمع من اختراق الأهداف النبيلة للعملية العلاجية من قبل البعض من المدّعين والمشعوذين.

إن الأساس الذي يرتكز عليه الطب الطبيعي وغيره من الأساليب العلاجية المتممة هو العودة إلى الطبيعة بكل ما تتضمنه من ارض وماء وسماء، والابتعاد عن الكيمياويات والمواد الحافضة في الغذاء، وتنظيمه بالطريقة التي تساعد الإنسان بالمحافضة على جهازه

المناعي العظيم وعدم تصديعه او إيذائه. كذلك فإن الجانب الإيماني والاعتقادي يمكن أن يلعب دوراً كبيراً في تنشيط جهاز المناعة وتثويره لمقاومة الأمراض والمساهمة في علاجها. ولابد أن يتم كل هذا على يد الأطباء فحسب، لأنهم المؤهلين علمياً وأخلاقياً لممارسة هذه المهنة الشريفة مع الإيمان الكامل أن الشفاء من الله تبارك وتعالى، وما المعالج إلا أداة لتحقيق هذا الهدف.

وإذا كان هناك من بد في اشتراك البعض من المؤهلين لممارسة العلاج بالطرق المتممة التي أشرنا إليها، فلابد لهؤلاء أن يكونوا على درجة عالية من الثقة والاخلاص والامانة للمهنة العلاجية لأن حياة المريض امانة بين يديَّ المعالج، فضلاً عن ضرورة تزويدهم بالمعارف الطبية والصحية الأساسية التي تساعدهم في ممارسة دورهم الإنساني. والأهم من ذلك أن يكون عملهم بإشراف مباشر من المؤسسة الطبية والرسمية، التي ترعى شؤون مهنة الطب وتحرصُ عليها.

إن لهفة المواطن في أرجاء المعمورة للتعرف على الأساليب العلاجية المتممة والتي تزيد وتتزايد أنواعها ووسائلها وأغراضها في عالم اليوم وخاصة في بلدان العالم المتقدم، تنبع من رغبته في الحصول على الشفاء ومقاومة المرض والعيش بهدوء وأمان، لذلك فإن الوعي الصحيح بطبيعة وممارسة هذه الأساليب ضروري وواجب في محاولة للفرز بين ماهو إيجابي ومفيد، وماهو سلبي ومضر. وتبقى العملية العلاجية والشفاء عموماً مربوطاً بطاقة الإنسان وجهازه المناعي العظيم والقدرة على تنشيط هذا الجهاز وتحسين أدائه في تحقيق العافية التي نطلبها جميعا.

حتى وإن كان العلاجُ باللمسِ عن طريق تمرير اليد بأثرِ الطاقة أو كانَ عِبر أي وسيلةٍ أخرى، لا بُدّ أن يخضعَ للفحصِ والبحثِ والتقييم أولاً ومن ثَم للجهات الرسمية الطبية والمهنية ثانياً، وحتى وإن إعتمدتهُ هذه الجهات، قادراً على معالجة الأمراض بالطرقِ غير العادية، وذلك لأن الشفاءَ حتى وأن كان عزيزاً وغالياً ومرغوباً من قبلِ المواطن الذي يسعى إليه، يبقى في حدود المسؤوليةِ الطبية الرسمية التي لا تَدَخرُ جهداً ولا علماً إلا أن يكون في صالح المريضِ وشفائه. ولكن في الوقت نفسه فهي حريصة أن يكون هذا العلاج بأيادي تتحمل المسوؤلية، وتحترمُ القسم الطبي، وتسعى لحماية الإنسان ومجتمعه على المدى القصير والبعيد.

الباراسايكولوجي في عالم النبات والحيوان:

يعدّ موضوع الاتصال بين الكائنات من الموضوعات الهامة التي استقطبت اهتمام العلماء والباحثين، إذ تتمتع بعض الحيوانات

بمستويات عالية من التطور البايولوجي والتخصص الوظيفي، فضلا عن قدرات عدد من الحيوانات في التفاعل مع بعضها البعض والتأثر بالمغناطيسية الأرضية ورؤية الأشعة فوق البنفسجية أو الأشعة تحت الحمراء، ورؤية الضوء المستقطب، وإدراك العوامل الفلكية أو استخدام المعلومات الجيولوجية. وقد ساعدت هذه الدراسات على تفهم مبادئ التفاعل والإتصال بين الحيوان والحيوان، والحيوان والإنسان، والحيوان والنبات وحتى التفاعل بين الحيوان والنبات والإنسان.

في حياة الحيوان والنبات أمثلة كثيرة تعج بها الكتب والمصادر وتدعونا نحن بني الإنسان إلى الدهشة والإنبهار. قصة ندم من نوع فريد تنطوي على اغرب معاني الوفاء يجسّدها لنا أسد قتل مدربه أمام الجمهور، ثم يصاب بالكآبة فالجنون بعد ذلك. فيأكل يديه الآثمتين ويعض جسده وذيله؛ فينزف حتى الموت. وخلية النحل التي تحارب لآخر نحلة وتموت لآخر فرد في حربها مع الدبابير.. منّ علمها الشجاعة والفداء.. والحشرات تبني بيوتاً مكيّفة الهواء تجعل فيها ثقوباً سفلية تدخل الهواء البارد؛ وعلوية تخرج الهواء الساخن.. من علمّها قوانين العمل الهوائي.

والحباحب التي تضيء في الليل لتجذب البعوض لتأكله.. والحشرة قاذفة القنابل التي تضع غازات حارقة ثم تطلقها على أعدائها... والديدان التي تتلون بلون البيئة للتنكر والتخفي.. ونبات الصَبار.. من عَلّمهُ إختزان الماء في أوراقه المكتنزة اللحمية ليواجه بها جفاف الصحارى وشح المطر.. والاشجار الصحراوية التي تجعل لبذورها أجنحة تطير بها أميالا بعيدة بحثا عن فرص موآتية للإنبات في مناطق رملية جديبة.

وللحيوانات لغات مختلفة ولهجات متعددة، تتفاهم فيما بينها من خلال الصوت والحركة والضوء والمادة الكيمياوية، وللنباتات لغات مشتركة أيضاً إذ يولّدُ البعض منها هرمونات حركية، وهي من العجائب في عالم النبات، فضلاً عن عوامل أخرى كالحرارة والمواد الكيمياوية والتلامس والضوء.

لقد أثبتت التجارب المختبرية أن المجال المغناطيسي يؤثر بشكل ملموس على سلوكية الفئران في المختبر، وانه توجد حدود معيّنة من شدة المجال المغناطيسي التي يكون فيها مؤثراً على سلوكية الحيوان. وإذ ان قدرات الإدراك فوق الحسي وغيرها من الظواهر الباراسايكولوجية ترتبط باختلافات المجال المغناطيسي الموجود أصلاً على الأرض، ومن ثم تؤثر على بعض الظواهر الباراسايكولوجية، فقد سجلت مختبرياً حالات تخاطر دقيقة بين الحيوان والحيوان، والحيوان والإنسان في الليالي التي يكون فيها النشاط المغناطيسي

واطئا مقارنة بالليالي التي تسبق حالات التخاطر تلك. وتؤكد المعلومات العلمية وجود قدرات متميزة على التحسس بالمغناطيسية الأرضية في البكتريا ونحل العسل والحمام الزاجل والاسماك الغضروفية، إذ توجد بلورات وحبيبات من مادة (المنغنيت) في بطن النحل والجهة الامامية من رأس الحمام الزاجل.

من واقع التجارب العلمية التي جرت على النبات، استطاع العلماء أثبات ان النبات يتمتع بقدرات فوق حسية إضافة إلى انه يرى ويسمع ويلمس ويشم ويذوق بحساسيةٍ كبيرة، فالنبات يستطيع قراءة أفكار الإنسان والحيوان ويستجيب لعواطفه. وللنبات ذاكرة قوية وهو يفرح ويخاف ويغمى عليه. كذلك فهو يقرأ أفكار صاحبه عن بعد مئات الاميال ويضطرب عند اقتراب الشخص الذي اساء إليه يوماً ما، ويستجيب النبات للموسيقى الهادئة، ويدوي وينكمش عند سماعه الموسيقى السريعة والصاخبة، وبين النبات وسفن الفضاء والغواصات الذرية في المحيط، اتصالات تخاطرية تتناولها البحوث التجريببة الجديدة والرائدة، وقد ثبت مؤخراً وجود تأثيرات علاجية صادرة من اشعاع النبات لمعالجة الأمراض لدى الإنسان.

الباراسايكولوجي التطبيقي:

إن الحديث عن القدرات الباراسايكولوجية ودراستها بصورة علمية منهجية يتطلب إدراك طبيعة العلاقة القائمة بين هذين البعدين، وبما يتلائم وما يعرض من موضوعات مع المنهج العلمي الذي يتطلب شروطا إجرائية لابد من تحققها، الأمر الذي يستدعي الالتزام بالشروط أعلاه بصورة تتسم بالصراحة والدقة.

إن متابعة ودراسة القدرات الباراسايكولوجية تزودنا بالكثير من المعلومات عن طبيعة هذه القدرات والتي نحن بأمس الحاجة إليها حيث نفهم طبيعة هذه القدرات وظروف ظهورها ومسارها وتأثيراتها وآلية عملها وبالتالي الإجابة على السؤال الأهم، ما هي الجوانب التطبيقية التي من الممكن أن تؤديها هذه القدرات في الحياة العملية، وهل بالإمكان احداث تغيّر لها؟

لقد تمت دراسة العديد من الموهوبين (ذوي القدرات المتجاوزة للحس) بصورة تفصيلية وشاملة، كما تم إخضاعهم للعديد من التجارب والاختبارات وملاحظةِ ومتابعة النتائج التي تم تسجيلها. وقد رافقت دراسة قدرات العديد من هؤلاء تفصيلات عديدة تضمنت الجوانب والتغيرات الفسيولوجية وطبيعة هذه القدرات. والتفسيرات المحتملة والضبط التجريبي للمتابعة وتحليل العديد من المفردات التجريبية ذات العلاقة ورغم انتشار العديد من حالات الموهبة عالمياً في هذا المجال والتي خضعت إلى العديد من الدراسات البحثية التجريبة وبصور

متنوعة (تخاطرية وتنبؤية واستشفائية وسايكوكنيزية)، فهناك حالات عربية وعراقية والتي تمت دراستها ومتابعتها مما يسهم في بناء قاعدة علمية وإنطلاقة منهجية في موضوع الباراسايكولوجي والتي تسهم برفد وإنماء البحث العلمي وايجاد الصيغ التطبيقية المناسبة لتلك المواهب وتطويرها.

حالات محلية:

وهي كما في الآتي:

1. **موهوب من مواليد 1975، بدأ التعرف على موهبته في عام 1988 فيما كانت العائلة مع الأقارب مجتمعين في صالون البيت. أخذ الولد يقوم ببعض الألعاب المسلية لتسلية الأولاد، إذ رسم أشكالاً مثل مربع، مستطيل، دائرة، وطلب من جميع الأولاد الموجودين معرفة ما رسمه من أشكال، وكانت هذه الأشكال بعيدة عن نظرهم، وكان الموهوب هو الوحيد بينهم الذي ذكر الأشكال بصورة صحيحة مما جلب الانتباه. وبعد الدراسة التفصيلية تبين أنه:**

أ. **يتمتع بقدرة القراءة وتمييز الأشكال والألوان من خلال اللمس باليدين ووضعهما على رأسه وهو معصوب العينين. وهذا ما نطلق عليه Finger-tip reading الإدراك الجلدي البصري.**

ب. **قدرة تنبؤية.**

ج. **التعرف أو قراءة أحوال الأشخاص من خلال الاطلاع على صورهم.**

د. **القدرة على التخاطر.**

2. **موهوبة من مواليد 1980 بدأ التعرف على موهبتها في عام 1992 وكانت تتمتع بقدرة إمكانية رؤية الأشياء والأشكال والألوان بشكل واضح ودقيق وهي معصوبة العينين ومن خلال مستوى اضاءة مختلفة ومسافات متفاوتة. كما أنها تستطيع الرؤيا من خلال بعض الحواجز القماشية، كما تستطيع الرؤية في الضوء الاعتيادي والضعيف وهي معصوبة العينين.**
3. **موهوبة من مواليد 1984، بدأ التعرف على قدرتها في عام 1992، وتتصف قدرتها بالرؤية وهي معصوبة العينين (العصابة تتالف من مادة قماشية واسفنجية أو الاغلاق المحكم للعين باليد) كما تستطيع تمييز الألوان والأشكال والكتابة وضمن مسافات مختلفة موازية لحدود النظر الاعتيادية كما تستطيع تمييز الأشياء ذات الحاجز الخفيف وهي مقلوبة كشكل فقط.**
4. **موهوب من مواليد 1978 من القطر اليمني يمتلك قدرة الكشف عن المياه والمعادن في باطن الأرض، بدات قدرتة على استكشاف المياه منذ طفولته عندما لم يكن قد تجاوز الـ 8سنوات من عمره وكان قد عرف في قريته واسرته بقدرته على تحديد مواقع الأشياء المفقودة والحيوانات الضالة. وقد تم التعرف على قدرته عام 1993، كما تم تطوير قدراته بإتجاهات أكثر فاعلية واستفادة وذلك في عام 1996، وهناك العديد من المواهب الأخرى، الموثقة والمسجلة في العراق العزيز ذات الابعاد المختلفة والتي يضيق المجال لذكرها هنا.**

اختبارات تطبيقية:

إن الاختبارات التي سيورد ذكرها تمثل نماذج عامة تساعد على تمرين القدرات فوق الحسية وفحص تقدّم صاحب القدرة على تطوير قدرتة، وهي نماذج تدريبية عامة.

الاختبار رقم واحد: (الاستشفاف)

1. **خذ مجموعة من بطاقات ملونة (ربما تريد استعمال بطاقات باللون الأسود والأبيض فقط أو أية تركيبة أخرى من لونين أو أكثر). خذ عدداً متساوياً من كل لون (مثلاً عشرة من كل لون) وخبئها في مغلفات غير شفافة.**
2. **اخلط المغلفات جيداً حتى يتعذر عليك معرفة الألوان الموضوعة داخلها. يفترض أن يتم الخلط بصورة محكمة للغاية.**

3. تناول بعدئذ المغلفات الواحد تلو الاخر وحاول معرفة لون البطاقات الموجودة في داخلها، دوّن انطباعاتك (أو تخمينك) أو حاول تنظيم البطاقات على شكل طبقات حسب الألوان.
4. وبعد أن تفرغ من مجموعة البطاقات، افتح المغلفات، وقم باحصاء الاجوبة الصحيحة والخاطئة.

وفي محاولة لمعرفة ألوان البطاقات ربما يساعدك أن تتصور أن المغلف غير الشفاف سيصبح شفافاً بالتدريج، وسيلوح بصيص ظل ملون يكشف النقاب عن اللون بداخل المغلفات، تأمل المغلف، افرغ ذهنك وانتظر بفارغ الصبر لحين ظهور الظل الملون.

الاختبار رقم (2): (التنبؤ)

حضّر قطعة من الورق وارسم عليها مئة مربع. ضع ورقاً شفافاً على قطعة الورق المرسومة فوقها المربعات. ستدوّن فيما بعد علامات مختلفة في المربعات. تستطيع أن تحدّد هذه العلامات بنفسك. هل تريد استخدام رمزين فقط مثل:

ولكنك تستطيع استعمال أية توليفة كانت من العلامات تخطر ببالك. (إذا رغبت أرقاماً، حروفاً أبجدية، رموز...). بوسعك أيضاً أن تحدّد عدد العلامات التي تستخدمها. رمزان هو الرقم الادنى، وما زاد عن ذلك ليس له حدود (5، 10، 20...)، تستطيع أن تختار عشرين رمزاً مختلفاً لأسباب تطبيقية أو أكثر. ولكن من الأفضل أن لا تتجاوز الرموز حدّ عشرة إلى اثني عشر رمزاً مختلفاً أو أكثر. ولكن من الأفضل إلا تتجاوز الرموز حدّ عشرة إلى اثني عشر رمزاً مختلفاً لأسباب تطبيقية. انك لا تحفظ في الذاكرة علامات عديدة مختلفة. ومن الجدير بالذكر ان الباراسايكولوجيين يستخدمون رموزاً خمسة هي (¡، +، ¨، *، »). لابد من مراعاة قاعدة واحدة مهمة يجب أن تمثل جميع العلامات المختارة بعدد متساو. وبعد أن اخترت علاماتك، تأمل كل مربع من المربعات من خلال الورق الشفاف، وتصور أنك ترى كيف ستكتب العلامات في المستقبل داخل المربعات (فيما بعد ستقوم انت بنفسك بكتابتها أو يستطيع أحد الاصدقاء القيام بذلك) تصوّر، أنك تنظر إلى المستقبل. ومن المفروض أن تظهر لك العلامات من خلال الورق الشفاف.

أنت تقوم بإعادة رسمها بقلم الحبر أو الرصاص وهذه العملية هي ذاتها كما لو كنت تريد استنساخ رسم معيّن بوضع الورق الشفاف فوق النموذج الذي تريد استنساخه بفارق، أنك تعدّ الآن نسخة من المستقبل لا غير عوضاً عن استنساخ نموذج قائم.

عندما ترسم الرموز " المخمّنة " على الورقة الشفافة المغطاة، تستطيع أن تسير وفق التسلسل وتدوّن رمزاً تلو الآخر وفق تسلسل أفقي أو عمودي أو تختار لأعلى التعيين، دائماً، المربع الذي يثير اهتمامك.

بعد تدوينك لمائة علامة، إرفع الورق الشفاف، وضعه جانباً، ثم خذ بعد ذلك مائة ورقة صغيرة، واكتب عليها الرموز التي اخترتها.

(ينبغي تدوين كل رمز على اوراق عديدة متساوية)

أخلط الاوراق جيداً. وتناول ورقة بعد أخرى، ثم انقل العلامات في مربعات الورقة السفلى، بالتسلسل نفسه الذي تتناول فيه الاوراق. اتبع هذه المرة نظاماً مرسوماً: انت تصف مربعاً تلو الآخر في اسطر من اليسار إلى اليمين. وعندما يمتلئ الصف الأول، استمر في الصف الذي هو أسفله مباشرة. وبعد أن تنتهي من تدوين جميع الرموز، قارن هذه الورقة بالورقة الشفافة واحصي عدد المرات التي تنبأت فيها العلامة الصحيحة.

الاختبار رقم (3): (التخاطر)

في هذه الاختبارات يتطلب:

أ. وجود مرسل: وهو الشخص الذي يقوم بعملية الارسال للأهداف والتي هي عبارة عن بطاقات تتألف من رموز، أشكال، أرقام، حروف، كلمات...

ب. المادة المرسلة: وهي الأهداف أو الرسالة التي يتم ارسالها.

ج. المستقبل: وهو الشخص الذي يقوم بعملية الاستلام للأهداف المرسلة من قبل المرسل.

د. أن تكون عملية الارسال والاستقبال متفق عليها بنفس الوقت مع اختلاف المكان.

هـ. يتم الاتفاق بين المرسل والمستقبل على زمان الإرسال والمواد التي سيتم ارسالها كأن تكون (25) بطاقة، كل (5) بطاقات لها رمز واحد هي (، ، ، ،).

و. تخلط البطاقات جيداً ولا يعلم المستقبل شيئاً عن تسلسلها، ويبدأ المرسل بأرسال بطاقة، بطاقة بعد الاتفاق على الزمن المخصص لكل بطاقة للارسال ويمكن أن تتم بصور وأشكال مختلفة، وتختلف في الموقف التجريبي أو لإجراء تدريب بين شخصين، ويبدأ المستقبل بتدوين الاستلام للبطاقات المرسلة.

ز. في نهاية الاختبار تتم مطابقة نتائج الارسال مع نتائج الاستلام، وعدد الاصابات الناجحة، حيث تمثل النتيجة المحتملة صدفة هي 5/25.. وما زاد عن ذلك يشير إلى احتمال مناسب لتحقيق نجاح في اختبار التخاطر.

المراجع العربية:

- اوستراندا - شيلا: علم نفس الحاسة السادسة، ترجمة عبودي. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1981.
- الحارث عبد الحميد حسن: كيف تقرأ الباراسايكولوجي، سلسلة منشورات الباراسايكولوجي، جمعية الباراسايكولوجي العراقية - بغداد 2000.
- الحارث عبد الحميد حسن: فن اليوغا والاسترخاء الأساليب والتطبيقات، دار الشؤون الثقافية العامة 2000.
- باري جان: الباراسايكولوجية الجديدة.. غداً. ترجمة سعد هادي سليمان. بغداد، وزارة الثقافة والاعلام 1985.
- الخوري، روجيه شكيب: التخاطر، سلسلة العلوم الباراسايكولوجية، ج1، لبنان، دار ملفات ط1، 1996.
- الخوري، روجيه شكيب: استباق المعرفة، سلسلة العلوم الباراسايكولوجية، ج2، لبنان، دار ملفات ط1، 1996
- الخوري، روجيه شكيب: قوى العقل الفيزيائية، سلسلة العلوم الباراسايكولوجية، ج3، لبنان، دار ملفات ط1، 1996
- الخوري، روجيه شكيب: الايحاء والتنويم، الظهور الأيحائي، سلسلة العلوم الباراسايكولوجية، ج4، لبنان دار ملفات، ط1، 1996.
- الخوري، روجيه شكيب: أسئلة وأجوبة في الباراسايكولوجيا، سلسلة العلوم الباراسايكولوجية، ج8، لبنان، دار ملفات، ط1، 1996.
- داكور، بير: استكشاف اغوار الذهن. التنويم المغناطيسي، ترجمة رعد اسكندر. بغداد دار التربية، 1988

- **رايز، ج، اج: عصر الخوارق.. ترجمة ماجده صبيح، كتاب علوم المترجم 2. بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، 1985.**
- **رؤوف عبيد: آفاق جديدة في الباراسايكولوجي، القاهرة، عالم الكتب، 1990.**
- **رؤوف عبيد: الجديد في التكوين الروحي وأسرار السلوك، مصر، دار الفكر العربي، 1982.**
- **رؤوف عبيد: الإنسان روح بلا جسد، بحث في العلم الروحي الحديث، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، 1966.**
- **راين، ج، ب: العقل وسطوته، ترجمة محمد الحلوجي، مصر، مطبعة السعادة.**
- **الموصلي، سامي أحمد: الباراسايكولوجي ظواهر وتفسيرات، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1988.**
- **رونالد م. ماكري، حروب العقل، ترجمة سمير محمد، مراجعة د. سمير النعمة، سلسلة كتاب الباراسايكولوجي، وزارة الثقافة والاعلام، الدار والوطنية للنشر، بغداد، 1988.**
- **ميلان ريزل، تدريب الإدراك الحسي الفائق، ترجمة أقبال أيوب، سلسلة كتاب الباراسايكولوجي وزارة الثقافة والاعلام، الدار الوطنية للنشر، بغداد، 1988.**
- **وليم فالكير، قوة الفكر في الحياة العملية، ترجمة رؤوف موسى الكاظمي، سلسلة كتاب الباراسايكولوجي وزارة الثقافة والاعلام، الدار الوطنية للنشر، بغداد، 1989.**
- **شفيقة قره كله، خوارق الابداع، ترجمة سلمان يعقوب العبيدي، مراجعة د. الحارث عبد الحميد، سلسلة كتاب الباراسايكولوجي، وزارة الثقافة والاعلام، الدارالوطنية للنشر، بغداد، 1990.**

المراجع الإنكليزية:

- **ALCOCK ,James E. para psychology: Science or Magic , 1981.**
- **Barber,T - X: Foudation of parapsychology, 1986.**
- **Chauvin, Remy: ParaPsychology.19853..**
- **Eisenbud, Jule: ParaPsychology and the unconscious, 1983.**
- **Eiseberg, Howard: Inner spaces.1977.**
- **Hansel,C.E.M.:Esp and ParaPsychology.1980.**
- **In to the unknown (Readers Digest): 1981.**
- **Kurtz, Paul, Askeptics hand book of ParaPsychology: 1985.**
- **Krippner, stanleg: Advances in Para ParaPsychology Research: -1- Psychokinesis, 1977.**
- **Krippner, stanleg: Advances in Para ParaPsychology: -2- Extrasensory Perception. 1978.**
- **Krippner, stanleg: Advances in Para ParaPsychology: - 3 - 1982.**
- **Krippner, stanleg: Advances in Para ParaPsychology: - 4 - 1984.**
- **McConnell, R.A: ParaPsychology and self deception in Science: 1982.**
- **McConnell, R.A: Encounters with ParaPsychology. 1982.**
- **McConnell, R.A: An introduction ParaPsychology in the context of Sciônce. 1983.**
- **Monahan, Terry: Put your Psychic Powerrs to work. 1973.**
- **Palmer, John: The ParaPsychology Association. 1989.**
- **Rhine, J.B. The Reach of the Mind. 1954.**
- **Rhine, J.B: Progress in Para Psycholgy , 1973.**
- **Rhine, J.B: ParaPsychology (frontier science of the mind) , 1974.**
- **Rhine, J.B: ParaPsychology from Duke To frnm: 1975.**
- **Sudre, Rene: ParaPsychology: 1962.**
- **Schmeidler, G.R: E.S.P and Personality Patherns.**
- **Tart, C.T.: Learning To Use E.S.P. 1975.**
- **White, R.A: Surveysin Parapsychology, 1976.**
- **White, R.A: Parapsychology: Sources of Information: 1973.**
- **Wolman, B.B: Hand book of Parapsychology. 1986.**

الفصل الخامسغسل الدماغ
وعمليات التحوير الفكري

مدخل عام:

يتمحور مفهوم غسل الدماغ Brain Washing حول الإنسان، فرداً أو جماعة ويتركز في أساليبه وخطواته وتطبيقاته على أرقى وأعظم عضو فيه، هو الدماغ Brain. وإذا كان الدماغ البشري هو مركز الإدراكات الحسية والعمليات العقلية العليا، كالتفكير والفهم والاستيعاب والتصور والتخيل، بوصفة الماكنة التي تقوم بجميع هذه الآليات عن طريق الخلايا العصبية والمشبكات العصبية والروابط والناقلات الكيمياوية، والمراكز المختلفة التي تسيطر على جميع الفعّاليات الحيوية في الجسم، فإنه قطعاً غير الفكر. فالدماغ شيء والفكر شيء آخر. ويبقى الفكر عالم غريب مجهول معقّد الرموز، لا نعرف بشكل كامل وواضح كيف يصنعه الدماغ وما سر علاقته بنشاطاته. وباختلاف الأفكار تتباين الشخصيات. فهناك الإنطوائي الذي يميل إلى الانعزال، وهناك الانبساطي الذي يميل إلى الاختلاط والعلاقات الاجتماعية الممتدة. هناك الحذر والشكاك والمشاكس، يقابله المتوازن والمطيع واللامبالي. آلاف وآلاف من الاختلافات في الخصائص والسمات للشخصية، تجعل علينا من الصعوبة بمكان أن نجد تطابقاً كاملاً بين هذا الشخص أو ذاك. وتمتد جذور هذه الاختلافات إلى الوراثة والبيئة والمحيط منذ أيام النضج الأولى للتكوين. إذا الدماغ عضو والعقلوالفكر طاقة ترتبط بالمحيط. العقل يحدث في الدماغ، لكن لا مجال لخلق عقل في دماغ لا صلة له ولا تفاعل مع المحيط. فالعقل هو نتاج اجتماعي.

وعلى الرغم من التقدم الكبير في مجالات البحث والدراسة في علم نفس الشخصية، إلا أن الصورة النهائية والحقيقة الكاملة لطبيعة الشخصية البشرية وماهيتها ما زالت بعيدة المنال. ويصف العالم النفساني كارلو ليفي Carlo Levi الشخصية الإنسانية، على أنها مجموعة من الأجزاء والوحدات، وهي مركز تجمّع الطاقة البشرية، وموطن تجمّع كل العلاقات البشرية. فالشخصية الإنسانية، فضلاً عن نواتها وجوهرها الذي يتكون بفعل الوراثة والكروموسومات والجينات (الموروثات)، فهي تتأثر بشكل مباشر بالأسرة والعلاقات مع الوالدين ومن ثم بالأقارب والجيران والصداقات والعمل والشارع، وبعد ذلك بالإعلام والدراسة والتثقيف وأخيراً بالمجتمع الكبير. لذلك نستنتج أن حدود الشخصية ومعالمها غير واضحة تماماً كما كان العلماء يتصورون سابقاً، وهذا بالضرورة يؤدي إلى أن أنشطة الشخصية الواحدة تختلف

بين حين واخر وبين ظرف او موقف واخر.

وإذا كانت الدهشة تدعونا للوقوف بتمعن أمام العقل الإنساني، تلك الهبة العظيمة التي وهبها الخالق تبارك وتعالى للإنسان ليميّزه عن باقي المخلوقات، ليخترع ويكتشف ويفكّر ويحوز وينسى ويتذكر، ويغوص في عوالم الفلسفة والنفس والروح، فإن الإعجاب يغمرنا أمام شفرة أخرى مغروسة في كل خلية من خلايا الجسم البشري التي تعدّ بالتريليونات والتي ما زلنا نعرف عنها القليل، على الرغم من التقدم العلمي الهائل في مجال الهندسة الوراثية وعلم الجينات. إنها الشيفرة التي يكمن فيها سر الخلود وسر الحياة، إنها الشيفرة الإلهية التي تستقر في خلايانا فتؤثر في سلوكنا وتصرفاتنا ولون بشرتنا وطولنا وقصرنا وغير ذلك من صفاتنا الوراثية. ولا نعرف حتى الآن الكثير عنها عدا عدد الكروموسومات في الخلية (23 زوج) وعدد الجينات في كل كروموسوم (1200 جين) والحامض البروتيني لنواة الخلية DNA والذي يشكل المادة الأساسية البروتينية للكروموسوم، وخارطة الجينات (الموروثات) الحديثة وإمكانية التدخل في هندسة هذه الجينات وتركيباتها الكيمياوية أو زرعها. ولكن مهما تقدم العقل البشري في اختراعاته واكتشافاته، هل يستطيع فعلاً أن يحوّل أخاه الإنسان إلى آلة ميكانيكية، يحركها كما يشاء، كما في مفهوم العلوم الالكترو - حياتية (سايبرنتيك)، وهل يستطيع الإنسان فعلاً أن يغيّر ويحوّل العقول البشرية عبر مختلف السبل والوسائل، وهل يتمكن حقيقة من توجيه الإنسان إلى الاتجاهات والمذاهب والطرائق التي يريدها هو له؟ هذا ما سنتعرف عليه من خلال ما سيأتي ذكره في هذا الفصل، وهذا هو ميدان غسل الدماغ" الذي نحن بصدد دراسته. يتضمن هذا الفصل إيجازا حول مفهوم غسل الدماغ وتعريفا ته وأساليبه العملية وأسسه وتطبيقاته واستخداماته. ولا بد من الإشارة إلى أن الفهم الصحيح والمتكامل لعمليات غسل الدماغ لا يمكن أن يتم إلا من خلال التعرف على مواضيع أخرى كالحرب النفسية وأساليب الدعاية والإشاعة وتغيير الإتجاهات، وليس بمعزل عن هذه المواضيع وذلك للتداخل والتناغم والتكامل بين موضوع غسل الدماغ والمواضيع الأخرى. كذلك من المفيد أن نذكر، أهمية هذا الموضوع وفاعليته وحيويته بالنسبة للعاملين في الأجهزة الأمنية والعسكرية والسياسية، إلا أنه يبقى موضوعا حيويا في الحياة عموماً ويمكن تكييفه وتطويعه وتوظيفه في مجالات أخرى غير التي ذكرت أنفاً، كما في الإعلام والطب والتربية والتجارة. وسنحاول في هذا الفصل التطرق بشكل موجز إلى هذه المحطات بالقدر الذي يوفر صورة شاملة وليست ضيقة لاستخدامات غسل الدماغ في المجتمع عموما. فضلاً عن ذلك فإن الفصل سيتطرق إلى أساليب المواجهة والحصانة العقائدية التي يحتاج إليها الفرد في

التدريب على مقاومة اساليب غسل الدماغ ومواجهة فعالياته المختلفة خاصة تلك التي تتعلق بجوانب العقيدة الراسخة والمبادئ الثابتة.

مفهوم غسل الدماغ: وتعرّف عمليات غسل الدماغ:

1. يعرّف (صلاح) غسل الدماغ (المخ) بأنه أية محاولة تستخدم لتوجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد الحر أو ضد إرادته أو عقله.
2. أما في برنامج الحكومة الصينية بأنه (برنامج التثقيف السياسي الذي يقوم أساساً على: أن كل الناس الذين لم يتثقفوا في المجتمع الشيوعي لا بد أن يكون لديهم اتجاهات ومعتقدات برجوازية ومن ثم يجب إعادة تثقيفهم قبل أن يحتلوا مكانهم في المجتمع).
3. ويعرّفها عالم النفس الهولندي (ميرلو) بأنها قتل العقل، ذلك أن العملية توجد خضوعاً لا إرادياً، وتجعل الناس تحت سلطات نظام لا تفكيري وتكون في غمرة رق آلي لا حيلة لهم فيه ولا قدرة.
4. وعرّفها (فخري) عملية تحويل الاتجاهات وغرس الأفكار والعقائد الجديدة أو إزاحة القديمة وبناء أيديولوجيات ومذاهب جديدة.
5. ويرى حامد بأنها (عملية تطويع المخ) وإعادة تشكيل التفكير.
6. ويعرّفها كامل بأنها (عملية تغيير الاتجاهات النفسية للفرد أو الجماعة من خلال إعادة تشكيل التفكير بصورة أخرى).

ونعرّف عمليات غسل الدماغ على أنها:"عمليات مبرمجة ومنظمة تهدف إلى غرس أفكار جديدة أو تحوير أفكار موجودة أصلاً، مع تحويل الاتجاهات والاستعدادات أو تغييرها على مستوى الأفراد أو الجماعات في محاولة لتشكيل أنماط جديدة من التفكير قد تناقض الأنماط السابقة".

لمحة تاريخية:

الأمثلة عديدة لعمليات غسل الدماغ وتغيير الاتجاهات في التاريخ القديم للبشرية وإلى يومنا هذا ونكتفي هنا بمثال واحد.

مسلك الرهبنة والعرافة: للمذاهب القديمة طقوسها ودروسها ومناهجها لتربية وإعداد المنتمي (المريد) الجيد ليصبح مؤهلاً لممارسة طقوس ذلك المذهب وتقديمه وتنفيذه. وما كان يجري في معابد الأغريق القدماء في (كورنت وتروفينوس ويرليسوس) مثال واضح على ذلك، إذ يؤخذ المنتمي الجديد ويوضع تحت مراقبة الكهنة القدامى المتحجري العواطف، ويحاط بعزلة وصمت ثقيلين، ويسقى شراباً معرقاً. وينقل بعدها إلى كوخ ليغفو على سرير من الأوراق والأزهار تحت وقع نغمات موسيقية عذبة، بعدها يتهيأ لتناول (ثمرة الحياة) وليختار بين طريق الحق والباطل ويلقّن أسرار العقيدة وفلسفتها بعد التطهر بالماء والنار ويمر بعدها بمعاناة أشد، إذا أراد المزيد من أسرار العرافة والكهونية فيمنع من تناول بعض المأكولات ويبقى صامتاً طاهراً نقياً بعيداً عن الممارسات الجنسية ولا يشرب إلا الماء

المقدس، ويستحم في ماء البحر ويتناول المسهلات، ثم يتعرض إلى تجربة مريرة بين (الموت والحياة) فيعرى ويقف أمام (الحاكم الأعظم) الذي ينطق عليه بحكم الإعدام فيقتاده أحدهم نحو منحدر يؤدي إلى كهف مظلم يمثل عالم الموت، وتتراوى له الأشباح المخيفة والأصوات المرعبة المعولة في الظلام وتهاجمه أيادي خفية وتلطخه القاذورات وتلاحقه أسواط نحاسية فلا يستطيع الفرار. ويؤمر بالاغتسال في بركة ويتطهر ثانية ليظهر أمام (محاكمة) ثانية فيحكم من شعر رأسه ويطرح أرضاً وتضربه (العفاريت) فإذا بلغت به المهانة واحتقار الذات الدرجة المطلوبة بادره الكاهن المستتر برفع معنوياته وتلطيف عذابه بجرعة من شراب (نهر النسيان) لينسى الحاضر ويؤخذ بعدئذ إلى سحرية فيدور حولها ويدور بجهد وتؤدة.. إلى أن يتمكن من الانفلات بإشارة من الآلهة، عندئذ (يبعث) من جديد ويمنح اسماً جديداً ومسوحاً جديدة ويتناول الحليب والعسل ويصبح من المتنوّرين الحكماء وخدام المعبد وأتباعه.

أساليب غسل الدماغ:

يمكن تلخيص أحد أساليب غسل الدماغ التي تستخدم للأغراض الخاصة والقسرية بما يأتي:

1. عزل الفرد عن الحياة العامة في (معتقل - مستشفى - سجن).
2. تركه لمدة طويلة دون أن توجه له أية اتهامات.
3. إعطاء وضع خاص له ولا ينادى باسمه وإنما ينادى برقمه وإيصاله إلى حالة لا يعرف لا الزمان ولا المكان ولا حتى اسمه.
4. جعله يدرك بأن أعز الناس إليه قد تخلى عنه من أهل وأقارب وجماعات ينتمي إليها.
5. الحرمان من الطعام أو الإقلال من كميته إلى نسبة معينة فقط للإبقاء على حياته.
6. إضعاف قدرته وعدم تمكنه من التحكم بإرادته من خلال استخدام العقاقير والمخدرات.
7. استخدام الصدمات الكهربائية.
8. إقلال ساعات النوم أو حرمانه منها، وعند استجوابه تختار الفترات التي يكون فيها ناعساً.
9. تهديد الفرد واستخدام العنف معه بكافة أشكاله.
10. خلق حالة من الخوف والقلق لديه يومياً.
11. إشعاره بأنه تحت طائلة الإعدام
12. حرمانه من الملابس الكافية.
13. التعذيب النفسي بكافة أشكاله.
14. إيصاله إلى حالة يريد الخلاص من نفسه.
15. يصبح الفرد مثل الطفل بحيث يعتمد على الآخرين.
16. تعريضه إلى المرض النفسي والجسمي على حدّ سواء.
17. استخدام شتى أنواع التعذيب الجسدي.
18. إقناعه بأنه متهم بتهمة خطيرة وأنه مذنب ولا بد له من الاعتراف وإلا بقى على هذه الحالة.

إن هذه العملية قد تمتد بحيث تستغرق بضع سنين أو قد تقتصر على أشهر معيّنة، وهذا يرجع إلى الاختلاف الحاصل في شخصيات الأفراد فمنهم من يستسلم فجأة ومنهم من يقاوم ومنهم من يتردد أول الأمر، وبعد أن يصل الفرد إلى حالة الاعتراف الأولي تبدأ المعاملة في الاختلاف بشكل تدريجي حيث يبدأ ما يأتي:

1. التساهل في المقابلة.
2. زيادة كمية الغذاء.
3. تزويده ببعض الملابس.
4. السماح له بالتجول في باحة السجن.
5. يعتذر له عن المعاملة السابقة.
6. إشعاره أنه في وضع آخر.
7. دفعه إلى مزيد من الاعتراف وان الاعتراف يؤدي إلى تحسين المعاملة معه أكثر.
8. بعد أن تتم عملية التحول من الأفكار القديمة تبدأ مرحلة جديدة وهي إقناعه عن طريق المقابلات الشخصية بوجهة النظر الجديدة والأفكار المراد غرسها، وقد تتم هذه العملية مع الأفراد بشكل فردي أو جماعي.

الأسس العلمية لغسل الدماغ:

1. وضع الفرد المستهدف في حالة من الصداع والتحفز العصبي الذي يؤدي إلى إرهاق العقل والجهاز العصبي بحيث يرتد إلى حالة الإنهاك والاستسلام، فيفرغ ما فيه من عادات وأفكار سابقة نتيجة الضغط النفسي الواقع عليه وهذا هو ما نسميه بعملية التنفيس والضغط النفسي. وقد يكون بمفعول الألم الشديد أو عدم التحمل أو الانهيار والإغماء أو الذهول والسدر، وقد يحدث في أثناء ذلك صراع مع الضمير أو القيم الأخلاقية (من رشوة وجنس وخيانة ومكاسب).
2. ويتبع التنفيس والتفريغ العقلي زرع وبث الأفكار والاتجاهات الجديدة بالإيحاء في أثناء الاستفاقة والرجوع إلى الطبيعة، حيث يكون الجهاز العصبي في حالة الاستسلام وتقبّل الجديد من الأفكار والسلوك، وهذه هي عملية خاصة من (الترويض الفكري) والرعاية النفسية الموجهة.
3. ثم يتعرض الفرد بعد ذلك إلى سيل متدفق وأسماء متكررة من تلك الأفكار الجديدة - بأساليب وصيغ مختلفة - وحتى يعتنقها. وبهدف تحويل هذه الأسس الثلاث التي تعتمد لعمليات غسل الدماغ، يقوم المشرفون عليها باستخدام عدد من وسائل الضغط والاحباط، مستفيدين من العلوم النفسية والطبية في تنفيذ إجراءاتها، ومنها:

1 - الألم:

إن الألم البدني والخوف من وقوع الألم يضغط على الجهاز العصبي ويقربه من حالة الانهيار والتسليم، فتعميق الخوف من وقوع الألم، كزيادة الألم تدريجياً أو تقطيعه، يفرغ الدماغ من مقوماته الفكرية ويعرضه إلى الإيحاء والاعتراف ومن ثم تقبل الأفكار الجديدة.

2 - الإهانة:

من مقومات حياة الإنسان في أثناء الضجة هي إدراكه لذاته وشخصيته المتميزة بين المجموع واحترامه وترتكز نظرية (أدلر) الفردية على مبدأ (إعلاء الذات) وكذلك مدارس نفسية أخرى حديثة، فتشويه احترام الذات في نظر الفرد نفسه يمارس عليه ضغطاً نفسياً، ومن هذه الأساليب مثلاً إرغام الفرد على نزع ملابسه أو تقديم الطعام بأوقات غير منتظمة والتضييق والتشديد على إجراءات الذهاب للمرافق الصحية (التواليت)، علماً أن الإهانة نسبية دائماً فما يعتبره شخص إهانة له، كإجباره على الوقوف مدة طويلة، قد يكون غير ذي أثر عند شخص آخر.

3 - تشويه الشعور بالزمان والمكان والمصير:

يؤكد علماء النفس والفسلجة العصبية ان الجهاز العصبي وكل أعضاء الجسم تمتلك نسقاً أو ساعة باطنية تنظّم الأفعال وتحافظ على ثبات داخلي مما يضمن راحة العيش والفكر، فالتشويش والتلاعب بالشعور والزمان والمكان وكذلك المصير ينقل الإنسان إلى حالة الضياع ويكون أكثر استعداداً لتقبّل الجديد الذي يكون فيه الأمل والنجاة والعودة إلى حياة منتظمة.

4 - تهديد العائلة والأصدقاء:

حرص الإنسان على سلامته وأسرته وأصدقائه والأواصر الوجدانية، أمور إذا ما تعرضوا للتهديد أو الشك في وقوع هذا التهديد تعتبر ضغطاً نفسياً آخر على الفرد المستهدف.

5 - استغلال عذاب الآخرين:

وفي الأخص صرخات النساء (من عوائل السجناء أنفسهم) وتكون مسجلة على أشرطة يسمعها السجين بمكبرات صوت وسماعات خفية مما يدفعه إلى الانهيار والإعتراف والمطاوعة.

6 - تناقص الإحساس والحرمان الحسي:

العزلة الاجتماعية والوحدة والسجن الانفرادي واستعمال غطاء الرأس والأقنعة السوداء تضعف الذاكرة وتزيد الهلوسة والتخيّلات وقلة الشهية وفقد الوزن وتؤدي أحياناً إلى الجنون والانتحار.

7 - الحرمان من النوم:

يقضي الإنسان نصف عمره تقريباً في النوم، وهو ضرورة حيوية للراحة النفسية والجسمية، والنوم نسق وأدوار، فالحرمان منه وإرباك نسقه يشوّش التفكير ويعرّض الإنسان إلى الإيحاء والاستسلام والانهيار تحت ضغوط أخرى مصاحبة له، ويستخدم الحرمان من النوم في استحصال الاعترافات أو تحطيم معنويات المحاربين أو تليين العريكة للمقاومين وحصول انصياعهم.

8 - الحبس الانفرادي:

نوع من الحرمان الحسي طوره الألمان على جماعة (ماينهوف) الإرهابية بطريقة دعوها طريقة (الأرض الصامتة) منها صبغ الحيطان والأثاث باللون الأبيض وإنارة الأضواء ليلا نهارا وتعتيم الشبابيك بحيث لا يرى من خلالها أي شيء وقد أدى ذلك بأحدهم إلى تجويع نفسه حتى الموت، وأدت إلى انتحار زعيمهم (ماينهوف) بالشنق عام 1976.

9 - الثواب والعقاب:

يعتبر الثواب والعقاب من محركات السلوك الاجتماعي الخطيرة إذ بالإمكان تحديد نمط السلوك بهما مثلما فعل (بافلوف) في تجاربه مع الكلاب، وهكذا إذا تكلم السجين أطعموه.. وإذا قاوم أو شاكس عاقبوه.

10 - تحطيم وحدة المجتمع:

وهو من العوامل المهمة في الاعتراف والمطاوعة وغسل الدماغ، فقوة الفرد ليست ذاتية فقط بل جمعية ويستمدها من معنويات وتماسك الجماعة والفئة التي ينتهي إليه كعضو، فثباته وصفاء فكره ومبادئه القوية يمكن أن تتعرض إلى التمزق والخفوت إذا تشتتت وتفرقت الجماعة بأساليب التحوير

11 - تقوية المنافع المادية:

أنانية الأفراد تمزق وحدة الجماعة وذو التربية والمثل الضعيفة، تغريهم المكافآت واللذائذ الهينة، كالطعام والنقود، وبالمنفعة المادية يمكن الكشف عن أولئك الذين يمكنهم التعاون مع العدو وتسهيل مآربهم أو تنفيذ خططهم.

12 - التهديدات الغامضة:

كل خطر وتهديد غير واضح المدى والشدة والهدف يكون أكثر وقفاً على الآخر مشجعاً له على الانهيار.

إن (العصاب التجريبي) الذي أحدثه (بافلوف) في حيواناته التجريبية كان بسبب الغموض والالتباس في الحوافز والمنبهات التي تعرضوا لها، وعندما يفقد الإنسان قدرة التمييز بين الضغوط الواقعة عليه يتعرض للقلق والعصاب والانهيار والصمت الرهيب الطويل في مواقف معيّنة هو من ضمن الغو امض التي تحير الإنسان.

13 - استغلال الشخصيات البارزة:

تصلح الشخصيات المرموقة وذات المكانة الاجتماعية الخاصة أن تكون رمزاً يقتدى به مثل: السياسي ورجل الدين والعالم والمفكر، ومثل هذه الشخصيات البارزة تسهّل تغيير المواقف، إذا هي أبدته ومارسته وشجعته.

14 - الكذب:

يعرف المحقق الجيد كيف يكذب على الأسير أو السجين وكيف يكشف عن كذب الأسير إما:

أ. بجهاز كشف الكذب.
ب. بجهاز تحليل نبرات الصوت.
ج. باستخدام مجموعة أسئلة واستفتاءات.

15 - العقاقير:

وأهمها المخدرات والمهدئات والمهلوسات التي تساعد على التنفيذ ثم تقبّل الإيحاءات وليس كل ما يقال عن مفعول العقاقير السحري صحيح علمياً أو مضمون النجاح، وما يطلق عليه (عقار الحقيقة) وتصورات وادعاءات شخصية لا أساس لها من الصحة، لكن الأدوية تلين العريكة فإذا كانت مخططة ومبرمجة فقد تنجح في حالات

خاصة فقط.

15 - الألوان:

كذلك للألوان المحيطة بالإنسان مؤثر فسلجي عصبي له مفعول في الجهاز العصبي، فهنالك الألوان المثيرة وتقابلها الألوان الهادئة والألوان الكئيبة والألوان المزعجة.

16 - الجنس واللذة:

الجنس حاجة بايولوجية فطرية وعندما تتوفر الحاجات الأولى للحياة فإن الحافز الجنسي يصبح أداة للتأثير في الاتجاهات والإغراء والسيطرة على الاتجاهات الفردية أو العامة، وتلعب نظرية (فرويد) في ذلك دورها البارز، لكن الجنس وتأثيره بعد سن الرشد لم يعدّ نظرية فرويدية فحسب بل أداة مؤثرة اجتماعية عامة، أي أن الإغراء والمضمون الجنسي للأفكار يؤثر في السلوك.

17 - الأناشيد والتراتيل:

للأناشيد والتراتيل مفعول كمفعول التنويم المغناطيسي وإذابة الفردية والاندماج مع المجموع، والنشيد مشاركة انفعالية وفكرية لأنه تجميع الشعور بالحماس وبالفكر، فكلمات النشيد لغة فكرية حتى لو أنشدها الفرد بصورة آلية لكنها تدخل في عقله اللاشعوري فتشدّه روح الجماعة ومنها إلى أفكارها ومذاهبها، وهذا هو نفس مفعول التراتيل الدينية كذلك.

18 - الأصوات المرتفعة:

فالأصوات العالية وقرع الطبول تجمع الأفراد في رقصة أو طقوس أو ممارسات تقليدية تجعل الفرد جزءاً من كتلة ذات اتجاه ومذهب واحد، أما الضوضاء والصخب والنغمات النشاز المختلطة والعالية جداً فهي على العكس من ذلك مزعجة ومرهقة للجهاز العصبي، وتؤدي إلى تفريق الجماعة أو تشتيت التجمهرات وإلى الضعف والتعب والانهيار، وهكذا نجد أن الصوت ونوعيته أسلوب علمي فسلجي في غسل الدماغ، لكنه ذو وجهين متناقضين، هو موجه للجماعة وتجانسها أو مشتتاً ومفرقاً لها.

19 - التكرار والتعزيز:

إن التكرار والإعادة بالاقتران في شتى المجالات الفكرية والإعلامية، لا بد أن يحدث تغييراً في الاتجاهات وهي القاعدة الأولى في نظرية التعلّم الشرطي التي بدأها (بافلوف وواطسون)، ومن ثم مدرسة التعلّم الحديثة إنها بالأحرى المثابرة على التعزيز والتأكيد، مثال ذلك: المثابرة على تذكير المواطن بأضرار التدخين أو التحذير من القيادة في حالة السكر.

غسل الدماغ وتغيير الاتجاهات:

تعّد عملية غسل الدماغ تغييراً في اتجاهات الفرد من خلال تعرضه لمواقف مختلفة، إذ أن الكائن الإنساني يوجّه الغرائز البايولوجية والحاجات الاجتماعية لديه نحو أهدافه لتحقيقها أو إشباعها، فلو فرضنا أننا نريد تغيير مواقف اتجاهات بعض الأفراد نحو اتجاهات أخرى، إذا لنتعرف على الأمثلة الآتية:

1. الحب والكره: لو افترضنا أن زوجاً يحب زوجته حباً قوياً وأن هذا الاتجاه تعزّز وتقوّى لديه، ولكن من خلال موقف قد ينقلب هذا الحب إلى اتجاه مناقض له تماماً وهو الكره إذا أحس هذا الزوج أن زوجته تخونه.
2. امرأة بيضاء يعتدي عليها رجل أسود جنسياً، ستكون هذه التجربة فريدة في حياة هذه المرأة تجعلها تكره السود وتعزز من اتجاهها العدائي في كل مناسبة.

كيف تتكون الاتجاهات:

تتكون الاتجاهات وتنضج بخطوات وتطورات عديدة، أهمها ما يلي:

1. في فترة نمو نضج الطفل العقلي في السنين الخمس أو الست الأولى.
2. بالمصاحبة مع أشخاص وجماعات وهيئات - رسمية أو غير رسمية - تؤثر فيه باستمرار.
3. التجارب الشخصية الحادة والنادرة خلال حياة الفرد.
4. الحالة العقلية والانفعالية للجماعة التي ينتمي إليها الفرد.
5. الحالة النفسية الخاصة، فالاتجاه الفردي الذي يستوحي ويمتص الإيحاءات والتعليمات من جماعة لا ينفك بدوره عن إتخاذ اتجاهاته الخاصة النابعة من حالته النفسية الشعورية واللاشعورية.

كيف تتغير الاتجاهات:

1. تغيير الإطار العام:

أي المرجع والمنبع الذي يستقي منه الفرد اتجاهاته ويشمل هذا الإطار: الجماعة (الفئة والحزب)، الأصدقاء المتربين ذوي النفوذ، المحيط العائلي، المفاهيم والقيم والتقاليد العامة في المحيط أو المنطقة أو المحلة.

2. تغيير موضوع الاتجاه:

أي تطويره حسب ثقافة الفرد وسعة إدراكه كما في هذا المثال. إن رأي بعض قطاعات الناس في رجال الشرطة حساس ويتراوح من الحذر إلى الخوف وإلى عدم الارتياح والكراهية. ولاحظ علماء النفس ذلك في أمريكا لأن رجال الشرطة لهم آراء خاصة أيضاً تجاه الجمهور، فأجروا المحاولة التالية لتغيير اتجاهات وشعور الجهتين نحو بعضهما البعض، بعقد اجتماعات مشتركة وتوعية وتوجيه أسئلة وتحليل الإجابات لمعرفة مدى نجاح العملية، وحدث فعلاً تغيير ملموس في اتجاهات المجموعتين.

3. وسائل الإعلام والتوصيل:
4. وسائل التربية والتعليم السائدة والرسمية:

كما يحدث في أمريكا مثلاً في تربية وتعليم أطفالهم عن الزنوج أو العرب أو الهنود الحمر، فقد وجد من خلال كتبهم المدرسية المقررة

(وكذا الحال في إسرائيل) ان التلميذ الأمريكي في المرحلة الابتدائية والثانوية يدرس عن العرب ما يلي:

أ. أنهم دعاة حرب وإسرائيل ضحيتهم
ب. أنهم نشروا الإسلام بالسيف والقوة
ج. أنهم راكبو الجمال وسكان الصحراء

وفي المقابل، فإن القرارات الدراسية في العديد من الدول العربية والاسلامية، تحث على ترسيخ مفاهيم متطرفة من خلال غرس منظومات فكرية تتضمن الكراهية والبغضاء والحقد نحو الآخر على المستوى الديني والمذهبي والطائفي والقومي.

- تغيير الموقف الفعلي:

وهذا أمر طبيعي نعرفه جميعاً، فموقف الموظف يتغير عندما يتولى هو رئاسة الدائرة، ويتغير موقف سائق السيارة عندما يسير في الشارع وعلى الرصيف.. وهكذا.

6. تغيير الأصحاب أو منع الاتصال بالأشخاص الحساسين الذين يخشى منهم تغيير الأفكار.
7. استغلال الأحداث الهامة والمؤثرة في تغيير الرأي العام ففي عام 1940 وقبل سقوط فرنسا في الحرب، كان 35% من سكان أمريكا يرون مساعدة بريطانيا دون التورط بالحرب، لكن سقوط فرنسا بعدئذ أدى إلى مضاعفة نسبية المؤيدين لدخول الحرب، لكن حادثة (بيرل هاربر) حسمت الموقف وجعلت الاتجاه إلى دخول الحرب قوياً في عام 1941.

ميادين غسل الدماغ:

إن عملية المذهبة وبناء الأفكار أو تقويمها تجري في عدة ميادين ومجالات في الحياة الاجتماعية والفكرية والعاطفية، وقد يتخذ غسل الدماغ هدفاً مفيدا أو يكون على النقيض من ذلك عملية سيئة وضارة، وفي النقاط التالية توضيح اجتماع أهداف متناقضة من خلال عملية واحدة.

أولاً. أن الميدان البارز والأول الذي ظهر من خلاله مصطلح غسل الدماغ ودراساته وتطويره هو صراع العقائد والمبادئ والأفكار المختلفة في العالم لتنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمجتمع أو شعب أو أمة.. وقد نتسع في هذا الميدان إلى حدود المعسكرات والمحاور ومجموعات الدول. ويدور الصراع الفكري هذا في المناسبات والظروف الآتية:

أ. من خلال الحركات العنصرية والاستيطانية كما يحدث الآن بين الفلسطينيين والاسرائيليين أو كما يحدث في أفريقيا وأمريكا اللاتينية من حركات ضد الزنوج والهنود الحمر.
ب. في أثناء الحرب الفعلية بأنواعها، وهنا تلعب الحرب النفسية دورها المعروف.
ج. بين مجموعات أسرى الحرب
د. بين مجموعات المرتدين والهاربين من المعارك

هـ. بين السكان المدنيين في الأراضي التي يحتلها جيش أو دولة.

ثانياً. في السياسة العامة للتربية والتعليم، إن أحداث أي تغيير اجتماعي (بالتعليمات أو الأنظمة أو القوانين المتطورة بعدئذ) يتطلب تغيير اتجاهات ومفاهيم قديمة وبناء وغرس قيم وعادات وأفكار

جديدة يعتنقها الجيل الناشئ ويهضمها لتصبح نمطا سلوكيا له، ويتم ذلك عادة من خلال مناهج التربية والتعليم في المدارس والجامعات.

ثالثاً. في التربية الدينية: ويهدف إلى ديمومة العقيدة الدينية، إذ يتم كذلك بالتربية والتعليم ابتداءاً من البيت، ولذلك أسلوبان:

أ. التربية الدينية الأصولية في كل بيت ومدرسة ومجتمع.

ب. بالتبشير الذي يسعى إلى نشر وبناء فكر ديني جديد.

رابعاً. في التوجيه الصحي: فالصحة العامة من مسؤولية الدولة ولا يمكن ترك الشعب على جهله بالأمور الصحية أو تحت رحمة المرض، وكل ذلك يتطلب توعية وتثقيفاً وضبطاً وإدارة صحية بما في ذلك، مجابهة أفكار قديمة أو تقاليد وعقائد خاطئة وخرافية، وهي عملية تحويل وتقويم فكري هادف دون شك، مثال ذلك الحملة ضد التدخين وأهمية الحليب للأطفال وفوائد التلقيح ضد الأمراض والاستشارات الطبية المختلفة.

خامساً. في العلاج النفسي: وهو نوع خاص من النشاط الصحي لكنه يقتصر على الفكر والعقل وتقويم السلوك والأفكار المرضية الشاذة والخاطئة بالعلاج النفسي بالطرائق والأساليب المختلفة وكذلك بالعقاقير.

سادساً. الإقناع التجاري: ويتضمن مختلف الحيل الدعائية لتسويق البضائع الجديدة أو القديمة للمصانع والشركات والوكالات وإقناع الزبون بالشراء.

سابعاً. بناء المجتمع الجديد: فالتغيير والتطور الحضاري في ميدان التربية والتعليم في المدارس والجامعات هو جزء من عملية ضخمه واسعة تهدف إلى بناء فكري هادف واعداد المواطن الصالح، ويستدعي ذلك تهذيب المفاهيم والعادات والاتجاهات واستنباط التاريخ والتراث والعلم والأدب للارتقاء بالمجتمع والدفاع عنه أمام التيارات أو الاتجاهات السيئة والضارة، هذا بالإضافة إلى احتمال الاصطدام بالخرافات والعقائد الفاسدة وتحويرها.

سبل مكافحة أساليب غسل الدماغ:

1. **محاربة الغزو الثقافي فالغزو الثقافي جبهة كبيرة مفتوحة للسامع من الإذاعات والإشاعات وللمشاهد من الأفلام والتلفاز وللقارئ من الكتب والدوريات، ووجود جهاز فكري وطني يقظ وحذر في مواجهة الدعاية المد سوسة والأفكار الملغومة والرد عليها ومواجهتها بحكمة وعقلانية أمر لا بد منه ليس بمجرد المنع بل بالرد غير المباشر بوسائل الإعلام.**
2. **مكافحة النزف الفكري، فهجرة الأدمغة من الأمراض التي تعانيها مجتمعات معظم الدول النامية، لأن البلدان المتقدمة أصبحت محطات جذب كبير لذوي الكفاءات مما يؤدي إلى (فقر دم) بطيء تعاني منه معظم الدول الناشئة وقوانين وأنظمة إرجاع الكفاءات وأقناعها وتأمين حاجاتها والحفاظ على الصلات الثقافية والوجدانية معها هو ثروة فكرية ومجتمعية بالطبع.**
3. **المثابرة والتكرار: ففي كل الميادين الخاضعة للتغيير الفكري يكون الوعظ والتوجيه والتوعية والتأهيل والرعاية المستقرة والمعادة بكفاءة ومثابرة تساعد على تصلب**

المقاومة والعقيدة.

4. القيادة الكفوءة: إن القائد أو مسؤول الجماعة يكون عاملاً مهما في الصلابة والمقاومة إذا كان يتصف بخصال الحرص، التتبع، الحزم، النظام، التواضع، سرعة البديهة، تحمل المسؤولية، القدرة على اتخاذ القرارات، فضلاً عن المرونة والإعتدال والوسطية في قيادة المجموعة.
5. الوقاية من الدعاية الخادعة: وهي إجراءات رسمية دولية عامة تختلف عن مكافحة الغزو الثقافي وتتم عن طريق منظمات دولية ومنها، منظمة الصحة العالمية واليونسكو واليونسيف...، وتحذر الدول من بعض الإجراءات أو المواد أو البضائع أو العادات الخاطئة المضرة بالصحة العامة (بدنية ونفسية) أو بالصحة المجتمع، كأضرار المخدرات أو مخاطر التدخين وعلاقته بالسرطان... وبالأغذية... وبالقوانين.
6. الحياد والموضوعية: وخاصة في حالات الاستجواب أو الأزمات الحادة المفاجئة، فقد تأكد أن (التوتر) يؤدي إلى إحدى نتيجتين:

أ. إما التعاون مع العدو - أي المطاوعة - فإزالة التوتر.

ب. أو المقاومة، ثم الانسحاب من التوتر.

7. التمريض والرعاية الأولية: وهي المرحلة الحرجة والمهمة بعد كل انهيار عصبي أو هياج أو إغماء وتنفيس، ففي مرحلة الإنهاك وما بعد الإغماء (من طقس ديني أو عمل وتمرين أو تجربة قاسية أو استجواب) يكون الجهاز العصبي في طريقة إلى الاستفاقة ويصبح الشخص قابلاً للإيحاء، لذلك يصبح من الضروري بعد إتمام أي احتفال شعائري وغيره إبقاء الفرد في حالة وقائية (تمريضية) مريحة لإدخال الأفكار وتعزيزها.
8. دقة اختيار المنتمين: إن اختيار المنتمي الجديد إلى حزب أو جمعية أو فرقة يحتاج إلى مواصفات، كذلك اختيار المحارب الجيد، وقد أصبح اختيار المحاربين خاضعاً الآن إلى مجموع فحوصات نفسية سريريه (اكلينكية) وبطاريات أسئلة واختبارات، في حين كانت في السابق تعتمد على خبرة القادة والرؤساء القدامى، وكلا الأسلوبين يدلل على أن حسن الاختبار يضمن حسن المقاومة والتصلب، وهو تطبيق قاعدة وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.
9. المراسيم السلوكية: التي يعتمدها البعض للوقاية ضد التحول والتذبذب العقائدي مثل:

أ. إحكام السيطرة والتوافق بين أفراد الجماعة، على أساس التعاون والمحبة.

ب. ترسيخ الأفكار بالتكرار، ومناقشتها والتحاور الإيجابي حولها.

ج. تشجيع الديمقراطية في التعبير عن الرأي.

10. التدريب الجيد: ومن المهم تعليم أفراد الوحدات القتالية على مختلف أنواع الشدائد الفكرية والجسمية، مثل: أهمية التنظيم وكيفية التصرف بعد الأسر، والاستفادة من المحاضرات وتقارير الأسرى القدامى والأفلام والتعليم على عدم الراحة البدنية والسهر دون نوم لمدة (5) أيام والوقوف (48) ساعة.
11. اختلاق الجو المريح: أي أن الفرد المعرّض للضغوط يحاول أن يجد لنفسه ما يريحه من بين عشرات الأشياء غير المريحة ضده، وهو شعور داخلي بالرضا والإيمان والتسلح بروح المرح أو الدعابة أو الصبر على البلاء، كما صبر على البلاء أوائل المؤمنين وأتباع الرسل والأئمة الطاهرين الذين تعرضوا للاضطهاد والسجن والتعذيب.
12. تدريب الأسرى: لما كان الأسر مفتاحاً لغسل الدماغ وتغيير الاتجاهات، فمن أسس المقاومة إذن تدريب المحارب على عدم الوقوع في الأسر، خاصة من قبل قوات الاستطلاع والمظليين والقوات الخاصة، عموماً يجب تدريب المحارب على كيفية التصرف في أثناء الأسر وأن يطبّق ما تعلّمه من تعليمات وهي:

أ. الحفاظ على وحدة المجموعة ومعنوياتها بالتعاون والتضحية.

ب. تقوية الشعور لدى الأسير بانتمائه إلى مبدأ أو قضية وبأنه شخصية ذات وجود.

ج. المراقبة والانتظار والصبر خير بديل للتأمل والأحلام القانطة اليائسة في عملية المقاومة والصد.

د. الانسحاب الوجداني، ويذكر الطبيب (ستراسمان) أن من الطرق الناجحة التي تمنع الأسير عن التعاون مع العدو وتجنب عقوباته هو الانسحاب الوجداني من كل شيء حسب الإمكان عدا العلاقات العادية مع الأسرى والسجانين.

هـ. عدم التعاون: ويكون ناجحاً إذا رافقه البرود الوجداني فالإهمال

وعدم الاكتراث الذي يترك العدو في حيرة امام علاقات التحدي والاستخفاف، فلا تجدي نفعاً بل تزيده غضباً وعنفاً.

و. اكتساب الراحة الجسمية، فطنة الأسير وتدريبه المسبق يقوده إلى معرفة كيفية اختلاس أية فرصة تتسنى له للراحة الجسمية فينتهزها بدل تحمل الهموم والتوتر والأتعاب.

ز. الإيمان والقسم، وهو تدريب وتنظيم وأعداد لمعنوية المحارب لو وقع في الأسر.

13. منع الارتداد: فتمريض وتأهيل المرتدين التائبين، أي الراجعين إلى جيشهم بعد هربهم أمر حيوي، ويجب معاملتهم بأسلوب خاص بعد درس سجلاتهم.

حقيقة مفعول غسل الدماغ:

والآن، وبعد هذا العرض الموجز لمعنى مفهوم غسل الدماغ وآلياته وأساليبه وأسسه وفوائده ومقاومته، لا بد لنا أن نتساءل عن مدى قوة وفاعلية غسل الدماغ في المذهبة وتحوير الأفكار؟وبالرغم من التشابه الكبير بين فروع علم النفس بصورة عامة، إلا أن عدداً من هذه الفروع تتخذ لنفسها منهجاً فكرياً وعملياً في البحث والتطبيق قد يختلف عن غيرها من الفروع. وقد يصل هذا الاختلاف إلى حدّ التنافس أحياناً، كما هو الحال بالنسبة لعلم النفس الأمني وعلم النفس العسكري وعلم النفس السياسي، إذ ينظر إلى هذه الفروع التي تنطوي على بعض الخصوصية في طروحاتها وبما يتناسب مع المنهج الذي تبحث فيه، على أنها تلجأ إلى السرية والكتمان، وتعتمد على استغلال أسس الحرب النفسية ومحاولة تغيير اتجاهات الفرد والتأثير عليها من خلال معرفة إمكانات الدماغ البشري والجهاز العصبي المركزي والتلاعب قصدياً بآليات عمله عن طريق العقاقير أو بعض المواد الكيماوية أو عن طريق استخدام التقنيات الكهربائية والإلكترونية في الضبط والسيطرة. وإذا كان الإنسان الفرد، لايرضى بغير الحرية منهجاً وأسلوباً في الحياة، فإن الشعوب والامم والبلدان تسعى جاهدة لممارسة دورها في الحرية والديمقراطية والاستقلال، رافضةً الاستبداد والتسلط والهيمنة، داخلياً كان أم خارجياً، متشبثة بإعلان حقوق الإنسان ووثيقة حقوق الطفل وتشريعات حماية المراة من الظلم والعنف. لذلك وهي ترنو إلى الحرية المنظمة، ترفض كل أنواع الممارسات المتسلطة بحقها، مثل عمليات غسل الدماغ أو وسائل الحرب النفسية او استخدام القدرات فوق الحسية غير المشروع إنسانياً في تكفين طاقاتها الحيوية واعتقال دوافعها للعيش بسلام وأمان.. فضلاً عن ذلك فإن عمليات تغيير الإتجاهات وغسل الدماغ تنطوي في منهجيتها على طرائق وأساليب للمقاومة والتصلد، لذلك فإن هذه العمليات في الواقع، ليست مضمونة النجاح بشكل مطلق، بل بشكل نسبي. كما أن الحقائق العلمية والنفسية في إطار هذا الموضوع تشير إلى عدد من المؤشرات التي لا بد من النظر إليها بعين ثاقبة وقدرة عقلية متفتحة، ومن هذه الحقائق:

1. إن عملية غسل الدماغ لا تؤدي حتماً إلى تخلية وتنظيف العقل البشري من جميع أفكاره

ومبادئه ومسلماته، كما يتصور البعض، فهي ليست عملية تنظيف طبق من الطعام اوكاس من الشراب.

2. على المستوى النقدي ومن وجهة نظر الباحثين في أساليب المقاومة لعمليات غسل الدماغ يشير هؤلاء الباحثين إلى أن الحرب النفسية بكل صورها وأشكالها ورغم تطورها، لم تعدّ كما كانت حرباً سرية وغامضة بشكل كامل كما يحاول البعض أن يصوّرها، مما يجعل العديد من عمليات السيطرة على الدماغ والمخطط لها عرضة للغسل والنكوص، وذلك بحكم التقدم الحاصل في الإعلام والوعي واختيار أساليب الصلادة والمقاومة المضادة للهيمنة على الأفكار.
3. إن حركة الأفكار والنوايا والتوجهات والتي تعتمد في الأساس على المبادئ والعقائد غالباً م تتعرض إلى التحوير والتعديل والتغيير بحكم حركة الحياة وضرورة ديمومتها واستمراريتها وهذا يفرض في المحصلة حركة دائبة في تعديل وتغيير وجهات النظر إزاء المواقف والمحطات بضوء المستجدات والمتغيّرات على الساحة. وهذا يستدعي بطبيعة الحال أن تخضع برامج عمليات غسل الدماغ إلى مواكبة هذه التغييرات والاستعداد الواعي والمرن لصياغة برامج جديدة ومتحركة في مواجهة الموقف الجديد.
4. إن كل ما يمكن تبديله وتحويره في الإنسان هو عدد من الاتجاهات والأفكار والأنماط السلوكية، إذا ما أحسنت صياغة المنهج والبرنامج للوصول إلى هذا الهدف، إلا أن عملية تغيير جوهر الشخصية وبنيتها التكوينية، يعدّ أمراً مستحيلا في الوقت الحاضر على الأقل، إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار منظومة (الخارطة الجينية في الخلية البشرية) وحركة الهرمونات والمواد الكيمياوية في الكائن البشري، إذ لا يمكن أن أحول شخصاً انطوائي في تكوينه البايولوجي إلى شخص انبساطي بشكل كامل.
5. يشير العديد من الدراسات العلمية في حقل الطب النفسي، إلى أن بعض حالات الفصام العقلي التي تتضمن أوهاماً وتخيلات أولية راسخة وثابته لا يمكن هزها أو تغييرها، حتى بالعقاقير والأدوية أو العمليات الجراحية. وهنا يبقى الطب النفسي بكل قدراته وإمكاناته العلمية حائراً في كيفية اجتثاث هذه الأفكار الخاطئة ومعالجة تلك الحالات المرضية، ويعد هذا النوع من المقاومة، مقاومة بايولوجية معندة وغير مخطط لها من قبل المريض.

الخاتمة..

من خلال ما تقدّم من عرض موجز، نعتقد أنه كاف عن ظواهر عمليات غسل الدماغ والتحوير الفكري والمذهبة وتغيير الاتجاهات، هل استطعنا أن نساهم ولو بقدر محدود في تغيير اتجاهات القارئ لهذا الفصل وتحوير أفكاره بالاتجاه الذي يخدم منهجية هذا الموضوع وأهدافه؟ وهل أن من أهداف عمليات غسل الدماغ تطويع العقل البشري وعجنه وقولبته بالطريقة التي نريد أو التي يخطط لها؟ وهل صحيح أن العقل البشري الذي يستمد قوته من المادة البايولوجية والروح الإلهية، يتسم بالضعف والضعة والهشاشة بحيث يمكن التأثير عليه بقوة وسلب إرادته بكل سهولة ويسر؟ أسئلة كثيرة، مثيرة ومحيرة في آن واحد. لكن الحقيقة التي لا جدال فيها والتي نعرفها جميعاً ونؤمن بها بحكم الموروث الثقافي والديني والتاريخي، إن الله تبارك وتعالى، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وحمّله الأمانة التي لم تتحملها الجبال ولا الملائكة، لذلك فهو يتسم بالقوة والسيطرة، بالهيمنة على الطبيعة والعالم بقدراته الفائقة وطاقاته الكامنة. وهذا المضمون بحد ذاته يرد بقوة على من يدعي من الباحثين والمتخصصين في فيزياء الدماغ، أن اليوم الذي يمكنهم تسيير الدماغ البشري آلياً لا ريب فيه وهذا ادعاء يدعو إلى اهانة الدماغ وتفريغه عن قدراته والياته

وبالتالي إهانة كرامة الإنسان وكينونته ووجوده كقوة مركزية مؤثرة ومتأثرة في هذا العالم. إن هذا التوجه وبالتالي التنبؤ في إمكانية تسخير العقل البشري وجعله آلة طيّعة وسهلة بيد القائمين عليه، يلغي دون شك الأبعاد التاريخية والشعورية واللاشعورية والوجدانية والأخلاقية لمنظومة النفس في الكائن البشري، وفي هذا خطورة إنسانية وأخلاقية لا يمكن تصور نتائجها، لأن العلم والتقدم العلمي، أياً كانت توجهاته ومناحيه، وآلياته واستخداماته، يجب أن لا يتقاطع مع الأخلاق بمفهومها الدقيق والمنهجي ووفق ما ينسجم مع تاريخ الشعوب والأمم والأوطان.

لذلك فإننا عندما ندرس عمليات غسل الدماغ وتحوير الأفكار، لا نبغي خروجاً عن منظومات القيم والأخلاق والمعايير الاجتماعية السائدة والمقبولة، ولا ندّعي الرغبة في تحويل الإنسان إلى آلة، نحرّكها كيفما نشاء فنسلب منه الإرادة والإيمان، بل نسعى إلى تحقيق أهدافنا في نفس إطار مفهوم القيم والأخلاق الذي نعتز به في مواجهة قوى العنف والعدوان والتطرف. وهذا حقنا المشروع في الدفاع عن أنفسنا كأفراد وشعوب وأمم لا ترضى بالمهانة أو السيطرة أو الاستبداد فضلاً عن ذلك فإن دراسة موضوع غسل الدماغ بما يتضمنه من إيجابيات أو سلبيات وحسب وجهة نظر القائمين عليه والمخططين لأساليبه وطرائقه لا يمثل بالنسبة لنا القطب الأوحد في العمليات النفسية ذات الأبعاد الأمنية التي نعول عليها، بل هو واحد من مجموعة آليات وبرامج وأفكار نسعى إلى تطبيقها لنخرج في المحصلة بقدر مقبول ومفيد من المعلوماتية تجاه حدث ما أو موقف ما. لذلك فإن دراسة هذا الموضوع وتطبيقاته واستخداماته تقع ضمن هذا الإطار الشمولي من المعرفة وبعقل مؤمن وخلاق ومبدع ومتفتح، يهدف إلى الموسوعية في المعرفة لتحاشي سلبيات بعض نتاجاتها، والعمل بجدية ونشاط نحو ترسيخ قيم الاخلاق الفاضلة والمؤمنة التي تتخذ من بناء السلام وتحويل الصراعات وثقافة الايمان وحوار الثقافات منهجاً لها وأسلوباً متنامياً لحياة جوهرها المحبة والتسامح، والحكمة والعقلانية من أجل أنماط جديدة لحياة أفضل.

المصادر:

- غسل الدماغ، د. فخري الدباغ، 1980، طبعة بيروت، دار الشروق للنشر.
- علم النفس العسكري، كامل علوان الزبيدي، 1981، بغداد.
- علم النفس العسكري، د. فخري الدباغ، 1982، الموصل، الدار الجامعية للنشر.
- علم النفس الجنائي، د. أكرم نشأت 1996، بيروت.
- غسيل الدماغ، د. محمد القريشي، رسالة ماجستير من جامعة عين شمس جمهورية مصر العربية، 1988، غير منشورة وباللغة الإنكليزية.

القسم الثانيأمن المجتمع

الفصل السادس: الأمن النفسي
الفصل السابع: مهددات الأمن النفسي
الفصل الثامن: متطلبات الأمن والضغوط الناجمة عن العمل
الفصل التاسع: الثقافة الأمنية في المجتمع وطبيعتها
الفصل العاشر: مستقبل الأمن النفسي والوطني

الفصل السادسالأمن النفسي

مفهوم الأمن النفسي Psychological Security:

كادت تتفق مختلف النظريات في علم النفس على ضرورة إشباع الحاجات النفسية ومنها الحاجة للأمن بوصف ذلك ضرورة من ضرورات ديمومة الحياة وتوافق الشخصية وتناغم الأداء. ويطلق التحليل النفسي على هذا التوافق والإنسجام بمبدأ: الثبات وخفض التوتر. وتطلق عليه السلوكية: التوازن الحيوي Homeostasis ويسميه الجشطالتيون بقانون الإمتلاء Low of pregnancies وسنتناول لاحقاً الاتجاهات النظرية في تفسير الأمن النفسي للفرد عموماً عبر مدارس علم النفس المختلفة.

أما بالنسبة لمفهوم الأمن النفسي تحديداً، فهناك العديد من التعريفات النظرية والإجرائية لهذا المفهوم. ونعرفهُ هنا بـ: هو الطمأنينة النفسية والإنفعالية. وهو حالة يكون فيها: إشباع الحاجات مضموناً وغير معرّضٍ للخطر. والأمن النفسي مركّب من إطمئنان الذات والثقة بها، مع الإنتماء إلى جماعة آمنة.

ولكن لابد لنا بضوء التعريف السابق أن نتعرف على من هو الشخص الأمن؟

هو الشخص الذي تكون حاجاتهُ مشبعة والمقومات الأساسية لحياته غير معرضة للخطر ويكون في حالة توازن أو توافق أمين.

وتعد الحاجة إلى الأمن من أهم الحاجات النفسية ومن أهم دوافع السلوك طوال الحياة، وترتبط هذه الحاجة ارتباطاً وثيقاً بغريزة المحافظة على البقاء.

وبهدف التعّرف على أهمية مفهوم الأمن النفسي بوصفه حاجة من بين الحاجات النفسية المهمة، نتطرق هُنا إلى قائمة الحاجات التي وضعها عالم النفس "مازلو Maslaw " مُرتّبة حسب أسبقيتها والحاحها:

1. الحاجات الفيزيولوجية
2. حاجات الأمن
3. حاجات الحب والإنتماء
4. حاجات تقدير الذات
5. حاجات تحقيق الذات

- الحاجة للعلم والمعرفة
- الحاجات الجمالية



شكل رقم (1) هرم الحاجات عند ماسلو

من خلال ما تقدم يتضح لنا وجود أبعاد أساسية لمفهوم الطمأنينة الأنفعالية التي ينطوي عليها الفرد عموماً، وهي:

1. الشعور بالتقبل والحب وعلاقات المودة والتعاون مع الآخر.
2. الشعور بالإنتماء إلى الجماعة والمكانة فيها.
3. الشعور بالسلامة وغياب مهددات الأمن.

وينتج عن هذه الأبعاد الأساسية، أحد عشر بُعداً فرعياً، هي:

1. إدراك العالم والحياة بوصفهما مكاناً ساراً ودافئاً.
2. إدراك الفرد لغيره من الناس بوصفهم ودودين وأخيار.
3. شعور الفرد بالثقة والتسامح مع الغير.
4. الميل إلى توقع الحصول على الخير.
5. شعور الفرد بالسعادة والرضا.
6. الشعور بالهدوء والإستقرار الإنفعالي والخلو من الصراعات.
7. الميل إلى الإنطلاق والتحرر بدلاً من تركيز التفكير حول الذات.
8. تقبّل الذات والتسامح.
9. رغبة الفرد في الكفاء والإقتدار على حل المشكلات.
10. الخلو النسبي من الميول العصابية والذهانية
11. التمركز حول المجتمع والجماعة.

وبهدف الانتقال من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي، نوردُ هنا الافتراضات الأساسية لنظرية مازلو في الحاجات وتطبيقاتها ميدانياً في المجتمع. وهي:

1. يمكن ترتيب الحاجات هرمياً كما أشرنا:
   حاجات أساسية
   حاجات إنمائية

وتقع حاجات المعرفة والفهم والحاجات الجمالية ضمن الحاجات الإنمائية

2. إشباع الحاجات في مستوى معيّن يؤدي إلى الحاجات الأخرى حسب ترتيب الأولوية.
3. إن الحاجة الأكثر غلبة تحتكر الوعي وتعمل كمركز لتنظيم السلوك.
4. عادة يكون الإشباع جزئياً أكثر منه كلياً.
5. لا تفقد الحاجة المشبعة دورها في دفع السلوك فجأة وكذلك الحاجة غير المشبعة وإنما بالتدريج.
6. ان حدوث النقص في إشباع حاجة دنيا، يؤدي إلى تحويل الاهتمام بإشباع الحاجات التي تليها لمواجهة النقص.
7. تتوقف سعادة الفرد وصحته النفسية على مستوى إشباع الحاجات الذي وصل إليه.

8. يرتبط نظام الحاجات لدى الفرد بمراحل النمو.
9. إن نقص إشباع الحاجات الأساسية، يحرك الفرد سلوكيا باتجاه الحاجات الأخرى.
10. إن الفرد بكليته وليس جزءاً فيه، هو الذي تدفعه باتجاه إشباع الحاجة.
11. السلوك الإنساني متعدد الإندفاع، فالسلوك المدفوع يشبع حاجات كثيرة في الوقت نفسه.

الاتجاهات النظرية في تفسير الأمن النفسي:

1 - اتجاه التحليل النفسي Psycho-Analysis Approach:

ويتمثل بوجهه نظر سيجموند فرويد (Sigmund Freud) والفريد أدلر (Alfred Adler) وكارن هورني (karen horny) وهاري ستاك سوليفان (Hary stak salivan) وارك فروم (Arik Froom).

وفقاً لفرويد (Freud) تتكون الشخصية من ثلاثة مكونات هي ألهو (Id) والآنا (Ego) والانا الأعلى (Super Ego)، وتتنافس هذه العناصر من أجل الطاقة النفسانية المتاحة، والشعور بالأمن من خلال قدرة الأنا على التوفيق بين مكونات الشخصية المختلفة أو في الوصول إلى حل للصراع الذي ينشا بين هذه المكونات بعضها مع البعض الآخر وفي الصراع الذي ينشا بينها وبين الواقع (فهمي، 1967، ص 125).

وقد أقام فرويد نظريته هذه على أساس صراع غريزي، إذ أن الأنا تواجه النزعات الغريزية للهو التي تحاول التعبير عن نفسها ويترتب على ذلك صراع داخلي في أعماق اللاشعور، ونتيجة لخشية الأنا من أن تقهر من النزعات الغريزية للهو فإن الشخصية تعيش في قلق دائم وذلك من مسببات عدم اللاشعور بالأمن، كذلك بين الأنا والانا الأعلى عن طريق إصدار الأوامر والنواهي الذي قد يأخذ شكلاً مرضياً، وتستحوذ على الفرد أفكار ملحة لاتهام الذات بعدم الشعور بالأمن والطمأنينة نتيجة لقلق الضمير الذي يصبح شيئاً لا يطاق، ولكي يتحقق الشعور بالأمان فإن على الأنا أن يوفق بين مطالب ألهو والانا الأعلى وان نجح في هذه المهمة، اتجهت الشخصية اتجاهاً سوياً، أما إذا فشل الأنا في التوفيق بين تلك المطالب اختل التوازن وعم الاضطراب في ثنايا الشخصية، وذلك من مهددات الشعور بالأمن والسلامة النفسية (الالوسي، 1990، ص 381).

وبذلك فإن الشخصية السليمة هي نتاج الانسجام بين ألهو والانا والانا الأعلى التي تتمكن من التحرر من اللوم الاجتماعي بالآثم، وهي قادرة على إشباع حاجاتها وعلى القيام بالعمل المثمر.

ويفترض فرويد إن الإنسان تحركه الرغبة في اللذة وتجنب الألم (الشعور بالأمن والاطمئنان)، وقد يتم ذلك من خلال اللجوء إلى الآليات الدفاعية والإفراط في استخدامها مما يؤثر سلباً على تعامل الفرد مع الحياة كما يدل على الضعف النسبي للانا.

وعند نمو الفرد تنتقل الطاقة النفسية (اللبيدو) وفق معيار زمني محدد إلى مناطق مختلفة من الجسم، ومن خلال حالة التثبيت

(Fixation) في المرحلة (الفمية او الاستية او القضيبية او بلوغ مرحلة التناسل الجنسي)، يتضح نمط الشخصية وخصائصها، وبذلك فإن عدم الشعور بالأمن هو نتيجة للحرمان والكبت في الطفولة، وبسبب تثبيت الفرد على أدوار معيّنة أثناء عملية النضج.

أما ادلر (Adler) فقد أكد على إن الإنسان يحركه الشعور الاجتماعي المتمثل بمشاعر التماهي مع البشر والمشاعر الأخوية إزاء الآخرين، كذلك فإن للذات عند ادلر نظاماً شخصياً وذاتياً صارماً، يؤكد على تفرد الشخصية، إذ أن كل شخص هو صياغة فريدة من الدوافع والسمات والاهتمامات، كما جعل أدلر الشعور، مركز الشخصية، فالفرد السوي هو الذي يمكن أن يتحرر من تأثير التخيلات والأوهام بدافع منه، ويواجه الواقع عندما تتطلب الضرورة ذلك، أما العصابي فيعيش في جو يفتقر إلى الأمن والاطمئنان لعدم وضوح الغاية النهائية بوصفها جوهر الفكر الذي يوقظ الشعور الاجتماعي والانفعالات.

ووفقاً لادلر فإن الفرد الأمن هو الذي يتحرر من التهديدات ومخاطرها التي تمكنه من التطلع إلى المستقبل، أي تحركه توقعاته، ويحكمه الشعور، والشخصية السوية في نظره هي التي تعمل على إدامة علاقاتها بالآخرين عن طريق العمل الاجتماعي النافع، أما الشخصية العصابية فتلجأ للتخلص من الشعور بالنقص إلى محاولات تعويضية مرضية هدفها تحقيق الأمن، عن طريق التفوق والسيطرة على الآخرين (النواب، 1991، ص 53).

في حين أكدت هورني (Horney) على السياق الاجتماعي للنمو، وان الخبرات تنتج أنماطاً مختلفة من الصراعات والشخصية، فالشعور بالقلق وعدم الطمأنينة ناتج عن العزلة والضعف وتظهر هذه المشاعر عندما تعترض العلاقات المبكرة النمو الداخلي عند الطفل وتخلق حاجات متناقضة نحو الناس (دافيدوف، 1988، ص292)، لذلك فهي ترى أن العوامل المسببة للعصاب يجب البحث عنها خلف الثقافة والظروف التي تسبب الانعزال والخوف والشعور بالضعف وفقدان آلامان والسلام، وتعتقد ان حل الصراعات العصابية وبالتالي الشعور بالأمن والاطمئنان، الذي تعده (هورني) من الحاجات الضرورية في تكوين الشخصية يتم من خلال الأساليب التوافقية الآتية:

1. التحرك نحو الناس.
2. التحرك ضد الناس.
3. التحرك بعيداً عن الناس.

كما ميّزت نوعاً آخر من الصراع أطلقت عليه اسم الصراع الداخلي المركزي، وهو صراع بين الذات الحقيقية والذات العصابية وفي ذلك تقول "إن كره الشخص لنفسه وابتعاده عن طبيعته الأصلية والتلقائية يجعل سلوكه لا ينبع من خصائصه وسماته بل من قلقه ونضاله العصابي لاسترجاع أمنه وطمأنينته"، ويُعدّ القلق، المصدر الديناميكي

للعصاب فهو في نظرها خوف ذاتي عنيف مؤلم يهدد امن الشخص وطمأنينته (فهمي، 1967، ص 240).

أما فروم (Froom) فيؤكد على الجانب الاجتماعي، ويرى أن شعور الطفل بالأمن والانتماء يتحقق من خلال التوحد مع الوالدين والاعتماد عليهم، وان انفصاله عنهم يمثل تهديدا لكيانه وهدما للشعور بالأمن، وباعثاً على الخطر والشعور بالعجز والقلق، كما يعدّ الشعور بالأمن من متطلبات الصحة النفسية وان اعتماد الوسائل الدفاعية الهروبية كالانصياع، هو مؤشر على فقدان الأمن والاستقرار، وافترض فروم خمس حاجات عن الارتداد بين حاجة الأمن والحرية وهي (الحاجة إلى الانتماء، الحاجة إلى التجاوز، الحاجة إلى الجذور، الحاجة إلى الهوية، والحاجة إلى الإطار المرجعي) (هول ولندزي، 1971، ص 74).

في حين يفترض سوليفان (Salivan) أن الشخصية مركز دينامي لعمليات أساسية هي الديناميات التي يعدّها أنماطا ثابتة نسبياً من تحولات الطاقة بأشكال مختلفة، معتبراً عدم الشعور بالأمن والاستقرار يُؤثر على حاجات الكائن العضوي الناتجة عن القلق والذي يصفه بأنه خبرة توتّر مردّها لأخطار حقيقية أو موهومة تهدد إحساس الفرد بالأمن وتختلف شدته باختلاف خطورة التهديد لفاعلية عمليات الأمن التي تكون في حوزة الشخص (داود والعبيدي، 1990، ص 190 - 191). كما افترض ان الناس مدفوعون بنوعين من الحاجات هي حاجات الأمن والحاجات البيولوجية، ويؤكد على دور العلاقات الشخصية والثقافية في تشكيل الشخصية، ويؤكد سوليفان إن مشاعر عدم الأمن والقلق لدى الفرد تشوه إدراكه للواقع كما تؤثر على نمو شخصيته (wood, 1974, p145).

2 - الاتجاه السلوكي Behavioral Approach:

ينحو السلوكيون منحى أخر، إذ يركزون في وصف الشخصية على الحتمية البيئية الميكانيكية، ويقللون من تأثير العوامل التكوينية والبيولوجية.

والسلوكية، تعدّ الإنسان جهازاً آلياً يقوم باستجابة محدده عند استثارة أي جزء منه، وإذا ما تعرفنا على مكوناته والمنبهات التي يتعرض إليها، استطعنا التنبؤ بالسلوك وتفسيره، طبقاً إلى ما أكده التصور السلوكي التقليدي (جايد، 1988، ص 34).

كما أن السلوكيين لا يميلون إلى ما تعتمده الاتجاهات الأخرى من أفكار عن مراحل النمو والنضج في تفسير السلوك الإنساني، ويعدون الفرد كائناً متيقظاً يستقبل مراحل النمو والنضج في تفسير السلوك الإنساني، فهو يستقبل المنبهات ويتعامل معها بهدف الحصول على المتعة والفائدة وتجنب الألم (الشعور بالأمن والطمانينه).

ومن الضروري معرفة أن بعض مؤيديٍ هذا الاتجاه يتبنى افتراض

الارتباط او الاقتران الفوري كونه شرطا اساسيا لحصول ارتباط جديد بين المثير والاستجابة كما في نظرية جثري، في حين يؤكد البعض الآخر على التعزيز أو الثواب الذي يصحب الاستجابة مثل هل (Hell) (هول ولندزي، 1971، ص 545). كما يعتقدون أن استمرارية أية استجابة يجب أن تقترن بمعزز، ويكرر الفرد تلك الاستجابة للحصول على تعزيز. في حين يؤكد واطسن (Watson) إن القلق والخوف (اللذين يعدان من مهددات الأمن والطمأنينة) يرتبطان بالمعززات والاشتراطات التي واجهها الفرد خلال تاريخه التعليمي (نجم، 2001، ص 34).

ووفقاً لبافلوف (Pavlov) فإن الفعّاليات المعقدة هي مجموعة من الاستجابات المشروطة وكذا الحال بالنسبة لعدم الشعور بالأمن النفسي فهو حصيلة أنواع خاطئة من روابط بين المنبهات والاستجابات أو أنواع خاطئة من التعزيزات وطبقاً إلى مبدأ الاقتران الشرطي يتعلّم الفرد الخبرات السارة أو المؤلمة (Fontana, 1981, p 59).

أما سكنر (Skinner)، الذي قال بالاشتراط الإجرائي فيعتقد أن التعزيزات التي يواجهها الأفراد في بيئتهم بشكل عشوائي والتي لا يمكن التنبؤ بها تؤدي إلى العصاب، ويفترض أن الفرد يركز على النتائج التي تعقب الاستجابة وليس المنبه الذي يسبق الاستجابة كما يرى بافلوف، ويفترض سكنر إن اعتقاد الأفراد بأداء استجابة معيّنة سيسهم في جلب تعزيز، رغم إن العلاقة هنا قد تكون متوهمة إلا أن المصادفة أو الاتفاق للتعزيز الذي يلي الاستجابة أدى إلى تعزيز جزئي وجعل من السلوك مقاوماً للإنطفاء كربط الفشل بالامتحان بروية ما لارتداء ملابس معيّنة (الازيرجاوي، 1991، ص 269)، ويقترن هذا السلوك بمشاعر الخوف والقلق وعدم الأمن من (ضرورة توفر أو خشية مواجهة) أشياء محددة يعتقد الفرد بأنها تجلب النجاح أو الفشل، وهذا يتعارض مع مؤشرات الصحة النفسية في قدرة الفرد على الإنتاج المعقول في حدود إمكاناته واستعداداته واحتمال الإحباط والتحرر من الكسل والخمول للشعور بالطمانينه والسعادة (ياسين، 1981، ص 209).

ويشير دولارد وميللر (Dollard & Miller) إلى أن عدم الشعور بالأمن النفسي هو استجابة لا توافقية متعلّمة لصراعات تنمو في مراحل مبكرة وتعمم لمواقف مشابهة مستقبلاً، كما أنهما يؤكدان على التاريخ التعزيزي للفرد وعلى إدراكه لمثيرات معيّنة تعدّ معجلة في شعوره بعدم الأمن (Raven & Rabin, 1983 pp 122-123).

أما إيزنك (Eysenek) فيؤكد على أهمية العوامل الوراثية والتكوينية التي تحدد حساسية الفرد وردود أفعاله أزاء المثيرات المسببة لعدم الأمن، لذلك يعتقد بأن بعض الأفراد يميلون إلى أن يكونوا أكثر شعوراً بعدم الأمان من غيرهم ويتعلّمون استجابات الخوف بشكل أكثر تكراراً

من غيرهم (Fisher, 1970, pp.152-153).

وبذلك فإن وجهة نظر الاتجاه السلوكي تتجسد بأن الشعور بعدم الأمن النفسي هو نتيجة لعمليات متتالية من التكيف الخاطئ في السلوك التي تبدأ منذ عمر مبكر، كما، ويجد السلوكيون في التعلّم المنطلق الأساس لفهم وتفسير السلوك الإنساني بما يصاحبه من فكر وعاطفة. (كمال، 1987، ص 203).

وبمعنى آخر يعتقد السلوكيون ان الشعور بالأمن النفسي يتم من خلال اكتساب الفرد عادات مناسبة تساعده على التعامل مع الآخرين ومواجهة المواقف والتوافق مع البيئة ويرون في الإنسان تنظيما لعدد من وحدات صغيرة تمثل كل منها ارتباطاً بين (مثير واستجابة) (Alberto, 1986, p84).

إن التزام الفرد بالتصرف وفق ما هو قد يتقاطع مع رؤى الفرد واتجاهاته يُولِّدُ صراعا بين ما يقتنع به شخصياً وبين ما يتوقعه المجتمع منه وذلك بسبب القلق والاضطراب والشعور بعدم الأمن مما يستلزم عدم الامتثال المطلق لكل ما يسود الجماعة من تقاليد بالية وعادات هدامة لكي يكون الفرد قادراً على إحداث تغييرات إصلاحية بناءة في بيئته وشؤون حياته.

3 - الاتجاه المعرفي Cognitive Approach:

وفق هذا الاتجاه بين علم النفس الجشطالتي والحركة الوظيفية، يتم التركيز على العمليات الإدراكية والأنشطة العقلية والذاكرة بدلاً من التركيز على ملاحظة السلوك الظاهر كما هو الحال لدى السلوكيين، أي يؤكد على كيفية بناء المعرفة وليس المعرفة نفسها، وينظر إلى التعلّم على أنه عملية تنظيم ذاتية لحل الصراعات المعرفية الداخلية التي تصبح ظاهرة من خلال الخبرات المحسوسة والتأمل (عبد الرحيم، 2001، ص 277). ولأجل أن يفهم السلوك الإنساني، لابد من دراسة إدراك الفرد لذاته ولبيئته، بمعنى أن تفاصيل السلوك لاتفهم، إلا في إطار الكل، فمنه تأخذ معناها ومن ترابطها في الكل تستمد تأثيرها، وان الفروق الفردية ترجع لتباين العمليات الإدراكية بين الأفراد.

كما يفضّل أصحاب هذا الاتجاه تسمية سمات الشخصية بالاستراتيجيات، والتي تطورت بدورها من التفاعل بين التأثيرات البيئية والنزعات الفطرية معتقدين بإمكانية تحديد استراتيجية لكل اضطراب (Derksen, 1995, p148)، ويرى هؤلاء بأن الفرد الذي يعاني من عدم الشعور بالأمن يحاول أن يحمّل الآخرين مسؤولية ذلك منكراً الواقع وجاعلاً له نظاماً ومعنى بأسلوبه الخاص يمكنه من السيطرة عليه (صالح، 2000، ص 127)، ويؤكدون على أهمية التقييمات المعرفية في الشعور - عدم الشعور بالأمن مقلّلين من دور المحددات الولادية،

معتبرين التهديدات والضغوط التي يواجهها الفرد من المتغيّرات المعجّلة بعدم الشعور بالأمن، وتحدد تقويمات الفرد للتهديد على أساس الخبرات السابقة، وهذه التقويمات بدورها تشتت الانتباه بكونها ارتباطات تهديدية، وتدرك المثيرات بشكل مربك لاداء الفرد ولوظائفه الانفعالية (Raoof, 1981, p 6 - 17).

وينظر بياجيه إلى الإنسان باعتباره جزءاً لايتجزأ من بيئته معتمداً في ذلك على المخططات (Schemas) وهي البنى العقلية المتكونة وراثياً أو قوانين محددة تنظم معالجة المعلومات والسلوك، وهذه المخططات تتكيف وتتغير وفقاً للإرتقاء العقلي وتعمل بوصفها إطاراً تأويلياً وإدراكات توجيهية لتجارب الاتصال مع البيئة، ويكون الاضطراب وعدم الشعور بالأمن نتيجة لخبرات الطفولة السيئة التي يطور الفرد خلالها مخططات تكون فيه الذات والعالم والمستقبل في رؤية سلبية، وقد لا يتضح ذلك إلا بمواجهة الضغوط التي تنشّط المخطط السلبي جاعلة من المنظومة المعرفية السلبية أكثر سيطرة وذلك مدعاة لعدم الشعور بالأمن والطمأنينة (Derksen, 1995, p 149).

4 - الاتجاه الإنساني Humanistic Approach:

ظهر هذا الاتجاه في الستينيات من القرن الماضي كرد فعل على السلوكية والتحليل النفسي، وركز على ضرورة دراسة الإنسان وعدم إهمال أي جانب عند دراسته. ومن أهم رواد هذا الاتجاه ماسلو (Maslow)، الذي يعدّ مؤسساً لعلم النفس الإنساني، وكارل روجرز، وجوردن البورت، وجولد شتاين، وسارتر، وماي، ويهتم علماء النفس الإنسانيون بوصف أنشطة الإنسان من وجهة نظر الشخص نفسه وضرورة الوثوق بقدرته على تنمية نفسه وتحقيق صيرورتها.

كما تميّز الاتجاه الإنساني باهتمامه بالجانب الروحي، فضلاً عن الجوانب الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية، معتبرين الإنسان مالكاً للإرادة والجهد الذي يكفي لنموه وتحقيق ذاته، وان الصفة الأساسية للإنسانية هي ضرورة احترام الإنسان كلياً (Maslow, 1970, p45)، كذلك أكد على استحالة بلوغ الشخصية حدّ الكمال، إذ ان الإنسان يسعى إلى حالة تطور ثابتة على مدار حياته وان الحياة عبارة عن سلسلة من المواجهات.

ووفقاً لروجرز (Rogers) فإن استجابة الفرد للبيئة تتحدد تبعاً لمجاله الظاهري (أي مدركاته الشعورية والخبرات التي حوّلها إلى صور رمزية) لذلك فالاستجابة هنا قد تأتي بحسب ما يدركه الفرد وليس بالضرورة كما هي في الواقع، ويعتقد روجرز انه قد يحصل تشويه في الترميز (تأخذ بعض الخبرات صوراً رمزية مشوهة) وينسحب عليها سلوك غير مناسب، إذ ان سعة الاختلاف بين الذات المدركة (المجال الظاهري) والواقع الخارجي تؤدي إلى إحساس الفرد بأنه مهدد (عدم

الشعور بالأمن) الأمر الذي يدفعه للاستعانة بميكانزمات الدفاع وينحو سلوكه نحو التزمت والصرامة والشعور بالتهديد والقلق.

وقد وضع وليم بلاتز نظرية في الأمن من خلال ملاحظاته لنمو الأطفال إذ يشير إلى أن الإنسان يولد بمشتهيات فطرية كالجوع والعطش والراحة تتطلب الإشباع وعندما تحول العوائق من عدم تحقيقها فإن الطفل يصبح في حالة من اللاأمان Insecurity ويعدّ بلاتز هذا النوع من اللاأمان شيئاً طبيعياً يمكن للفرد تجنبه بطريقة اتكالية عندما يستعين بالآخرين محققاً الأمان الاتكالي (Dependent Security) الناشئ من افتراض الفرد إن الأشخاص الذين يعتمد عليهم في إشباع حاجاته موجودون دائماً، ولأجل أن يصل الفرد إلى النمو الناضج لابد من الأمان المستقل الذي يتطلب تعلّم مهارات جديدة تمكنه من الاستقلال عن الآخرين والاعتماد على النفس.

وقدم ماسلو افتراضات عدة عن الطبيعة الإنسانية. إذ يعتقد أن الإنسان خير بفطرته، مناهضاً أولئك الذين افترضوا أن الغرائز شريرة ولابد من ترويضها بالتنشئة الاجتماعية والتدريب (دافيدوف 1988، ص 390) كما يرى أن الأمراض النفسية تنتج عن إحباط الطبيعة الإنسانية الجوهرية وإنكارها أو تحويلها عن وجهتها الأساسية، في حين الصحة النفسية أو التوافق تتمثل بالتطابق مع تحقيق الطبيعة الداخلية للإنسان ويؤكد ماسلو، على ضرورة تجاوز دراسة العصابيين إلى دراسة الأفراد الذين حققوا ذواتهم وإمكاناتهم إلى أقصى مدى معتقدا أن ذلك سيؤدي إلى نمو العلم وانتعاشه وشموليته (هول ولندزي، 1971، ص 425).

ولاقت نظرية ماسلو في التنظيم الهرمي للحاجات قبولاً واسعاً، موفقاً بين المدرسة الوظيفة النفسية والمدرسة الكلية، وكذلك الدينامية عند فرويد وأدلر كما استفاد من الحركة الظاهرية ومن نظريتي موراي والبرت في الشخصية (الازيرجاوي، 1991، ص 54) وقد افترض ماسلو ان عملية انتظام الحاجات بشكل هرمي على أساس أسبقية الإشباع وضرورته ودرجة الحاجة وسيطرة تلك الحاجات على السلوك حيث يبدأ تأثيرها بشكل تصاعدي ابتداءً من قاعدة الهرم (Maslow, 1970, p360).

وقد اتفق بورتر (Porter) مع ماسلو في أثر الحاجات وأهميتها للإنسان إلاّ أنه اختلف معه في ترتيبها حيث وضع حاجة الأمن كحاجة أولى معتبراً أنها تشتمل على أمور عدة منها العدالة والتقييم الموضوعي والدخل المادي المناسب والتقاعد كما أضاف بورتر الحاجة إلى الاستقلال والتي لم يذكرها ماسلو كحاجة مستقلة (العمري والسلمان، 1996، ص 149).

وكتب ماسلو الكثير عن الدوافع الشخصية من وجهة النظر

الإنسانية تمخض عن ذلك وضع تفسير للحاجات الإنسانية، وقد صنفت الحاجات بصورتها النهائية بسبعة مستويات تتماشى مع مبدأ التوازن، واضعاً الحاجات الفسيولوجية الأساسية في قاعدة الهرم وعند قمته حاجات تحقيق الذات (فطيم، 1996، ص 50).

أطلق ماسلو على الحاجات الأربع الأولى بالحاجات الحرمانية (Deprivation needs) في حين سمى الحاجات التي يسعى الفرد من ورائها تحقيق أقصى طاقات النمو ليصبح فرداً متكاملاً بالحاجات النمائية (Developmental Needs) وكما موضح في الشكل (1).

وضمن هذا الترتيب الهرمي تحكم الحاجات المختلفة علاقة ديناميكية، أي على الرغم من أن الحاجات الفسيولوجية هي الأقوى من غيرها في درجة إلحاحها على الإشباع إلا أن حاجات أعلى في الهرم قد تسيطر على سلوك الفرد بسبب الحرمان الشديد من إشباع بعض الحاجات الذي يؤدي إلى أن تطغى على سلوك الفرد بغض النظر عن موقعها في الهرم (توق وعدس، 1993، ص 190). (وكما موضح في الشكل 1 ضمن فقرة المفهوم).

وعدَّ ماسلو الحاجة أساسية متى ما كان حرمانها يولد مرضا جسميا أو نفسياً أو إشباعها يمنع المرض ويعيد الصحة، وإذا كان المحروم منها يفضل إشباعها على بقية الحاجات، كما يحقق إشباعها شعوراً لدى الفرد بالغبطة والإكتفاء والراحة (جورارد ولندزمن، 1988 ص 110).

المستوى الأول: الحاجات الفسيولوجية Physiological Needs:

وتتمثل بالحاجة اللازمة لاستمرار الإنسان في الحياة والحفاظ على البقاء (كالطعام والشراب والنوم والجنس) وتعد أكثر الحاجات وأكثرها إلحاحا في الإشباع، إذ أن الحرمان منها يجعلها تستحوذ على تفكير الفرد واهتمامه، وتسبب له توتراً مما يتطلب العمل بجد من قبل الفرد للتخلص من هذا التوتر ولتساعده في التقدم إلى المستويات الأخرى من الحاجات وإشباعها لضمان الصحة الجسمية والنفسية (Klinger, 1980, p 278)، ورغم اشتراك الأفراد بضرورة إشباعها إلا أنها تتشكل إلى حدّ بعيد بتأثيرات البيئة وبأساليب التنشئة الاجتماعية التي تناولتها بالتعديل من حيث مظاهرها ومثيراتها أو طرائق إشباعها.

المستوى الثاني: الحاجة إلى الأمن Security Need:

حين تشبع الحاجات الفسيولوجية الأساسية إشباعاً كافياً تظهر الحاجة إلى الأمن، وتتضمن شعور الفرد بالطمأنينة والاستقرار والحماية والنظام والتحرر من الخوف والقلق (شلتز، 1983، ص 293). كما تتضمن إدراك الفرد أن بيئته، أمنه ودوره غير محبط ويشعر فيها بندرة التهديد والقلق، والشعور بالأمن شرط ضروري من شروط

الصحة النفسية (عبد الخالق، 1983، ص 248)، لذلك يسعى الأفراد لإحاطة أنفسهم ببيئة اجتماعية منظمة تشيع الاستقرار والاطمئنان، إلى جانب سعيهم في الانتماء إلى الجماعة والاعتماد على النفس في أداء مهماتهم دون الشعور بضرورة الاتكال على الآخرين.

إن عدم تحقيق إشباع الحاجة للآمن سينعكس سلبياً على إشباع الحاجات في المستويات العليا، فالحاجة إلى تحقيق الذات مثلاً مشروطة بإشباع الحاجات التي تسبقها، ويؤكد ماسلو إن الأفراد الذين يفشلون في إشباع الحاجة إلى الأمن سيفشلون بالنتيجة في تحقيق ذاتهم، وتتجه شخصيتهم إلى الخوف من الآخرين واستخدام القوة الجسدية لإيذاء الغير ومحاولة السيطرة عليهم (Maslow, 1970, p312).

إن اختيار المهنة التي توفر الضمان والاستقرار والاطمئنان بعيداً عن المخاطر هي من الأساليب التي يسلكها الفرد لإشباع حاجة الأمن.

وقسم ماسلو الأعراض أو علامات الشعور - عدم الشعور بالأمن (التي أوردها في كراسه تعليمات اختباره النهائي لقياس درجة الشعور - عدم الشعور بالأمن عام (1925) إلى أعراض أساسية وأخرى ثانوية، تتمثل الأعراض الأساسية بـ (الشعور بالحب، والانتماء، والأمن) وهذه تمثل الجانب الموجب في حين (الشعور بالنبذ، والعزلة، والتهديد) تمثل الجانب السلبي، وعد هذه الأعراض ذات أثر دينامي في تشكيل شخصية الفرد، ومنها تنتج أعراضاً ثانوية نسبية حددها بأحد عشر عرضاً لكل جانب، وهي كالآتي: (دواني وديراني، 1983، ص 51 - 50).

ت	علامات عدم الشعور بالأمن	ت	علامات الشعور بالأمن
1	إدراك الفرد للعالم كونه مصدر تهديد وخطر وعداء، كل يعمل ضد الآخر.	1	إدراك الفرد للعالم كونه يبعث السعادة والتآخي
2	تصوّر الناس بوصفهم أشراراً يشكلون مصدر تهديد وتحد له.	2	التصور بأن الناس طيبون خيرون.
3	الشعور بالغيرة والحسد والتعصب والكراهية للآخرين.	3	الشعور بالود والتعاطف والتسامح مع الآخرين والثقة بهم.
4	الميل لتوقع الأسوأ والنظرة المتشائمة للمستقبل.	4	الميل لتوقع حصول الخير والنظرة المتفائلة للمستقبل.
5	الميل للشعور بالحزن وعدم الرضا.	5	الميل للشعور بالرضا والسعادة.
6	الشعور بالصراع والإجهاد والتوتر وما ينسحب على ذلك من نتائج مثل الاضطرابات السيكوسوماتية والكوابيس وعدم الاتزان الانفعالي..	6	الشعور بالهدوء والاتزان الانفعالي والخلو من الصراعات.

7	التمركز حول الذات وتفحصها بطريقة قهرية شاذة.	7	الميل للتحرر من التمركز حول الذات وقدرة الفرد للاهتمام بمن حوله.
8	الشعور بالذنب والخطيئة واليأس وادانة الذات ونزعات انتحارية.	8	الواقعية وتقبل الذات والتسامح إزاءها.
9	اضطرابات تعتري تقدير الذات مثل حب العظمة والعدوانية والتعطش للمال أو الاتكالية المفرطة والخنوع ومشاعر الدونية	9	الثقة في قدرته على حل المشكلات بدلاً من الرغبة في السيطرة على الآخرين بالقوة.
10	التعطش إلى الأمن واستحواذ ذلك على تفكيره مع ميول عصابية مختلفة والإفراط في اعتماد الآليات الدفاعية والأهداف الوهمية وهذاءات وهلاوس.	10	الخلو النسبي من الاضطرابات العصابية والتعامل مع مفردات الحياة اليومية بواقعية.
11	الميول الانانية أو الذاتية المفرطة.	11	الاهتمام الاجتماعي والتعاطف والتعاون.

والحاجة إلى الأمن تتطلب جهوداً متواصلة وقدرة على السيطرة الذاتية، والصبر على العمل الشاق إذ يرى ماسلو أن لخبرات الطفولة أهمية في تيسير أو إعاقة النمو اللاحق، وان الإسراف في السيطرة أو الحرية تؤدي إلى عدم الطمأنينة (Maslow, 1968 p173).

المستوى الثالث: الحاجة للانتماء والحب Belonging and Love Need:

وتتمثل في الحصول على الحب والعطف والسند والانتماء للجماعة إذ ان الاستجابة الإيجابية للفرد تجاه الجماعة تجعله عنصراً مقبولاً من قبل أفراد مجتمعه فيعيش معهم بود وتفاهم، ويتأتى ذلك من خلال توافقه مع معايير الجماعة التي ينتمي إليها (السامرائي، 1988، ص 87).

المستوى الرابع: الحاجة للتقدير واحترام الذات Esteem Or Self Esteem Need:

وتتمثل بشعور الفرد بأنه مقتدر ومعترف به ومقبول من الآخرين وبخلاف ذلك فإنه يميل للشعور بالنقص، كما ترتبط هذه الحاجة بضرورة إقامة علاقات مع الآخرين تتفق مع احترام الذات وتجنب الرفض والنبذ من الآخرين (الازيرجاوي، 1991، ص 54).

المستوى الخامس: الحاجة للمعرفة والفهم To Know and Understand Need:

وتتمثل بالرغبة في اكتساب المعلومات والشغف المعرفي والفهم

وحب الاستطلاع والمغامرة (Bichler, 1974, p 414).

المستوى السادس: الحاجات الجمالية Aesthetic Needs:

وتتمثل بما يرتبط بالإحساس بالجمال والارتياح للأشياء الجميلة والخيال والتناسق والنظام (الازيرجاوي، 1991، ص 57).

المستوى السابع: الحاجة إلى تحقيق الذات Self Actualization:

وتتجسد بحصيلة التوظيف الفعّال لإمكانات الفرد خارج ذاته مثل البحث عن العدالة والحقيقة، وتتضح أهميتها خلال العمل المنتج الهادف (جورارد ولاندزمن، 1989، ص 16).

أهمية الأمن النفسي للعاملين في المجال الأمني:

إن العاملين في المجال الأمني، هُم بَشر إعتياديون قبل أن ينخرطوا في العمل تحت قبة هذه المؤسسة الأمنية أو تلك. لذلك فإن ما يقعُ على الآخرين من أبناء الشعب من تحليل أو تحديد للسمات أو الخواص في الشخصية، يقعُ عليهم وفي إطار البيئة والمجتمع الذي يعيشون فيه. لكن الفرقَ بين الأثنين يبدأ منذ اللحظة الأولى التي ينخرطُ فيها الفرد للعمل في هذه الأجهزة، إذ يمرُّ بسلسلة من الاختبارات النفسية المتخصصة بهدف الإنتقاء والاختيار، بعد ذلك، يتم توجيه الأفراد الجُدد للإنخراط في دورات تدريبية متخصصة حسب طبيعة العمل الأمني الذي يقومون به، لتعزيز الأستعدادات والإتجاهات التي تم تحديدها مسبقاً من خلال الاختبارات النفسية. وبالرغم من أهمية تطبيق إستمارات تقويم الأداء لكافة العاملين في الدولة عموماً أو في القطاع الخاص، فإن عملية تقويم الأداء والكفاءة في الإنجاز ومعايير الرضا الذاتي للعاملين في الأجهزة الأمنية، تعدّ ضرورية وأساسية لأستمرارية هذا الجهاز الأمني أو ذاك بالعمل الجاد والكفوء والمتميز، وايأً كانت طبيعة العمل فيه: أمن وطني، أمن قومي، دفاع مدني، مرور... إلخ.

وتنبع هذه الضرورة التي أشرنا إليها في تطبيق معايير تقويم الأداء والرضا الوظيفي من طبيعة الضغوط النفسية الخارجية والداخلية التي يتعرض لها رجل الأمن، بحكم المسؤولية الدقيقة والحساسة المُلقاة على عاتقه، إضافة للصراعات الداخلية التي يعاني منها من جراء النزاع الداخلي بين قوى الشخصية بوصفه إنساناً عادياً يحمل المشاعر والأحاسيس نفسها والقيم التي يحملها غيرّهُ من الناس، وبين الواجبات المحددة والدقيقة التي يُكلفُ بإنجازها والتي تتخذ

احيانا طبيعة تحتاجُ إلى الصراحة والحدّة والحسم. إن عدم حَلّ هذه الصراعات الداخلية أو تحويلها قد يؤدي إلى الأحباط Frustration ومن ثم الإكتئاب Depression حيث عدم الرضا عن الذات والتشتت الذهني وبالتالي التقصير في أداء الواجب المُكلف به.

ومن جهة أخرى، فإن طبيعة عمل رجل الأمن بحكم ما تنطوي عليه من استخدام للسلطة وإظهار للقوة وتمتع بالسيطرة، قد تؤدي إلى تعزيز سمات جديدة في شخصيته أو حتى خلق صفات وخواص جديدة أيضاً، هي في الأصل ليست نابعة من فطرته وعاداته وما اكتسبه من بيئته الاجتماعية قبل الانخراط للعمل في المجال الأمني. إن هذه الخصائص المضافة لشخصية رجل الأمن قد تنمي في أعماقه الغرور أو السلوك الحاد أو الشعور بالعظمة وخاصة في البلدان التي تعتمد أنظمتها السياسية في الحكم على سلطة رجال الأمن وما تمنحه لهم التعليمات والضوابط من سلوكيات وتصرفات تقع خارج الدائرة الأصيلة والنبيلة لممارستهم واجباتهم، فيتحولون من أفراد يبذلون ما في وسعهم لخدمة الشعب إلى سيوف مسلطة على رقاب أبناء الشعب.

وعلى الرغم من أن هذا الوضع قد يرضي غرور البعض منهم ويشبع بعض الحاجات النفسية لديهم، لكن الأهم من كل ذلك، هو أن حاجة الأمن النفسي في دواخلهم وأعماق نفوسهم، تبدأ بالاهتزاز والتصدع والاضطراب، إلى الدرجة التي تمنع الانتقال ضمن سلم الحاجات إلى إشباع حاجات أخرى لاتقل أهمية عن حاجة الأمن النفسي، بل يعوّل عليها كثيراً في خلق الشخصية الناضجة والمتكاملة نسبياً التي تنطوي على الإبداع والابتكار حيث الحاجة الكبيرة لهاتين السمتين بالنسبة لرجل الأمن.

من هذا تتضح أهمية الأمن النفسي للعاملين في المجال الأمني. ويمكن لنا أن نوجز هنا بعض المؤشرات التي تساعد في تعزيز هذه الحاجة المهمة لدى العاملين في هذا القطاع:

1. العمل الدائم والدؤوب على إنضاج شخصية رجل الأمن عموماً من خلال الدورات التدريبية والتثقيفية.
2. التأكيد على أن تكون شخصية رجل الأمن متوازنة وموضوعية وبعيدة عن الذاتية والأنانية قدر الإمكان.
3. العمل على ترسيخ مفهوم: أن رجل الأمن يعمل من أجل خدمة المجتمع وانه بما يعطيه موقعه ومكانته من سلطة وقوة، يجب تسخيرها لخدمة الإنسانية والإنسان والمجتمع عموما.
4. بذل الجهود من قبل القيادات في الأجهزة الأمنية لبناء الثقة المتبادلة بين المواطن ورجل الأمن ومن ثم المحبة الخالصة حيث أن كلاهما يؤديان دوراً لخدمة المجتمع ورقيّه.
5. التأكيد من خلال الدورات التثقيفية والمعاهد المتخصصة في هذه الأجهزة، على أن القانون فوق كل شيء، وان سلطة رجل الأمن مستمدة من القانون وليس من أي مصدر أخر.
6. الدعم المادي والمعنوي لرجل الأمن ليكون مشبعاً لحاجاته النفسية الفيزيولوجية وبهذا يكون مستعداً للارتقاء في سلم إشباع الحاجات تباعا وصولاً إلى تحقيق الذات مروراً بحاجة

الامن والامان التي يجب ان تكون مشبعة عنده بشكل كامل، لان فاقد الشيء لا يعطيه.

7. توفير وسائل الراحة والترفيه لرجل الأمن، مثل النوادي الرياضية والاجتماعية وورش العمل التثقيفية في مجالات الحياة المختلفة والتي تصب في خدمة المجتمع، وذلك لقضاء أوقات الفراغ بما يشبع حاجاته النفسية ويجعله دائماً مستعداً لأداء واجباته بكفاءة وجدارة.
8. خلق المنافذ السليمة والصحيحة والمدروسة بشكل دقيق، التي تعبّر عن الشراكة بين المواطن ورجل الأمن في حماية المجتمع وتوفير أمنه الاجتماعي والوقاية من الأزمات والضغوطات والصراعات.

أسس التعامل مع حالات الاضطراب النفسي لدى العاملين في المجال الأمني:

إن رجل الأمن، حاله، مثل حال المواطن العادي من حيث تعرضه للصدمات النفسية وضغوطات الحياة والعمل، فهو كغيره معرض للإصابة بالعديد من الاضطرابات النفسية والعقلية، بحكم وجود الصدمات والضغوطات الخارجية من ناحية، واستعداداته الوراثية ومستوى طاقته النفسية الظاهرة والكامنة، من ناحية أخرى. وعلى الرغم من أن مستوى التدريب والتأهيل الذي يتلقاه رجل الأمن في الأكاديميات والمعاهد المتخصصة، يساهم في إنضاج شخصيته وتقوية وتعزيز طاقته النفسية وقدراته ومهاراته، إلا أنه يبقى معرضاً للاضطرابات التي سبق ذكرها.

وقبل الدخول في موضوع الاضطرابات النفسية وأسس التعامل معها، لابد من التذكير بأهمية الاختيار والانتقاء للأفراد المتقدمين للعمل في المجال الأمني، الذي يجعلنا مطمئنين ولو نسبياً إلى أن العاملين في هذا المجال هم من الأسوياء عموماً وممن لا يعانون أصلاً من اضطرابات أو أمراض نفسية وعقلية، حيث أن العمل في هذا المجال، يحتاج إلى قدرات وطاقات سوية، وقوية ومتوازنة نسبياً، تستطيع أن تتحمل وزر الضغوط النفسية الكبيرة التي تفرزها طبيعة الأعمال والواجبات الشاقة والصعبة أحياناً التي تحتاج إلى مهارات خاصة، وإلى تدريب وتأهيل شاقين أيضاً. بعد ذلك فإن ظهور الاضطرابات النفسية من جراء ضغوطات الحياة أو ضغوطات العمل يصبح أمراً طبيعياً لا تتحمل المؤسسة الأمنية مسؤوليته بشكل كامل لأنها بذلت جهداً أساسياً في عملية الاختيار والانتقاء.

وبهدف التوصل إلى أفضل الأسس للتعامل مع حالات الاضطراب النفسية، يجب علينا تحديد أنواع الاضطرابات النفسية ومسبباتها أولاً، لدى العاملين في المجال الأمني، ولا نقصد هنا تناول موضوع الاضطرابات النفسية عموماً وبشكل مفصل، لأن هذا الموضوع لا يعنينا بشكل كبير في هذا الكتاب، إذ أن نسب الانتشار والإصابة بهذه الاضطرابات، معروفة وواضحة للمختصين، على مستوى المجتمع، لا

بل هناك نسب عالمية لانتشار هذه الاضطرابات، وهي لا تختلف بين العاملين في المجال الأمني أو غيره من المجالات. ولكن ما يهمنا هنا، هو أن طبيعة العمل في المجال الأمني، تعني التعرّض للعديد من الضغوطات النفسية ويمكن أن تخلق أيضاً العديد من الصراعات والنزاعات على مستوى جوهر النفس الإنسانية التي تفضي في النهاية لهذا النوع من الاضطرابات ومن هذه الاضطرابات:

1. **اضطرابات القلق النفسي: التي غالباً ما تنتج عن طبيعة الصراعات الداخلية التي يعاني منها رجل الأمن بسبب التناقض أو النزاع بين قيم العمل والقيم التي يحملها والتي لم يستطع ترويضها أو تكيّفها. وتؤدي هذه الصراعات إلى الإحباط المستمر الذي يجعل الفرد في قلق دائم ومستمر، مما يؤثر على مسيرته العملية وأدائه المطلوب.**
2. **اضطرابات الاكتئاب: إذا لم يستطع الفرد المصاب بالقلق النفسي من جراء الاحباطات الناتجة عن الصراعات التي لم تجد لها حلولا سريعة أن يخفف من هذا القلق، فإن الإحباط سرعان ما يتحول إلى اكتئاب. وهنا يفقد الفرد رغبته بالاستمرار في العمل مع فقدان التركيز والانتباه واضطرابات النوم والشهية على الطعام. ويصبح الفرد كثير الشكوى والتوتر والشدّ مع فقدانه للأمل والتفاؤل وانحسار روح المطاولة والمبادرة لاداء الأعمال التي يكلف بها. وهذا يؤثر بطبيعة الحال على مستوى الكفاءة والأداء، وقد يعدّ خطراً على رجل الأمن ومن هم في معيّته وعلى مجاله العملي عموما.**
3. **اضطرابات الوسواس القهري: ويرتبط هذا الاضطراب بطبيعة بعض الأعمال في المجال الأمني ذات الأبعاد والواجبات التي تحتاج إلى الدقة المتزايدة والصرامة والصلابة. إذ أن هذا الاضطراب يمثل أصلاً اضطرابات في التفكير ومن ثم اضطرابات في الإدراك والعاطفة والحركة، لذلك فإن الإصابة به، تعدّ عائقاً كبيراً لاستمرار رجل الأمن في عمله، لما في ذلك من تأثير سلبي على إنجاز أعماله وواجباته. وقد يبدأ الاضطراب بفكرة ضالة وغير منطقية، تخترق العقل وتفرض نفسها وبشكل متكرر واجتراري على الفرد ودون رغبة منه، حتى يصبح أسيراً لهذه الفكرة فاقداً عنصر المقاومة والمواجهة لها، مستسلماً لأعراضها المزعجة التي تتعارض أصلاً مع معتقداته وعاداته وتقاليده وحتى طقوسه الدينية أحياناً التي تعوّد عليها. وفي أكثر الأحيان تحتاج هذه الأفكار الضالة وغير المنطقية إلى جانب عملي تتحول بضوئه الفكرة إلى عمل غير منطقي أيضاً ومفروض على الفرد. ويبقى المصاب أسيراً للفكرة وما تفرزه من عمل، ويستمر دائراً في حلقة مفرغة لاخروج منها ولا انفلات. وهذا الاضطراب بطبيعته، يؤدي إلى شلل شبه كامل في الأداء الوظيفي والإنجاز المطلوب من رجل الأمن، مما يعرّضه ومن معه إلى المخاطر الكثيرة.**
4. **الاضطرابات الذهانية: وهي من أخطر أنواع الاضطرابات التي قد يتعرض لها رجل الأمن أو يصاب بها. وعلى الرغم من أهمية وجود الاستعدادات الوراثية أو على مستوى نوع الشخصية كضرورة للإصابة بهذا النوع من الاضطرابات، إلا أن الضغوط النفسية الحادة والصدمات القوية قد تؤدي إلى الإصابة بالاضطرابات الذهانية الحادة التي قد تستجيب للعلاج ضمن مدة معقولة نسبياً. إن المشكلة الأساسية في هذا النوع من الاضطرابات أن المصاب بها يفقد البصيرة في معظم الحالات، أي بمعنى أنه يرفض بشكل قاطع إصابته بحالة مرضية نفسية، بل على العكس، يعتقد انه دائماً على صواب والآخرين هم المرضى، لذلك فهو يرفض العلاج، كما يرفض أي محاولة لاقناعه بأن أفكاره وضلالاته وأوهامه وهلاوسه، هي غير حقيقية، بل يزداد إصراراً عليها. والاضطرابات الذهانية متلازمة واسعة وكبيرة ويقع تحت قبتها العديد من الأمراض التي يمكن تشخيصها من قبل المختصين. وهي على العموم، تتكون من اضطرابات في التفكير والإدراك والعاطفة والحركة والبصيرة إذ أن الفرد المصاب بها يتكلم مع نفسه ويسمع أصواتاً خارجية تأمره أو توبخه أو توجهه، فضلاً عن أنواع أخرى من الهلاوس والأوهام التي تتمثل في تضخيم الأفكار أو الشكوك التي لاحدود لها والممزوجة دائماً بالشعور بالاضطهاد من قبل الآخرين. ويعدّ هذا النوع من الاضطرابات من أخطر الحالات التي يمكن أن يتعرض لها رجل الأمن، لما فيها من تأثير سيء عليه وعلى من هم في معيته وعلى المؤسسة التي يعمل فيها. والأكثر خطراً من كل هذا، هو تأثير حالته على المجتمع إذا ما استمر بالعمل الأمني المكلف به.**

تلك هي اهم الاضطرابات النفسية واكثرها شيوعا والتي يمكن ان يتعرض لها رجل الأمن، بوصفه إنسانا عادياً من جهة، ولكونه يتعرض للعديد من الضغوط التي تقع خارج دائرة قدرته على التحمل من جهة أخرى. ومن الجدير بالذكر، فهناك الكثير من الاضطرابات الأخرى التي لا مجال لذكرها والتي تقع مسؤولية تشخيصها المبكر على عاتق المختصين من الأطباء النفسانيين أو الاختصاصيين النفسانيين السريرين اللذين يعملون في المؤسسات الصحية.

وبضوء ما تقدم من استعراض لبعض الاضطرابات النفسية التي تنتج عن العديد من الأسباب وبضمنها عدم إشباع حاجة الأمن النفسي أو الخلل في تحقيق الرضا الفردي لهذه الحاجة النفسية المهمة، يظهر لدينا ضرورة تحديد الأسس السليمة للتعامل مع مثل هذه الحالات أو حتى توفير مستلزمات الوقاية من الإصابة بهذه الاضطرابات. ومن هذه الأسس:

1. الاعتماد على عدد من المختصين في علم النفس والطب النفسي ومن الأكفاء وذوي الخبرة بالعمل في المؤسسات الأمنية للإشراف على عمليات الاختيار والانتقاء للعاملين ومن ثم تقديم المحاضرات التوعوية في مجال الوقاية من الإصابة بالاضطرابات النفسية.
2. تضمين المسافات الدراسية في الأكاديميات والمعاهد المتخصصة في المجال الأمني بالمحاضرات المنهجية، النظرية والعملية، في مجال الصحة النفسية للفرد، ومجالات التكييف والتوافق عند التعرّض للضغوط الحياتية.
3. تشكيل فرق عمل من بين المتخصصين في المجال النفسي والأمني على حدّ سواء، يعملون سوية، للتعامل المبكر والسريع مع الحالات التي تستجد بين العاملين في المجال الأمني، والعمل على معالجتها ومتابعتها والتأكد من شفائها بصورة كاملة.
4. تشكيل اللجان الطبية النفسية المتخصصة في المؤسسات الأمنية واعطائها الصلاحيات اللازمة لاتخاذ ما من شانه حماية المؤسسة من وجود حالات مرضية تؤثر على مسيرة العمل وبالتالي تؤثر على المجتمع الذي تتواجد فيه هذه الدائرة الأمنية أو تلك.
5. التأكيد على انخراط العاملين في المؤسسات الأمنية على اختلاف مواقعهم وطبيعة أعمالهم، في الدورات التدريبية والتثقيفية والتوعوية والتي تختص في الجوانب النفسية عموماً بعد أن توضع برامج تدريبية منظمة لهذه الدورات ويشرف عليها ملاك متخصص في علم النفس والطب النفسي وعلم الاجتماع.

من خلال هذه الأسس التي تمثل الإطار العام للتعامل مع حالات الاضطراب أو حتى مع الأسوياء بهدف الوقاية من الاضطرابات، تبقى مسؤولية ابتكار أسس جديدة تتناسب مع هذه الدائرة الأمنية أو تلك حسب طبيعة عملها، أمراً ضرورياً يقع على عاتق الإدارة العامة للمؤسسة الأمنية إذ يتم صياغتها والتخطيط لها وتنفيذها ومتابعتها بدقة وأمانة وشفافية ومنهجية، وبهذا يعود النفع، ليس فقط على الفرد العامل في المجال الأمني فحسب بل على مؤسسته وبالتالي مجتمعه ووطنه وأمته.

لقد تعرضنا في هذا الفصل إلى موضوع الأمن النفسي وتعريفاته والإتجاهات النظرية التي تفسرهُ، ثم تناولنا كذلك بإيجاز أهمية الأمن النفسي للعاملين في المجال الأمني وأسس التعامل مع حالات الإضطرابات النفسية لدى العاملين في هذا الميدان. سنحاول في

الفصل القادم ان نتعرض لمهددات الأمن النفسي للفرد والمجتمع مركزين على هذا النوع من المهددات لدى العاملين في المجال الأمني.

الفصل السابعمهددات الأمن النفسي

المقدمة:

استعرضنا في الفصل السابق طبيعة الأمن النفسي بوصفه مفهوماً ونظرية وأهميته في حياة الفرد والمجتمع وما يتعرض له كلاهما في حالة الفقدان أو الضعف والاضطراب.. فالأمن هو ناتج أو محصلة لعوامل عديدة منها داخلية مرتبطة بطبيعة الشخصية وتكوينها ونموها وما تملكه من استعدادات وقدرات ومقومات الوجود القوي والفاعل، وعوامل أخرى خارجية ذات علاقة بعوامل التنشئة الاجتماعية في مراحل النمو المختلفة وعوامل ثقافية ترتبط بطبيعة المجتمع وعوامل تكوينه وبنائه الحضاري إضافة إلى حالة التفاعل والاتصال مع الآخرين سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات.. ويصبح تهديد الأمن النفسي خطيراً على مستوى المجتمع حينما يتعرض لعوامل ضاغطة متنوعة ويزداد هذا الخطر في ظروف الحروب والكوارث والانهيارات في منظومة القيم والجوانب الاقتصادية والسياسية، وبالتالي فإنه يخرق نظام الأمن النفسي والأمن الاجتماعي. وغالباً ما يرتبط هذا الأمن به عمل الحاجات الأساسية وتأمينها وإشباعها بالطرق الصحيحة. واعتماد طرق للتعبير عن تلك الحاجات بطريقة تتلائم وتتناسب ومعايير النمو السوي في جوانبه المتعددة العقلي منها والنفسي والجسمي والاجتماعي. وتساهم عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية في بلورة سلوكيات متطرفة في أحيان كثيرة، مما يخلق نمطاً من السلوك غير المتوازن والنظرة غير السوية إلى الآخر ويشكل اضطراباً في التفكير والانفعال والعاطفة والسلوك. مما يستدعي الكثير من الممارسات الشاذة والمنحرفة والمبررة تحت مسميات متعددة، وفي أطر دينية وثقافية واجتماعية وأخلاقية وسياسية منتهكة كل القواعد والتشريعات والقوانين والقيم وبما يخدم مصالح ومنافع قد يفتقدها الفرد أو الجماعة أو المجتمع أنها حق يجب أن يؤمن به ويدافع عنه، ويولد شعوراً وعاطفة وأفكاراً وسلوكاً لا تنسجم مع المعايير سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو الجماعة. الأمر الذي يستلزم تفسير ذلك وتحديد طبيعة تلك المهددات التي تخرق الأمن النفسي والتعرف عليها والتعامل معها بموضوعية العلم ومنهجه.

تشير نظريات علم النفس الاجتماعي إلى أن الفشل يولد الإحباط. وان الإحباط يخلق في داخل الفرد (الأفراد) شحنات انفعالية عدوانية. وان هذه العدوانية الداخلية قابلة إلى التحول إلى عنف خارجي فردي وجماعي. هنالك مسالك وبدائل أخرى للتعامل مع الإحباط. وليس من الضروري أن يتحول إلى عدوانية ثم إلى عنفٍ خارجيٍ. من ذلك مثلاً

إحساس من يخبرون الإحباط ان هنالك املا حقيقيا في تجاوز الفشل الفردي أو في إصلاح النظام السياسي الاجتماعي القائم، الذي يؤثر في حياتهم بطريق مباشر. أو غير مباشر. ولكن مع غياب أو اندثار هذا الأمل في الإصلاح والخلاص يصبح المناخ مهيئا للتطرف. إذا كان هذا النموذج التفسيري للعدوانية والعنف مقبولا، فإن السؤال يصبح. ما هي العوامل التي تؤدي إلى الإحساس الجماعي بالفشل، ثم بالإحباط، وبالتالي بالعدوانية، ثم بالتطرف والعنف؟

من المسلم به أن أمال الأفراد في أي مجتمع تفوق في معظم الأحيان ما يمكن إنجازه. ولكن طالما ظلت الفجوة بين الأمل والواقع معقولة الحجم وثابتة على حجمها. فإن الأفراد يقبلونها كأحد سنن الحياة. ولكن فيما تتسع الفجوة فجأة، وتستمر في اتساعها فإن ذلك يولد إحساساً بالفشل والإحباط، ويؤدي إلى شحنات عدوانية داخلية. وهنا قد يلوم الأفراد أنفسهم، ويؤدي ذلك بدوره إلى شحن الهمم أو إلى الاستسلام واليأس. ولكن إذ اخلص الأفراد إلى أن السبب في الفشل لا يرجع إليهم وإنما يرجع إلى التركيبة السياسية الاجتماعية الاقتصادية السائدة في المجتمع من حولهم. فإن الشحنات العدوانية الداخلية تتحول إلى تهيؤ واستعداد لاستخدام العنف ضد النظام السياسي الاجتماعي القائم. وتصبح المسألة هنا مسألة بحث عن تكييف أيديولوجي وتنظيم ووسائل لتغيير هذا النظام.

أما علماء الاجتماع فيقولون أن الذي يحدد ما إذا كان الأفراد سيخلصون إلى لوم ذواتهم أو إلى لوم النظام السياسي الاجتماعي القائم على ما يحدث من فشل وإحباط يتقرر في ضوء معادلة توزيع الثروة والسلطة في المجتمع. ويمكن حساب ذلك بمعادلة بسيطة يستخدمها الأفراد بوعي أو بلا وعي وهم يقارنون أنفسهم بالآخرين:

العدالة التوزيعية = حجم استثماراتي المادية والمعنوية = نصيبي من الثروة والسلطة
حجم استثمارات الشخص الآخر المادية والمعنوية = نصيبه من الثروة والسلطة

فإذا تساوت استثماراتي أو مجهوداتي مع مجهودات الآخرين فانني اتوقع أن يكون عائدي من الثروة والسلطة والتقدير المعنوي متساوياً مع ما يحصل عليه الآخرون. وان كانت مجهوداتي ضعف مجهوداتهم فإنني أتوقع أن احصل على ضعف عائد كل منهم. وإذا كان مجهودي نصف مجهودهم فإنني أتوقع الحصول على نصف عائدهم... فالقاعدة لا تساوي بين الناس مساواة حسابية مطلقة. وإنما تساوي بينهم في الفرص، وتساوي بينهم مساواة نسبية في توزيع الثروة والسلطة كل حسب جهوده وكفاءته وإنجازه. الإخلال بالقاعدة يتحول إلى شعور بالظلم والشعور بالظلم يتحول إلى سخط والسخط يهيئ الفرد للتمرد ويدفعه إلى "التطرف" واستخدام العنف.

يشير علماء النفس والاجتماع أن هناك مبدأ آخر متصل بالمقولتين السابقتين. له تأثيره الكبير في إحساس الناس بالتبرمٍ وعدم الرضا.

حتى إذا كانت احوالهم المعيشية في تحسن. هذا المبدا قد يكون أحسن حالاً مما كان عليه في الماضي، إلا أنه يرى الآخرين تتحسن أحوالهم بدرجة أكبر أو بمعدل أسرع منه. ويصبح الحرمان - طبقاً - أكثر حدة إذا كانت أحواله لا تتحسن بينما تتحسن أحوال الآخرين. ويشتد الحرمان أضعافاً مضاعفةً إذا كانت أحواله تتدهور بينما أحوال الآخرين في تحسّن مطرد. الحرمان النفسي بدرجاته المختلفة يؤدي إلى الإحساس بالسخط. وذلك بدوره يخلق لديهم تهيؤ لاستقبال واعتناق الأفكار الناقدة للنظام الاجتماعي السياسي والداعية للتمرد عليه، والثورة ضده ويصبح الاستعداد للتطرف واستخدام العنف مسألة واردة تنتظر الظرف الملائم.

ماذا يعني التطرف؟

التطرف بمعناه البسيط جداً هو الخروج عن الوسط أو البعد عن الاعتدال أو اتباع طريق أو طرق في التفكير والشعور غير المعتاد لمعظم الناس في المجتمع، والإيمان العميق بصحة هذه الطرق وصلاحها والاستعداد للتضحية في سبيلها.

من هنا فإن معنى التطرف هو شيء سي تماما. فالأغلبية أو السلطة الحاكمة، هي التي تضعف غيرها بالتطرف ممن يختلفون معها في التفكير أو الشعور أو السلوك اختلافا واضحاً، ويصبح هذا الوصف دفعاً "بالانحراف" والخروج عن المقبول. ومن ثم فلا بد من تقويم.. الانحراف.. - أما بالإقناع والأغراء أو العقاب. كل هذا من وجهة نظر السلطة.

الملفت لنظر الباحثين في ظاهرة التطرف، هو أن المجتمع أو السلطة الحاكمة فيه قد لا تنزعج كثيراً طالما أن التطرف ظاهرة فردية وليست جماعية، وطالما أنها على مستوى التفكير والشعور وليست على مستوى السلوك. فالتطرف الفردي يمكن عزله على أنه حالة هوس أو جنون - ويتراوح العزل هنا بين الإشفاق والتجاهل، إلى الإيداع في أحد المصحات العقلية أو إحدى المؤسسات العقابية، أما الذي يزعج السلطة والمجتمع حقاً فهو أن يتحول " التطرف" من المستوى الفردي المتناثر إلى المستوى الجماعي المنظم، ومن الشعور أو التفكير فقط إلى مستوى السلوك الظاهر. فيما يحدث هذا التحول تشعر السلطة (بفرض أن السلطة تمثل المجتمع) بالخطر. وتبدأ في المقاومة والهجوم حفاظاً على نفسها وعلى المجتمع الذي تمثله.

يتعرض الأفراد والجماعات وأحياناً المجتمعات إلى مهددات كثيرة سواء كان ذلك على المستوى المادي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي.. جميعها لها انعكاسات على الأمن النفسي للفرد

والمجتمع، وبالتالي يشيع حالة من عدم الأمن والاستقرار والتوتر مما يؤثر على عموم توافق الفرد والجماعة، فمتى يشعر الفرد بالتهديد لذاته والخطر والقلق يدخل في دوامة الصراع والإحباط والاكتئاب والعدوان، ويرافق هذا التهديد مشاعر متباينة من الغيرة والحسد والغيرة والعداء نحو الآخرين والتعصب والنزعة نحو التشاؤم إلى جانب مشاعر التوتر وعدم الرضا والضغط والتعب والتهيج والصراع والاضطرابات السايكوسوماتية، والكوابيس الليلية، وعدم الرضا، الثبات الانفعالي. والنزعة القهرية نحو الاستبطان أو التأمل الذاتي والوعي الشديد بالذات والشعور بالذنب والخجل، والنزعات الانتحارية، والرغبة بالقوة إلى جانب نزعات ماسوشية، والاتكالية، والإذعان إلى الآخرين والشعور بالنقص والهروب نحو الأهداف الوهمية، والهلوسة والأوهام، وإبداء اتجاهات أنانية، وميول فردية.

إن ما يهدد الأمن النفسي كل ما من شأنه أن يؤدي ويكون نتيجة لحالة الشعور بالنبذ وعدم المحبة والعزله والوحدة، والشعور الدائم بالتهديد والخطر إضافة إلى إشاعة الخوف والفوضى ويمكن أن نحمل جملة من العوامل المهددة للأمن النفسي ونشير إلى الآتي منها:

1 - العوامل الاقتصادية:

يعدّ الوضع الاقتصادي ضغطاً يهدد حياة الأفراد بالخطر، إذ يشار إلى أن قلة الدخل الشهري تخلق لدى الأفراد مشاعر عدم الاطمئنان في إشباع حاجاته المعيشية اليومية ورغباته الذاتية، وهذه المشاعر من عدم الكفاية، وارضاء الحاجات المادية تولد له نوعاً من القلق والاضطراب نتيجة عدم الاطمئنان، على إشباع حاجاته الشخصية وحاجات أسرته.

2 - التغيّر في القيم:

إن القيم تشير إلى الأيدلوجية أو الفلسفة العامة للمجتمع، فالقيم ما هي إلا انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الأشخاص في ثقافة معينة، وكذلك تحدد القيم أشكال الأسلوب غير المرغوب، فإذا حدث تغيّر في أشكال السلوك التي يتم اختيارها لإشباع الحاجة للأمن النفسي، فإن الفرد يتبنى قيماً تعمل على تبرير السلوك غير المقبول اجتماعياً وشخصياً، فيبرر العدوان مثلاً على أنه دفاع عن النفس، وإذا ما حصل تغيّر في القيم فإنه قد يؤدي إلى تغيّر الأيدلوجية السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

يحدث التغيّر في القيم عندما يتعرض الأفراد لمواقف الفشل والإحباط والضغوط الشديدة التي يقع فيها الأفراد تحت ظروف عصيبة، وكذلك يحدث التغيّر في القيم لدى الأفراد والجماعات نتيجة للتغيّر الاجتماعي السريع، والعوامل السكانية.

3 - الحروب والنزاعات:

إن وقوع الحروب والنزاعات، يؤدي إلى إحداث تغيّرات اقتصادية واجتماعية تؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية، وارتباك الأوضاع الاقتصادية، وظهور أنماط عمل مختلفة، تترتب عليها نشوء حاجات جديدة لأفراد المجتمع، وظهور أنماط جديدة من ردود الأفعال والسلوك، وهذه التغيرات تكون نتيجة لشعور الفرد بالخوف من عدم المقدرة على سد حاجاته الأساسية، ومن ثم يهدد هذا شعوره بالخوف من المستقبل لعدم قدرته على التنبؤية، مما يجعل الفرد يغيّر من قيمه ومبادئه في سبيل إزالة ما يهدد بقائه، فيؤكد على القيم الاقتصادية، وفيما تغطي القيم الاقتصادية كافة مناحي المجتمع ومظاهر السلوك، تضعف القيم الخلقية والاجتماعية والمعرفية.

التاريخ قديماً وحديثاً يشهد العديد من الحروب والنزاعات التي أحدثت تغيرات واسعة وكانت تشكل بحق خطراً دائماً يهدد الأفراد والمجتمعات ويشيع انتشار الانتهاكات وبالتالي أصبحت مهدداً للأمن النفسي وشيوع الخوف والاضطراب وانتشار كل ما من شأنه أن يهدم كيان الفرد والمجتمع والعيش في بؤس وقهر. إن هذه الأجواء تخلق صراعا لدى الكثيرين، وفي استعصاء الحل السوي لنتائجها، يكون المرض حلاً منحرفا لذلك الصراع.

4 - العوامل الثقافية والتنشئة الاجتماعية المضطربة:

إن العوامل المحيطة بالفرد في وسطه الاجتماعي كاضطراب العوامل الثقافية وشيوع أنماط غير سوية من أساليب التنشئة الاجتماعية، سرعان ما تتحول مستقبلاً إلى تناقضات وصراعات تهدد الفرد في حالة مواجهته لها أو الانتقال إلى بيئات أخرى مختلفة في أنماط بنائها، فيحدث خلل في سلّم إشباع الحاجات وطرق إشباعها، وهذا يتسق مع منظور مازلو في أن الشعور بالأمان تزداد مظاهر انخفاضه في أوقات الأزمات، والحروب، والكوارث الطبيعية، والفساد الاجتماعي، والمعاناة الاقتصادية، واضطراب القيم.

إن شيوع قيم وثقافة التطرف والعنف والتعصب والعدوان والإرهاب تؤدي إلى خلل في الأمن النفسي للفرد والمجتمع، وتشيع حالة الخوف والفوضى والتهديد المستمر للوجود ويخلق ردود أفعال مضادة تقود إلى عدم الاستقرار وترتب نتائج خطيرة تقود إلى الانهيار.

إن ما ذكر من تصنيفات كمهددات للأمن النفسي هي تقسيمات وفق الأسباب المؤدية لها، فالتهديدات النفسية والاجتماعية والاقتصادية غير قابلة للفصل وهي متداخلة مع كافة أنواع التهديدات

الداخلية والخارجية والبيئية، وتختلف مصادر التهديد وخصوصا على مستوى الدول في المرحلة الراهنة وفق التهديدات المؤدية لها التي يمكن نشير إلى بعض مصادرها كالآتي:

1. **النزاعات الثنائية بين الدول، التي هي في غالبيتها صراعات حدودية تاريخية أو تنافسية تطال الموارد الطبيعية، وهذه النزاعات شكلت طيلة عقود من عمر الدول عائقاً أساسياً في تثبيت الاستقرار، ومن ثم انعكاسه على أمن واستقرار الوطن والمواطنين.**
2. **التناقضات الداخلية، لكل دولة أزماتها المتوزعة على الصعد الديمغرافية (فئات السكان وتوزيعهم وأزمة الوافدين متعددين الجنسيات والاقتصادية (تراجع الوفرة الاقتصادية بعد أزمات المنطقة) والاجتماعية (بروز أزمات اجتماعية تهدد الأمن الاجتماعي مثل انتشار ظواهر الإدمان وأشكال أخرى لمعاداة المجتمع).**
3. **النزاعات الأقليمية، وهي المسؤولة عن إجراء التوتر المستمرة بين دول الجوار الجغرافي، لأنها لا تقف عند النزاع الحدودي أو نزاع الموارد بل هي تتخطى إلى نزاع حول مناطق استراتيجية.**
4. **تنامي فعالية الأصولية والحركات المتطرفة، وتتوزع هذه الحركات والفعّاليات في مختلف دول العالم مهما كانت أصولها الدينية والاجتماعية، وتتوزع هذه على فئتين، الأولى تعنى بالدعوة إلى أفكارها وتتعاون مع الدولة وتطلب دعمها لنشر أفكارها، أما الثانية فهي تجاهر بمعاداتها للسلطات وتعلن عن الرغبة في الوصول إلى السلطة وتثبت مبادئها وأفكارها سواء بالطرق الديمقراطية أو عن طريق العنف. والتاريخ فيه العديد من الشواهد قديماً وحديثاً، فقد توالدت في القرن العشرين الكثير من النزاعات والاتجاهات والسياسات والحروب والاوبئة والدكتاتوريات والثورات والحركات العنيفة أثرت بالإنسان وأخلت بمنظوماته القيمة ونالت من إمكاناته وعطلت إبداعاته وبددت ثرواته وأفقرت قدراته وسفكت دمائه وبطشت بوجوده.. وفي الحقيقة أن الأساس التاريخي لحركات التطرف يمتد زمنياً إلى ما قبل القرن العشرين بكثير، حيث ظهرت حركات ومنظمات سياسية في أوروبا استخدمت العنف وسيلة لبلوغ أهدافها السياسية، والعالم جميعه مر بهذه الصور وكان لها انعكاسات كبيرة عليه وعلى المجتمعات الإنسانية برقيّها.**

الانعكاسات الأمنية للتهديدات:

تظهر هذه الانعكاسات على مختلف الصعد لتخلق أثارا غير ممكنة التجاهل، إذ تتجلى هذه الانعكاسات على الصعيد العسكري والمتمثل بزيادة الإنفاق العسكري وصعوبة التوجه لدى صناع القرار. أما لدى المواطنين فهي تنعكس باستشعارهم ضعف مقومات الأمن الاجتماعي، بما يدفعهم للتصرف وفق توجهات مختلفة نتيجة لهذا الشعور.

من ثم سوف نستنتج مجموعة من الأنماط السلوكية لهذه التصرفات، إذ من الممكن تصنيف ردود فعل المواطنين أمام شعورهم بالتهديد في الأنماط السلوكية الآتية:

- **التوحد بالمعتدي:**

ويمكن للمعتدي أن يكون أياً من مصادر التهديد المشار لها في الفقرة السابقة، مع ملاحظة الميل المتنامي للتوحد بالحركات المتطرفة، وخاصة منها تلك التي تتخذ طابعاً سياسياً حاداً.

- **فوبيا المواجهة:**

أو سلوك توقع الأسوأ والتصرف على أساسه.

- **السلوك الانسحابي:**

ويتجلى بالعمل على تامين البدائل (بما فيها محاولة الحصول على جنسية إضافية).

- **السلوك الهروبي:**

ويتجلى بالهرب من مواجهة غموض الاحتمالات إلى تجنب التفكير بالواقع واحتمالاته، وهذا السلوك يفسر ارتفاع نسبة الإدمان والإقبال على الإكثار من تناول المخدرات والكحوليات.

- **السلوك الاستسلامي:**

ويتجلى بالتسليم أمام أية احتمالات مطروحة مهما كانت درجة الخطورة في تهديدها. ويتسم هذا السلوك بانخفاض تقدير الذات والاعتقاد باللاجدوى من القيام بنشاط أو فعالية لتعديل الواقع أو مواجهته أو التغلب عليه.

- **سلوك المواجهة:**

وهو سلوك لا يمكن إغفاله لدى الكثيرين ويتمثل بمواجهة المواقف ومحاولة الوصول إلى حلول وإيجاد بدائل مناسبة وبطريقة إيجابية، وأحياناً يكون سلوك المواجهة بالاتجاه نفسه وهذا ما يتمثل بالقاعدة (لكل فعل رد فعل).

- **مواجهة انعكاسات مهددات الأمن النفسي:**

إن ما يتركه التهديد الدائم والمستمر، وحالة الخرق لأمن الأفراد والجماعات والمجتمع، أيا كانت مصادر هذه التهديدات، سيترك أثارا خطيرة على مفهومي الأمن النفسي والاجتماعي وبالتالي يؤثر ويتأثر بالأمن الاقتصادي والسياسي والأقليمي والدولي وفق مستوياته الفكرية والتطبيقية كأفراد ومؤسسات ودول ومجتمعات. فبالقدر الذي نستطيع فيه تقليل مصادر التهديد وتحويل مساراتها واتجاهاتها وحتى الوصول إلى تجفيف منابع التهديد وصولاً إلى الأمن والسلام العالمي، لا بد أن نفهم ونراعي الآثار المترتبة على تلك المحددات ومواجهة انعكاساتها وما تخلقه الكوارث والأزمات والاضطرابات والجريمة ومظاهر العنف وحالات التردي السياسي والاجتماعي والاقتصادي...

ولأجل مواجهة انعكاسات مهددات الأمن النفسي نجد من الضروري استعراض الأولويات التي تسهم في حل المشكلات ودعم مشاعر الأمن الفردي والجماعي، ومن هذه الأولويات:

- **حل الـنزاعات أياً كان نوعها من خلال اعتماد آليات مواجهتها وتحويلها إذا ما توفرت الإمكانيات اللازمة لذلك.**
- **حل التناقضات الداخلية ومحاولة نزع فتيل تفجير الأزمات داخل المجموعة (الجماعة)، المجتمع، الدولة.**
- **الاتفاق على القواسم المشتركة وصولاً لتحديد أولويات جامعة.**
- **الاتفاق على حدّ أدنى من المبادئ والمفاهيم المحددة والواضحة لخدمة المصالح المشتركة.**

ولتقليل من آثار التهديد يمكن اتباع ما يلي:

- **متابعة علاج الآثار الصدمية المزمنة الناتجة عن الحروب والـنزاعات. إذ إن الطابع التراكمي لهذه الصدمات يتعزز مع مخاوف تكرار الكارثة. ومع غموض الاحتمالات القادمة.**
- **الاستمرار في معالجة الانعكاسات النفسية والاجتماعية المختلفة عن الحروب بما فيها**

مشاكل فقدان مشاعر الامان والخوف من تكرار الحوادث، لا سيما عند الاطفال وعوائل المتضررين. مع ملاحظة الحالات التي اتخذت صيغة المزمن.

- العمل على علاج ردود الفعل الدفاعية الفردية والجماعية الظاهرة في الأنماط السلوكية التي سبق الإشارة إليها التي تنعكس سلباً على الانتماء والمواطنة، والتي تقود وتشجع سلوك اللامبالاة والشكل الاجتماعية والسلوك المضاد للمجتمع.
- نشر الوعي الصحي - النفسي وخلق ثقافة نفسية عبر وسائل الاتصال (مقابلات تلفزيونية - محاضرات - ندوات - مقالات... إلخ). مع تحديد أهداف واضحة لكل برنامج من برامج التحرك.
- معالجة الأنماط السلوكية الخاطئة (التوحد بالمعتدي - السلوك الانسحابي - الاستسلام... إلخ) بعد تحري وبائية انتشارها وأساليب تظاهرها وسبل استغلالها من قبل الجماعات المهددة للاستقرار.

المصادر:

- زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 1974.
- السيد، جمال، أضواء على الحرب النفسية، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، 1972.
- الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مكتبة الجامعي الحديثة، ط1، 1985.
- فهمي، مصطفى، دراسات في سيكولوجية التكيف، القاهرة، 1976.
- أبو النيل، محمود السيد، علم النفس الاجتماعي، دراسات، مصرية وعالمية، ط1، 1987.
- الزبيدي، كامل علوان، علم النفس في الميدان العسكري، الدار العربية للموسوعات، بيروت ط1، 1988.

الفصل الثامنمتطلبات الأمن
والضغوط الناجمة عن العمل

المقدمة:

تلعب المعلومات دوراً مهماً في التأثيرات النفسية والمعنوية على القوى المتصارعة إذا ما استخدمت بصورة تضمن التحرك من خلالها لإفشال الخطط، ومن ثم قدرتها في المساعدة على التخطيط للمعارك والمنازلات بين هذه القوى، وكلما كانت المعلومات ذات أمنية عالية، كلما كان الأمن الإنساني والذاتي والتحصين النفسي ذا أهمية لاعتبارات أهمية الصراع بين هذه القوى. وهكذا تلجأ القوى والأطراف في كل ظروفها السلمية منها وفي الحرب إلى الحصول على المعلومات، وذلك من خلال بث عناصر إستخباراتها وأجهزتها السرية، وأجهزة الاتصالات إضافة لما تقدمه بعض الأجهزة والقنوات الدبلوماسية من معلومات حول قدرة أحد الأطراف، وتهدف من ذلك إلى كسب أحد الأطراف والاستفادة من استمرار الصراع.

ورغم أن المقاتلين والمواطنين يعتقدون أن بعض الأحاديث التي تنطوي على معلومات بسيطة والتي تكون مادة للحديث اليومي في بيوتهم أو في الأماكن العامة وبعض المناسبات، قد لا تفيد أحدا وأنها متداولة ومعروفة، إلا أن الحقيقة التي لا تقبل الشك، هي أن هذه الأحاديث تحتوي على الكثير من المعلومات التي يبحث عنها العدو لأغراض استخبارية ونفسية يستخدمها بعد أن تشكل تراكما كبيراً وهي بذلك تعينه على جمعها والربط بينها ومن ثم توظيفها واستثمارها لصالح خططه وعملياته العسكرية والأمنية في الحرب النفسية.

ومن خلال أهمية المعلومات، ومهما تكن قيمتها، فإنه لا بد من وضع أسس للتحصين النفسي والأمني للأفراد عن طريق تأشير أهمية الأمن الذاتي وأمن المعلومات على مستوى التداول الرسمي أو التداول العام، وهنا لا بد من إيجاد صيغة واضحة تبرز من خلالها هذه الأهمية لتأكيد الجوانب الأمنية المهمة للمعلومات وأبعاد موضوع الثرثرة.

وتنعكس آثار هذه السلوكية في المؤسسة العسكرية والمدنية على حدّ سواء وتزداد أهميتها في المؤسسة العسكرية. لذا فإن أهمية التوجيه النفسي والإرشاد للأفراد والأسرة والمجتمع بضرورة الحفاظ على مثل هذه المعلومات، وعدم طرحها كموضوعات للحديث سواء الأسري منه أو ما يدور في الأماكن العامة.

الأمن الذاتي وضرورة تنميته:

1. إن بناء المواطن بشكل سليم يعني وضع حجر أساس قوي ومتين يستند عليه المجتمع وان أي انحراف يصيب الفرد يؤثر سلباً على البنية الاجتماعية والوطنية، كذلك ويتسبب في ضعفها ويعطي فرصة للأعداء لكي ينالوا منه، فالإنسان الجديد الذي ينزع إلى السلوك السوي والشعور بالمسؤولية إنما يتدرج بكل ما هو إيجابي نحو تقوية الموقف الوطني تجاه الأطماع العدوانية، وهو كذلك الإنسان القادر على حماية المصالح العامة التي يشترك بها الجميع، كما يدافع عن الأرض التي تعدّ الرابطة المشتركة لكل المواطنين بلا استثناء، ومن هنا فهو القادر أيضاً على ترشيح البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي هي أهداف مشتركة، ولذلك فإن الدفاع عنها يصبح بالنتيجة هدف عام.
2. خطورة تعميم إشاعات العدو: إن بعض القطاعات الجماهيرية، ومنها الشعبية بالذات، بما في ذلك المقاتلين، تصبح أحياناً وسطاً لترديد بعض من ادعاءات العدو وإشاعته أو بعض من المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية التي قد تفيد العدو، خصوصاً في الفترات التي يخطط لها العدو، فإنه بحاجة إلى جمع المعلومات لتوظيفها في إنجاح خططه الإعلامية أو العسكرية وهكذا تصبح أجهزته الإعلامية وأجهزة الاستخبارات أن تتحرك وفقاً لهذه المعلومات.

إن توجيه المعلومات يتم عن طريقتين هما:

1. إشاعة افتراءاته وأكاذيبه التي تبثها أجهزته الإعلامية ويتداولها عملاؤه ممن يتواجدون في الوسط الشعبي بشكل خاص في محاولة لتثبيط الهمم وإشاعة روح التخاذل واليأس.
2. استفادته القصوى من الكلام غير المسؤول والثرثرة التي يتسم بها البعض من المقاتلين والمواطنين، حيث يخضع كل ذلك للدراسة من قبل العدو ويحلله ليخرج بنتائج ومحصولات يسهل له من خلالها معرفة الجوانب المهمة، وبشكل خاص ما يتعلق بخطوط القتال وحركة التشكيلات أو ما يتعلق كذلك بالجهة الداخلية.
3. إن الإفصاح عن هذه الأمور وعداها، مما يصب في دائرة الأسرار العسكرية والأمنية، يعني تقديم خدمات يبحث عنها العدو، وهي توفر له جهوداً كثيرة، فيوظف جهوده الأخرى نحو العمل على تشديد تحركاته والتخطيط لعدوانه ويستثمرها في برمجة إمكاناته لمواجهة أية احتمالات قد يتحملها بعد معرفته لما يجري في الداخل أو في جبهات القتال.
4. إن سلوك العدو في جمع المعلومات وتوظيفها في عدوانه ومخططاته تحتم أن يكون هناك تحصين فكري ونفسي للمقاتلين والمواطنين وبكل المستويات، ومواجهة وسائله الإعلامية وذلك من خلال ايجاد نوع من الوعي بضرورة أن يكون هناك أمناً ذاتياً للمقاتلين وهذا يستلزم الآتي:

أ. كشف خطط العدو الإعلامية ومعرفة اتجاهات وسائله النفسية المستخدمة من خلال أجهزته الموجهة من الإذاعات أو المنشورات وكذلك دعايته وإشاعته.

ب. القدرة على التحليل لما تطلقه الوسائل النفسية المختلفة للعدو، وهذا يستلزم درجة عالية من الوعي والإدراك، وهنا تقع مسؤولية ذلك على عاتق الآخرين ومن خلال إيجاد تمازج حقيقي بين القيادات والتابعين.

ج. خلق الثقة الكاملة بالقدرات والإمكانيات للأفراد والمجتمع والمقاتلين والمحافظة على أسرارها وعدم فسح المجال للفرد أن يتحدث إذا كان معنياً عن الأمور والإمكانيات التي يمتلكها ومجموعته.

د. رفع الثقة بالنفس إلى درجة أن يكون الفرد المقاتل قادراً على كتمان أسراره الذاتية أولاً ومن ثم أسرار مؤسسته أو المكان الذي يعمل فيه، وان يضع نفسه في موقع المسؤولية المطلوبة منه.

هـ. الالتزام بالتعليمات والتوجيهات الصادرة من القيادات العليا وعدم الاستهانة بقدرات العدو.

إن تحصين المواطن وعلى كافة المستويات وكذلك المقاتلين على مستوى القوات المسلحة وقوى الأمن ضد الإشاعات، إنما يعني المحافظة على الأسرار التي قد يوظفها العدو ضد القدرات القتالية على الجبهة الداخلية، ويمكن عدها من مستلزمات الصمود في مواجهة

التحدي المفروض. ومثل هذا التحصين سيقود إلى تحصين المجتمع مباشرة وهنا يمكن اعتبارها من مستلزمات الصمود في مواجهة التحدي المفروض ومثل هذا التحصين يقود إلى تحصين المجتمع مباشرة، وهنا يمكن اعتبار أهمية التحصين الذاتي هو البداية الحقيقية لتحصين الوطن من الخرق العدواني، وإبعاد الإمكانات التي يوفرها للحصول على هذه المعلومات.

فالأمن الذاتي يجب أن يكون محور التوعية والتثقيف سواء على مستوى الجماهير أو على صعيد القوات المسلحة، وأبعاد احتمالات الخضوع لإشاعات العدو وكل ما يقلل من المواجهة التي يتحصن بها المواطن.

الثرثرة بالمعلومات وأثرها على الأمن:

1. تعد القوات المسلحة والأجهزة الأمنية والاستخبارية في أية دولة الجهاز الاجتماعي الأكثر فاعلية وتنظيما ومن ثم الأكثر قدرة على مواجهة الأخطار والتحديات الداخلية منها والخارجية، ولهذا فإنها موضع اهتمام ومراقبة الدول المعادية بل وحتى الدول الصديقة، الأمر الذي يحفز القوى لجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بالقوات المسلحة والأجهزة الأمنية ومؤسسات الدولة من حيث عددها وعدتها وتنظيمها وكيفية توزيعها والميول السياسية والخصائص النفسية لقادتها، لغرض الاستفادة منها وتوظيفها لخدمة استراتيجية هذه الدول وسياستها وأهدافها المستقبلية، بل لوضع أهداف العلاقات مع هذه الدولة في الحسابات الأساسية.
2. في زمن الحرب والصراع تزداد أهمية الحصول على المعلومات العسكرية بين الأطراف المتحاربة وخاصة فيما يتعلق منها بالنوايا وتحرك الجيوش والأجهزة المختلفة وما إلى ذلك من أجل استثمارها في عملياتهم العسكرية والنفسية تجاه كل طرف.

لماذا الثرثرة بالمعلومات؟

3. يميل البعض على المستوى العسكري والأمني والاقتصادي أن يتحدث في الأماكن العامة وأثناء تجمعات الأهل والأقارب والأصدقاء وفي وسائط النقل وسواها لأسباب قد تختلط بين الإهمال وقصر النظر وبين التبجح وحب الظهور، لأن هذا السلوك يمنحه بعض الأمور التي لها علاقة بحالته النفسية والشخصية أهمها:

أ. تأكيد الذات فقد يتم الإقدام على الثرثرة بالمعلومات التي يعرفها كي يبدو أمام معارفه بأنه على إطلاع واسع بكل ما يتعلق بالجبهة الداخلية أو جبهات القتال وتفاصيل أخرى عن الحرب ينفرد بها دون سواه من الناس، وأنه يشغل مركز إحساسا في مكان عمله أو أنه حائزا على ثقة رؤسائه.

ب. الجهل - غالباً ما نجهل قيمة المعلومات التي بحوزتنا مما يفقد التقدير الصحيح لخطورتها وإذا ما وقعت في متناول الأعداء فإنها ستعرض سلامة وأمن الوطن والمواطنين إلى الضرر والخراب.

ج. الحاجة إلى الاختلاط والاحتكاك الاجتماعي بسبب حالة الاغتراب الاجتماعي وحالة فقدان التواصل المستمر مع المجتمع والجماعات المرجعية والأولية بسبب التواجد الطويل والمستمر بالمواقع أو حالات التنقل المستمر فإنه تتراكم وتحبس الكثير من التفاصيل الحياتية في ذات المقاتل والتي غالباً ما يرافقها سيل من الأحداث والمفارقات التي تكون مقبولة بين الناس في الحياة الاعتيادية الأمر الذي يحفز البعض للإفصاح عنها منذ اللقاء الأول بأية جماعة اجتماعية دون الأخذ بنظر الإعتبار عما تكيّف هذه الأحاديث من المعلومات وأسرار عسكرية يمكن أن تتسرب (من خلال العملاء والمتعاونين) الذين يتفحصون هيئات مختلفة في الأوساط والمرافق الاجتماعية المنتشرة.

د. الإهمال - رغم التوجيهات والأوامر وعبر مختلف قنواتها التي يدرب عليها المقاتلون عن أهمية الالتزام بالاوامر إضافة إلى المواطنين وخطورة تناقل المعلومات بين الأوساط

المدنية، وشدة التحذير والحساب قد يجنح البعض إلى خرق كل التحفظات ليتحدث بامور لا يجوز التحدث بها.

هـ. الثقة والاطمئنان بالعائلة والأقارب والأصدقاء - فمن المعروف أن كل فرد له انتماءات مرجعية كالعائلة والأقارب والأصدقاء وهو يقوم باختيار الأصدقاء وانتقاء الجماعات المحببة، فمن يرتبط معهم بأوامر الصداقة والثقة المطلقة التي تنقلهم إلى مكمن النفس والضمير منه حتى غدا لا يضع تحديات على ما تطلقه أساريره من أحاديث ومعلومات يعتقد أنها ستكون محل سرية، وكتمان هذه الأطراف التي تقوم بنقل مثل هذه المعلومات عبر العلاقات الممتدة إلى الآخرين وبهذا تكون المعلومات والأسرار العسكرية وقد وصلت إلى عدد من الناس الذين قد يكون بين صفوفهم من يتصيد هذه الغنيمة التي ستكون في محصلتها بين يدي الأعداء.

الآثار السلبية الناتجة عن الثرثرة بالمعلومات:

يبذل الأعداء جهوداً كبيرة وخاصة في زمن الحرب للحصول على مصادر المعلومات، ومن أطراف متنوعة ومتعددة بغية خدمة عملياته الاستخبارية والسياسية والنفسية والعسكرية وقد تصل في بعض الأحيان وحسب حجم ونوع المعلومات إلى تخصيص مبالغ ضخمة لا يتورع العدو على بذلها إذا كانت تعزز قدراته الاستخبارية والعملياتية وتخدم خططه العدوانية وقد يلجأ العدو إلى ما يسمى بالرتل الخامس والبعض ممن باع ضميرة في الداخل لمتابعة وتنفيذ عملية جمع المعلومات، من هنا يمكن أن يكون العدو مدسوساً بين ثنايا عموم العلاقات الاجتماعية للوصول إلى أهدافها وتحقيق نواياها أو إذا ما علمنا أن الماد الاستخبارية في مجموعها هي عبارة عن نتف المعلومات من هنا وهناك يجمع خليطها وتخضع إلى دورة الاستخبارات المعروفة لتنتج عنها معلومات ذات قيمة تعود بأرجحية في جميع خططه العدوانية وعلى اختلافها، وفي هذا السياق فإن أية معلومة عسكرية مهما بدت بسيطة فإنها محط اهتمام متابعة العدو وأنها في النهاية تتحول إلى رصاصات غادرة يصوبها أبنائها نحو القوات المسلحة فضلاً عن كونها عاملاً مساعداً يشجع العدو على الاستمرار أو المطاولة.

كيف ننمي القوى الضابطة لدى الفرد:

إن أمن وسلامة الوطن بمجالات عديدة منها أهمية المحافظة على أسراره العسكرية والسياسية والاقتصادية حيث الحفاظ على هذه الأسرار يتوازى بذات الحجم مع القتال، وصيانة الأمن بصورة عامة والأمن العسكري بصورة خاصة ذات أهمية بالغة إن لم تكن بمستوى المواجهة القتالية نفسها، وفي هذا الاتجاه يجب أن ننسق حصانة الفرد وحفاظه على الأمن مع حجم المستلزمات المهيئة للدفاع والقتال، الأمر الذي يعني تعزيز ما يلي:

أ. التدريب والتطبيق على التكتم وحفظ الأسرار.

ب. التوجيهات والمحاضرات الخاصة بأهمية الأمن والمخاطر الناجمة عن تداول المعلومات خارج إطار العمل بين الأهل والأصدقاء.

ج. عداد تمارين وعرض افلام مصورة توضيحية عن الاساليب المعادية في الحصول على المعلومات.
د. تخصيص يوم في الأسبوع يسمى يوم الأمن والمعلومات يشترك فيه جميع المعنيين لاشاعة أهمية الأمن.
و. التأكيد على مبدأ المعلومات لمن يحتاجها ونقله إلى واقع ملموس.

دور الأسرة في الحفاظ على الأمن:

تعتبر الأسرة هي الحلقة الأساسية في المؤسسة الاجتماعية الكبرى (المجتمع) والتي ينتمي لها المقاتلون وعموم المواطنين، حيث أنها مرجعية يستمد منها الفرد قيمه ومفاهيمه الأساسية مضافاً إليها القيم الموجودة في المؤسسة التي يعمل بها، والتي تصبح المعين الذي يرفع الروح المعنوية، مما تجعلهم يبوحون بأسرارهم ومشكلاتهم في محيطهم الطبيعي - الأسرة - مما يجعلها على علم بكل تفاصيل حياتهم اليومية وبشكل خاص تلك التي يعايشونها في مكان تواجدهم. إذ تعتبر المتنفس الوحيد للحالة النفسية التي يعيشها الفرد داخل مؤسسته، لأنهم بحكم انتمائهم إليها يتحدثون بكل ما يدور في هذه الحياة دونما انتباه لأهمية ذلك ومخاطره على الأمن الذاتي والأمني والعسكري، وأحياناً ورغم التشديد فإنهم يثيرون ما لا ينبغي الحديث عنه، وهو ما يتعلق بالأسرار وبالأعمال اليومية والنشاطات المختلفة وحركة القطعات والمعدات واستخداماتها وواجبات التشكيل أو حتى الخطط.

وعندما تحاول المؤسسة أن تحول دون تسرب بعض هذه الأسرار والمعلومات من داخل المؤسسة إلى الأسرة فإنه يبدو من الصعوبة بمكان السيطرة عليها لأنها تتحرك ضمن تيار المناقشات التي تتعلق بالوضع النفسي أو بعلاقات الأدنى بالأعلى أو حتى بين القيادات، وبعبارة أخرى أن البعض يحاول أن يؤكدوا ذواتهم شعورا منهم بالاعتزاز، والتفاخر بأعمالهم ومعلوماتهم التي يعرفونها عن مؤسساتهم الأخرى، اعتقاداً منهم بأن ذلك سيعلي من شأنهم على الآخرين وسيكون أكثر مفخرة أمام من هم على مقربة نفسية واجتماعية، وتمثّل الأسرة المكانة الأولى في هذه الحالة.

إن حسن النية في الحديث مع الأسرة، قد لا يلفت نظر المقاتل إلى خطورته كما لايلفت نظر المقربين له، إلا أنه يحتاج أن يجد من مرؤوسيه، ومن السلوك العام الذي يسود داخل المؤسسة الأمنية والعسكرية توجيهاً ولو بصورة غير مباشرة إلى خطورة ذلك، والغرض منه إيجاد بناء نفسي للمقاتلين يكونون محصنين من خلاله ضد أي خرق من العدو بواسطة معرفة تفاصيل الأمور.

وإذا ما تجاوزنا قضية التحدث إلى الأسرة فإن عملية نقل المعلومات ومن منطلق حسن النية يشكل مخاطر عديدة أهمها انتشار هذه المعلومات إلى عوائل أخرى، وقد تضيف عليه أو تنقله مباشرة

دون معرفة مخاطر ذلك على الأمن بصورة عامة وعلى الأمن العسكري بصورة خاصة.

الأسرة والوضع النفسي لأفرادها:

في الظروف الاستثنائية والحربية، تصبح التعبئة العامة، هي الحالة البديل عن الحالة السابقة، وإزاء ذلك فإن أفراد المجتمع يصبح معظمهم رجال أمن ومقاتلين، وهذا ما يجعل الأسرة والأسر الأخرى تمتلك رجال ومقاتلين وفي مجتمعات، فإن العلاقات العائلية تؤكد على أفقية العلاقة وهرميتها، مما يولد شبكة واسعة تحمل ذات الصفات والخصائص للنواة الأساسية.

ومن هناك فإن علم النفس الاجتماعي يهتم بعلاقة الفرد النفسية بالمجتمع الأكبر ويحاول دراسة ورصد السلوك الإنساني ضمن السلوك الاجتماعي العام، وهكذا فإن العلاقة بين الفرد والمجتمع نوع من التعايش والتمازج النفسي، ونتيجة ذلك يبدأ الفرد بسرد علاقته اليومية والحياتية من خلال هذه العلاقة إلى أسرته ومن ثم لمجتمعه. وبشكل خاص في القضايا ذات العلاقة بالحالة النفسية وبالواقع المعاشي كونه يشعر بضرورة التنفس عما يحبس في داخل نفسه أثناء تواجده عن بعد عن مؤسسته أو مكان عمله لأنه يشعر بالعزلة الاجتماعية.

وهكذا يصبح على الأسرة إيجاد علاقة متوازنة بين الظرف الجديد وظرف الحرب أو الظرف الاستثنائي كالطوارئ النفسية، فعلى الفرد باعتبار أن الحالة تصبح شبة عامة وشبة دائمة ومستجداتها النفسية كثيرة، فيحتاج الإنسان أن تصبح هناك موازنة بين الحالة الجديدة وحالة التعبئة، بما يؤمن نوعاً من الصبر في عدم التحدث بالأسرار خلال هذه المرحلة.

إدارة الأسرة والأمن:

ينطلق مفهوم القيادة من الموقع الاجتماعي الذي هو بالأساس موقع أسري يأتي الآباء في مقدمته وهنا يبرز مفهوم الإدارة والقيادة لذا يصبح التوجيه الذي يعتمد على قدرة القائد وإدارة الأفراد هو المعين الذي يحقق الأهداف الجماعية ويبرز حرص الجماعة من خلال أهمية النتائج المترتبة على العمل الجماعي، وهذا بدوره يضعف أهمية العمل ومفرداته وخططه، مما يحتم أن يحاط في بعض الأحيان بجانب كبير من السرية والكتمان، وتقع مثل هذه المسؤولية على الرأس الاجتماعي الذي تمثل في الأب، حيث أن توجيهاته تصبح بمثابة تعليمات حياتية لأنه يمثل القدوة سواء لأفراد الأسرة عندما يتناقلون الأحاديث أو بالنسبة لأفرادها خارج نطاق الأسرة وفي أماكن تواجدهم فيما يتعلق بالأمن الوطني - والمعلومات العسكرية.

وقد تتناقل الأحاديث التي تدور في الأسر بعض المعلومات التي تصبح فيما بعد على شكل معلومات متداولة قد تسيء إلى سمعة المؤسسة المدنية والعسكري والوطنية من خلال توجيه الأبناء وممن هم أصحاب شأن في الأسرار المهمة والتي يستفيد منها العدو - سواء في الحرب النفسية أو في تحقيق إعلام دعائي لمواجهة الصمود الذي تشكل فيه الأسرة الأساس المتين بما يعزز الموقف النفسي والاجتماعي لهم.

إن هذه العلاقة بين حفظ الأسرة لما يبوح به أفرادها من الذين يعملون في الدوائر الأمنية والعسكرية وبين التوجيه الاجتماعي الذي تقدمه الأسرة المحافظة على الأمن الذاتي إنما تساعد على عدم استفادة العدو مما هو متداول والحالة الاجتماعية، وكل هذه الملاحظات تحتم الإلتزام الأسري باتجاه ضرورة النظر إلى الإعتبارات المهمة والتي تتمثل بما يلي:

أ. العودة إلى الحقب التاريخية وضرورة الاستفادة من الحوادث والقصص التي يزفر بها التراث.
ب. اعتبار الأسرار الأمنية والعسكرية بمستوى الأسرار العائلية وتعميق هذا المفهوم بكل جوانبه.
ج. التوعية بأهمية المعلومات العسكرية والأمن الوطني.
د. بيان أهمية المعلومات الأمنية والعسكرية والأمن الوطني.
هـ. إن المعلومات سلاح بيد العدو واستخدامه سهل في كل الميادين.

المجتمع والأمن:

1. من المهم القول بأن العدو يستفيد من أية ملاحظة عابرة تمس أمن القطر عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ليوظفها في خدمة جهده القتالي، من خلال اقتباس تلك الملاحظة وإخضاعها للتحليل والاستنتاج، لكي يخرج بحصيلة تؤثر فاعلية الجانب المقابل ومدى قدرته على الاستمرار في إدارة وإدامة المعركة.

إن العدو والمتحالفين معه، وبالأخص في ظروف الحرب، يستثمرون أية إشارة تصدر عن مواطن عادي أو مقاتل محترف لثبوتها وفق جهد استخباري فاعل، مستخدماً في ذلك شتى أنواع الأجهزة ليغدو اصطياد المعلومة مفتاحاً لاختراق نوايا الجانب المقابل وتجنباً لهذه الثغرات التي تعرض الوطن للخطر، وتعرّض المتحاور نفسه للعقوبة أو المسائلة يتوجب الخوض في أي أمر يخص الجهد الأمني والعسكري وما يتساوق معه من خطط اقتصادية وسياسية واجتماعية قد ينفذ من خلالها العدو بما يساعده للحصول على تصور مقارب لما يحدث على جبهتي الوطن الداخلية أو تلك الممتدة على خطوط النار.

كيف يستفيد العدو من المعلومة العامة:

المعروف أن العدو يوظف كل جهده الاستخباري لالتقاط المعلومة
إن إطلاق الكلام غير المسؤول في السوق والشارع والزقاق والمقهى والسينما وغير ذلك في المواقف الاجتماعية، يشكل مجالاً

رحبا لصيد العدو الاستخباري وبالأخص عندما يكون المتحدث قادما لتوه من الجبهة (على سبيل المثال ويحمل معلومات حديثة ذات أبعاد تعبوية مهمة وغيرها من أمور تحفل بها جبهة القتال).

إن الشخص المعني (المقاتل، رجل الأمن..) الذي يصرخ في محفل عام أو على سبيل المثال. إن النوع (الفلاني) من السلاح قد وصل حديثا.. فهو بذلك يرسل، وأن كان ذلك ببراءة وبصورة غير مباشرة، يتم تقديم المعلومات" بحسن نيه" للعدو الذي سيعتمد إلى تفحصها ودراستها ومن ثم تصوّر له الثغرة التي تمكّنه من النفوذ في عدوان قادم قد يكون المقاتل "المتحدث بحسن نية" ضحية له.

إن إثارة العديد من المواضيع للنقاش بين أكثر من فرد وخاصة الأماكن العامة التي تصغي فيها أذان عديدة غير منظورة، وإن كانت بحسن نية أو بهدف الترويج عن النفس هي مضرة جداً للفرد نفسه فهي قد تضعه في موقف المسائلة أمام القانون ومضرة للمجتمع الذي يخسر من أبنائه لبنة كان يمكن أن تكون مع غيرها أساساً للقوة والمتانة ودعم مستقبل الوطن وأمال أبنائه، وكذلك يمكن أن تضيف هذه الحالة متغيراً إيجابياً يستخدمه في عدوانه وتجاوزه على الوطن في الوقت المناسب.

نقل المعلومة وآثارها:

ثمة حكمة عربية تقول.. "لسان العاقل في قلبه وقلب الجاهل في لسانه".. فهذه الحكمة تعني، إن العاقل هو الإنسان الذي يحتفظ بسره في قلبه في حين أن الجاهل ينقل سره إلى لسانه وبالتالي إلى آذان الآخرين، وهكذا يتم نقل المعلومات من فرد لآخر، حتى تصبح المعلومة متداولة كالبضاعة بين الناس. وإذا كان على العاقل أن يغلق قلبه على السر في الأوقات الاعتيادية فما بالك في الظروف الاستثنائية.

إن المحافظة على الأسرار في مثل هذه الظروف يغدو أكثر أهمية منها لأي خرق معاد، فالعدو الذي يثمن الفرص، يكون أكثر رغبة في الوقوف على أية معلومة مهما بلغت أهميتها ليصل من خلالها إلى أبعاد أكثر خطورة بعد جمع المعلومات وتصنيفها وإخضاعها للتحليل والدراسة ليخرج في النهاية بتصور ذي شمولية عن الجهة التي يحارب عليها والتي يهمه منها معرفة تكوينها ومداخلها.

إن المعلومات التي تصل إلى العدو لا تأتي من فراغ بل من الوسط الاجتماعي الذي يتغلغل عملاؤه لينقلوا إليه ما يدور في أروقة ذلك المجتمع من أحاديث وتعليقات وإشارات قد تتسلل من أفواه المقاتلين أو أفواه المواطنين عموماً حتى ولو (بشكل غير مقصود).

" أعطني المعلومات أعطك النصر "حكمة بالغة التأثير ينبغي على

المواطنين والمقاتلين استلهامها إيجابيا لحرمان العدو من تحقيق أهدافه.

الوسائل التي تحرم العدو من اقتناص المعلومة:

4. من أجل إفشال مخططات وأساليب وسائل النقاط المعلومات ينبغي مراعاة ما يلي:

أ. إن قطع دابر الإشاعة وعدم تداولها وتنبيه المواطنين لمخاطرها يعدّ من أجل الواجبات الوطنية والقومية.

ب. إن الحديث غير المنضبط عن الأمور العسكرية والأمنية له خطورته باعتبار ذلك الحديث نوعاً من إفشاء الأسرار التي يعاقب عليه القانون وتدينها الأعراف، لذا يتوجب عدم نقل المعلومات السرية أو إدارة الحديث حولها بين المعارف والأقارب مهما كانت درجة صلة القربى بهم.

ج. إن المسؤولية الذاتية عن حفظ الأسرار لا تقتصر على الاقتناع عن البوح بالمعلومات إنما تمتد وبشكل طبيعي إلى كل ما يتصل بالوثائق والمستندات والأوراق الخاصة، أو لا بد من تأمين نقلها وحفظها والتأكيد على سرية المعلومات التي تحملها.

د. تجنب الثرثرة بالمعلومات أيا كانت مصادرها وأهميتها وأن يتكتم كل مواطن على أسرار عمله ولا يكشفه أمام الآخرين مهما كانت صلتهم به.

هـ. تجنب ذكر أية معلومات مهمة في الرسائل الشخصية مهما كانت وسيلة البريد أمينة ومضمونة.

التعب Fatigue:

يخضع الإنسان في حياته إلى إيقاع، ينام ليستيقظ، ويجوع ليأكل ويتعب ليرتاح. وفي الحديث عن التعب من الوجهة النفسية لا يمكن إغفال الناحية الجسمية ولا تكون فكرة صحيحة عن عملية التعب إلا إذا وقفنا لحظة متأملين في القانون الطبيعي الذي يتعب الجسم بتكوينه الفطري، وتركيبه الأصلي ولا ننسى أيضاً أن الصلة بين الجسم والنفس وثيقة، وتظهر هذه الصلة متينة في كل بحث نفسي يحاول أن يدرس موضوعات متصلة بالحياة اليومية.

والتعب النفسي يؤثر بشكل واضح في الجسم، كما أن التعب الجسمي لا تلبث أثاره أن تظهر في كل الوظائف النفسية من ذاكرة وانتباه وإرادة وغير ذلك ولا ننكر أن كثيراً من الاضطرابات الجسمية تكون سبباً في اضطرابات نفسية، وهذا يشير إلى حقيقة التداخل الكبير الملاحظ بين الحالات النفسية وبين الحالات الجسمية.

وكثيراً ما يقع أشخاص كل بدوره بين الحالات النفسية وبين الحالات الجسمية وتتكون سلسلة من الاضطرابات يكون التعب حلقتها الأولى وينعمون بالراحة. والراحة الحقيقية لا تكون سلبية إذ تتطلب دائماً نوعاً من التعب، فالراحة المفيدة هي الراحة التي يبذل فيها الشخص نوعاً من النشاط ليعوض نقصا بواسطة نوع آخر.

ويكن تعريف التعب بأنه توجيه طويل للنشاط في اتجاه واحد يحدث شعوراً بعدم التوازن في النشاط النفسي.

فالتعب ينتج من:

أ. نقص فعلي في الكفاية بالنسبة للفرد.

ب. إحساس ذاتي بالألم والضجر.

ج. تغيرات فسلجية مختلفة منها اضطراب في النفس والنبض وضغط الدم وغيرها.

أسباب التعب وأنواعه:

لما كان الإنسان وحدة جسمية نفسية اجتماعية متكاملة متضامنة لا انفصام بين جوانبها المختلفة، فلذا فإن أسباب التعب تتنوع تبعاً لمصادرها فهناك تعب تغلب أسبابه منها جسمية وأخرى عقلية وأخرى نفسية أو أن تكون مشتركة بأكثر من سبب.

أما أنواع التعب فهناك التعب الفيزيولوجي والتعب النفسي، لكن الباحثون اهتموا بنوع من التعب يطلق عليه حديثاً بالإعياء وهو نوع من التعب له علاقات موضوعية وأخرى ذاتية، ضمن علاقاته الموضوعية الاضطراب في التآزر وفي سرعة العمل ودقته.

الفرق بين التعب والملل:

1. أن التعب هو تعب عقلي وجسمي بي‍نما يكون الملل عقلياً فقط.
2. يصحب التعب انخفاض في قدرة الفرد على العمل. أما الملل فيصحبه انخفاض ملموس في الرغبة في العمل.
3. يصحب التعب شعور بعدم القدرة على مواصلة العمل بي‍نما يصحب الملل شعور بالرغبة باستبدال العمل بآخر، أو لاستبدال المحيط الذي يعمل به العامل.
4. يسبب التعب انخفاضاً مستمراً في مقدرة الفرد الإنتاجية بي‍نما يسبب الملل عدم الاستقرار لهذه المقدرة على حالة معيّنة فهي في ارتفاع وانخفاض مستمرين.

ضغوط العمل وأساليب مواجهتها والتخفيف منها:

إن المنتسب للعمل الأمني هو إنسان قبل كل شيء يحمل هموم نفسه وأسرته ومجتمعه، لذلك فإن ما يقع على أي إنسان آخر في المجتمع يمكن أن يقع عليه. لكن طبيعة المهنة التي ينتمي إليها العامل في الجهاز الأمني، تفرض عليه كماً وكيفاً على حدّ سواء من الالتزامات والضوابط والمعايير التي تقتضيها أساليب العمل والأداء، ومنذ الأيام الأولى لانخراطه في هذا العمل الحساس والهام. وبطبيعة الحال، فإن هذه الالتزامات والضوابط تمثل ضغوطاً نفسية مضافة وجديدة لما يتعرض له أصلاً كونه إنسان عادي وطبيعي في المجتمع.

لذلك فإن العمل في جهاز المخابرات أو أي جهاز أمني يستدعي خضوع المتقدم للعديد من الاختبارات في الذكاء والشخصية والاستعدادات والإبداع والابتكار، والصحة النفسية، والتأكد من سلامته وأهليته بدنياً ونفسياً، ومن ثم حصوله على معدلات مناسبة ومقبولة في مجالات الاختيار والانتقاء المشار إليها. ومن هذا المنطلق، يمكن تطوير أي من قابليات المنتسب في الاتجاه المطلوب خلال فترة عمله وتوجيهه بشكل متوازن بين استعداداته وقبلياته الذهنية والفطرية وطبيعة العمل المطلوب منه أداءه بهدف الارتقاء في الأداء إلى أعلى المستويات وأكثرها دقة ورصانة.

وتعد الشخصية الإنسانية فريدة بكل المقاييس والإعتبارات. فلا

يوجد شخص يشبه شخصا اخر بشكل مطلق وذلك لاختلاف خارطة الجينات (الموروثات) الموجودة في كل خلية من خلايا جسده، فضلاً عن اختلاف أساليب الرعاية والتنمية التربوية ابتداءا من مرحلة الطفولة وحتى مرحلة الشباب المبكر. وعلى الرغم من هذا الاختلاف الواضح والتمييز البائن بين الأفراد، يمكن تحديدها على شكل أنماط للشخصية، تسهّل مهمة دراستها وتطويرها وتوجيهها بالاتجاهات المطلوبة.

ومن هذه الأنماط:

- **الشخصية العصابية** — **وهي قلقة ومشدودة ومتوترة بطبيعتها**
- **الشخصية العصامية** — **وتتميز بالحذر والدقة والالتزام والانعزال والإغراق والتفكير المجرد غير المنفتح.**
- **الشخصية الحصرية** — **وهي الشخصية التي تميل إلى الدقة الزائدة والتطرف أحياناً والالتزام الشديد والتفكير المحدد والممتد والانشغال بالأفكار والكتمان.**
- **الشخصية الرحامية (الهستيرية)** — **وتتميز بسطحيتها وعدم نضجها العقلي والعاطفي، على الرغم من ميلها إلى الانفتاح والانبساط والثرثرة. وعادة تكون هذه الشخصية محبوبة ومثيرة لكنها سريعة الانفعال وغير مأمونة العواقب.**
- **الشخصية الكئيبة** — **وتميل هذه الشخصية إلى الاكتئاب والحزن وقلة الإندفاع والاهتمام والانعزال عن الأفراد والجماعات.**

وإذ أن من الصعب جداً تحديد المعايير والسمات لكل نمط من أنماط الشخصية وتطبيقها بشكل كامل على الأفراد في المجتمع، فإن معظم الناس يجمعون بين نمط واحد وأكثر من الأنماط مع تغليب أحد هذه الأنماط على طبيعة الشخصية ككل.

وقد تتعرض هذه الأنماط التي سبق ذكرها، وغيرها أيضاً، إلى ضغوط الحياة والعمل بالمستويات المختلفة. وإذا كانت هذه الضغوط أعلى من القدرة الفردية (الذاتية) على التحمل، فإن الفرد يصاب بالاضطراب. وتتعدد الاضطرابات في الشخصية بتعدد الأنماط.

ومن الجدير بالذكر فإن هذه الاضطرابات، إذا ما تركت دون تداخل أو تشخيص أو محاولة للتخفيف عنها، فإنها تتحول إلى أمراض نفسية وعقلية، قد تبقى مجهولة وغير معروفة، لا للفرد نفسه ولا لمن هم في معيّته، إلا إذا توافر الوعي الصحي اللازم. ولا يخفي حجم الخسارة الهائلة التي يمكن أن تتعرض إليها الأسرة أو المنظمة والمؤسسة التي ينتمي إليها الفرد المريض أو المضطرب من جراء مرضه أو اضطرابه، إذ قد يمتد الخطر أحياناً إلى خارج حدود الفرد المصاب فيكون خطراً على بيئته ومحيطه ومجتمعه.

إن العمل في الجهاز الأمني لا يحتمل بطبيعته وضوابطه والتزاماته وواجباته هذا النوع من الاضطرابات والأمراض، لما فيها من تأثيرات سلبية على طبيعة العمل والعلاقات بين الأفراد والأداء المطلوب. وعلى الرغم من أن الإحصائيات العالمية تشير إلى نسب واضحة ومحددة لإصابة الأفراد في المجتمع، أيا كان انتمائهم بهذه الاضطرابات والأمراض، إلا أن توافر إمكانات الرعاية الأولية والتشخيص المبكر للحالات والتعامل معها، يحد من تفاقم الاضطرابات والتخفيف منها ومعالجتها وإعادتها إلى فرق العمل أو توجيهها إلى أماكن أخرى أخف حدة وأقل ضغوطا بهدف التخفيف عنها وحمايتها، ومن ثم حماية المنظمة التي ينتمون إليها.

إن متابعة المنتسب للجهاز منذ الأيام الأولى لانخراطه في العمل وبعد التعرف بشكل دقيق على قدراته وقابليته واستعداداته النفسية من خلال الاختبارات التي يكون قد خضع لها فعلا، تعدّ ضرورة أساسية في تطوير شخصيته وقابليته من خلال برامج التطوير الخاصة بكل قدرة أو عملية عقلية محددة. فضلاً عن ذلك فإن عدداً من الصفات والسمات والخصائص في شخصية المنتسب، يحتاج إلى زرع وتكثيف وتطوير وصقل وتطويع. ومن هذه الخصائص:

- الهدوء وعدم الانفعال السريع.
- التأني
- الصبر
- الدقة والملاحظة المتميزة.
- تفعيل الإدراكات الحسية والحس المشترك.
- التوازن والموازنة.
- العفة
- الشجاعة والكرم.
- التحمل البدني والنفسي.
- القدرة على حل المشكلات.
- القدرة على صياغة المبادرات.
- القدرة على اتخاذ القرار.
- الإلتزام بالضوابط والتعليمات.
- المودة والمحبة.
- الأثرة والإيثار.
- الكتمان وعدم الثرثرة.
- عدم الجشع والابتعاد عن الجسد.
- الإيمان بالله وبقيم الفضيلة.
- الأخلاق الفاضلة.
- آداب التعامل والعلاقات الإنسانية الكريمة.

إن هذه الخصائص والسمات وغيرها الكثير، وإن كانت مطلوبة من كل فرد في هذه الحياة ينشر الخير والفضيلة والعمل الصالح، إلا أنها بالنسبة لمنتسب الجهاز تعدّ من الضرورات والأسس والركائز في طبيعة بناء الشخصية المخابراتية.

من جانب آخر، فإن المنتسب الذي هو في الأساس، كما أشرنا

سابقا، عضو في الاسرة المجتمعية، فإنه يتعرض بالضرورة إلى نوعين من الضغوط.

الأولى: ضغوط نفسية وحياتية عامة

الثانية: ضغوط نفسية وحياتية خاصة

أما بالنسبة للأولى، فحاله حال الآخرين من أبناء مجتمعه، يحتاج إلى التكييف والتوقف عن الضغوط والتقليل من آثارها السلبية وبالنسبة للثانية فهي مجموعة الضغوط الناتجة عن طبيعة العمل في المؤسسة التي ينتمي إليها والمحكومة بالعديد من الضغوط والقوانين والأنظمة والتعليمات. وهنا يأتي دور التكييف بأعلى درجاته، إذ يمثل الوعي بأهمية الدور الفردي والدور الجماعي والدور المؤسساتي في مقدمة الأساليب التكيفية، كما أن الشعور العالي بالمسؤولية الفردية والجماعية، يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في تأمين التكييف المطلوب. فضلاً عن ذلك فإن حب العمل، والارتباط بالمهنة، وخلق حالة من الود والتعاطف مع طبيعة الأعمال المناطة بالمنتسب، يشكّل قوة سحرية وغير ظاهرة في إعادة بناء الشخصية والتكييف مع الضغوط النفسية المفروضة عليه وبالتالي حل عقد الصراع والعودة إلى حالة الهدوء والاسترخاء المطلوبتين.

ومن جملة الضغوط النفسية عموماً التي يمكن أن يتعرض لها المنتسب ما يأتي:

- **الشد النفسي العالي أثناء العمل.**
- **القلق النفسي الشديد من جراء العمل.**
- **التوتر والانفعالات السريعة إزاء المواقف.**
- **الواجبات المكثفة.**
- **عدم انتظام النوم أو الغذاء.**
- **التعليمات الصارمة.**
- **الخوف من ارتكاب الأخطاء.**
- **الكوارث والزلازل والهزات.**
- **ضعف الحميمية والمودة في التعامل.**
- **القسوة في التعامل.**

إن الضغوط النفسية المشار إليها، موجودة بالضرورة بشكل نسبي وفي حدود الزمان والمكان، في دائرة حياة المنتسب داخل وخارج منظمته التي يعمل فيها. وهي ليست ثوابت قائمة في حياته وإنما متغيرات تبعاً للظروف والأشخاص الذين يتعامل معهم وللأحداث الحياتية عموما. ولا بد لنا أن لا ننسى أبداً، أننا بشر، والبشر معرّضون بطبيعتهم الغريزية والفطرية إلى الخطأ والشطط والانحراف بنفس القدر الذي نطالبهم بالفضيلة والخلق الرفيع. لكن العمل في المؤسسة الأمنية والمخابراتية يستدعي السعي الحثيث نحو الكمال واجتثاث السلبيات والاستفادة من الأخطاء وتعديل المسيرة بشكل دائم ومستمر ودون كلل أو ملل مع القدرة على مصارحة الذات وتقبّل

النقد من الاخرين بهدف التعديل والتغيير نحو الأفضل.

وهناك العديد من الأساليب التي يمكن ابتكارها والتدريب عليها وتطويرها ومن ثم تقييمها والتحقق من اكتسابها في مواجهة الضغوط، والتخفيف من آثارها السلبية والمؤذية، والمحافظة على تماسك الشخصية وقوتها وديمومتها وصلابتها ومن هذه الأساليب:

- تعزيز الثقة بالنفس.
- تقوية الإرادة.
- المحافظة على التوازن الانفعالي.
- التفكير العلمي السليم والمتوازن.
- الالتزام بالهدوء والتأني في مواجهة المواقف.
- ضبط النفس وتخفيف الاحتراق الداخلي.
- إشباع الحاجات الأساسية والإنسانية بشكل متوازن.
- التدريب العالي على المهمات الصعبة.
- عدم التهور في أداء الواجبات والمحافظة على التوازن في اقسى حالات المواجهة.
- التحصين الفكري والمبدئي.
- تعزيز الإيمان وتنقية النفس وصفائها.
- تقنيات الاسترخاء العضلي والفكري والتأمل.

لقد حاولنا فيما سبق ذكره أن نسلط الضوء على مجمل الإجراءات المتخذة أو الواجب اتخاذها مع المنتسب الجديد منذ الأيام الأولى لعمله في الجهاز الأمني بعد الاختيار والإنتقاء وصولاً إلى تدريبه وتطويره وتنمية قدراته العقلية والفكرية بما يناسب حجم وضخامة الأعمال التي يكلّف بها.

بالتأكيد فإن المسؤولية العلمية والأخلاقية في إتمام هذه الأدوار وصياغتها ورعايتها وإدامتها تقع على عاتق المستشارين النفسانيين الذي يجب أن يعملوا بكل كفاءة وتجرّد وإخلاص وأمانة وصدق، وفي إطار من المشورة والتعاون والتنسيق مع أصحاب القرار في المنظمة المعنية بهدف خلق الصورة القريبة من الكمال لمنتسب الجهاز الأمني وإشعاره بالأمان والاستقرار.

ولكن يبقى أمامنا نمط آخر من الأفراد الذين يتوجب علينا أيضاً رعايتهم والاهتمام بهم وإعادة تأهيلهم. فإذا كنا قد تحدثنا عن أساليب إعادة التأهيل والبناء والرعاية لمن هو يأتي من الحياة العادية لينتسب إلى الجهاز الأمني، فلا بد لنا أن ننظر إلى أولئك الذين قضوا سنين طويلة من العمل في الجهاز وبكل جد وإخلاص وتفان، وشاءت ظروف العمل أو الظروف الخاصة أن يتركوا العمل في الجهاز ويتحولوا إلى الحياة المدنية العامة. إن هذه الشريحة تعدّ هامة ومؤثرة في المجتمع، عندما تترك العمل في الجهاز وتتحول إلى الحياة المدنية العادية. وذلك لأن الفرد المستقيل أو المتقاعد أو المصاب بعلة مرضية بدنية أو نفسية أو من يتخذ قراراً بإخراجه لأي سبب كان، إن هذا الفرد يبقى وإلى حين محملاً بذهنية وعقلية خاصة، تتناسب وتتوافق مع طبيعة عمل الجهاز الأمني، ولكنها لا تتناسب ولا تتوافق مع الحياة العادية

سواء في مفاصل العمل بالدولة وقطاعاتها المدنية المختلفة او القطاع الخاص، إذ يعيش هذا الإنسان في عمله الجديد خارج الجهاز، لكنه يبقى يتصرف بعقلية رجل المخابرات أو الأمن. وهذا يخلق تناقضاً كبيراً وصراعات أكبر على مستوى الشخصية، قد تؤدي في المحصلة إذا ما تم الانتباه، لها ومحاولة تأهيلها أو تكيفها، إلى الإصابة بالعديد من الاضطرابات النفسية الحادة والمزمنة.

إن إعادة التأهيل في هذا المضمار ولهذه الشريحة، يعدّ واجباً وضرورة ليس فقط لصالح هؤلاء الأفراد الذين قضوا مدة طويلة للعمل في الجهاز الأمني، بل لصالح الجهاز الأمني نفسه وحماية له ولقدسيته وهيبته. ويمكن الاستعانة بالمستشارين النفسانيين لوضع برامج خاصة لإعادة التأهيل والعودة للحياة المدنية العادية، قد يمتد إلى ثلاثة أو ستة أشهر، يتلقى فيها الأفراد المعنيون محاضرات نظرية وعملية وورش عمل تطبيقية، تسعى لتقوية وتعزيز قدراتهم في إعادة التكييف والتعرف على طبيعة الأعمال التي ينوون القيام بها في الحياة الجديدة ومحاولة إيجاد الأساليب التدريبية المناسبة لمواكبة هذه الأعمال.

كما أن محاولة الإبقاء على نوع من الصلة مع هؤلاء الأفراد، ومحاولة تطمينهم إلى أنهم ما زالوا أعضاء نافعين في المجتمع، وأنه بالإمكان الاستفادة منهم في بعض الواجبات الخاصة التي يكلفون بها والتي لا تؤثر على حياتهم الجديدة ولا تتقاطع معها، والتي في نفس الوقت لا تقع ضمن الواجبات الحساسة في إطار عمل الجهاز الأمني، كل هذا يساعد دون شك على إعادة التأهيل وضمان الولاء والإنتماء لهؤلاء الأفراد بالنسبة إلى جهازهم الذي قدموا له وللوطن الكثير.

المصادر:

- جلال، سعد، المرجع في علم النفس، القاهرة، دار المعارف، 1971.
- شانديسي، شارل، علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة محمد ياسر الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.
- مرسي، سيد عبد الحميد، الارشاد النفسي والتوجيه التربوي والمهني، القاهرة، 1975.
- ابو النيل، محمود السيد، علم النفس الاجتماعي، دراسات مصرية وعالمية، ط1، 1987.
- الهابط، محمد السيد، التكيف والصحة النفسية، مكتبة الجامعي الحديثة، ط1، 1987.

الفصل التاسع
الثقافة الأمنية
في المجتمع وطبيعتها

المقدمة:

يواجه عالمنا العربي والإسلامي كغيره من دول العالم، تحديات كبيرة وخطيرة تتمثل في كيفية التعايش والتوافق والاندماج مع ريح الغزو الثقافي والفكري والاقتصادي في ظل ظاهرة العولمة بكل معطياتها. ولا يخفى أن العولمة أصبحت تشكل عبوراً اقتصادياً للحدود الجغرافية للبلدان بما تمثله من ظهور ما يشبه السوق العالمي، حيث اندماج اقتصاديات دول العالم وفي غياب السلطات الرقابية للحكومات أحياناً، وهي في الوقت نفسه تمثل اختراقاً ثقافياً واجتماعياً وفكرياً لحدودنا الوطنية، يتجسد بالغزو الثقافي للقيم والعادات والتقاليد وذلك من خلال ثورة المعلومات والاتصالات وشبكة الإنترنت.

ومع هذه الثورة التي أصبحت أمراً واقعاً والتي لا يمكن إنكار آثارها الإيجابية في توفير الوقت والجهد وتحطيم القيود والحواجز بين الشعوب والدول، تطورت أيضاً أساليب الأجرام على اختلاف أشكالها وصورها وبما يهدد الأمن الداخلي لكل المجتمعات وخاصة في الدول المستهلكة لثمار العولمة. وتتعدد صور الجريمة المستحدثة بتعدد التقنيات الحديثة وتطور البرمجيات ووسائل الاتصال، مثل: غسيل الأموال القذرة، الغش التجاري عبر الإنترنت، جرائم الحاسوب وبطاقات الائتمان، سرقة المصارف والبنوك عبر الإنترنت، وجرائم انتحال الشخصية والتزوير بالإنترنت وغيرها. نستنتج من خلال ما تقدم أن الأمن ركيزة مهمة للتنمية، والتنمية دعامة حيوية للأمن، وان كلا منهما يعتمد على ثقافة عامة قوية وأصيلة، فضلاً عن ثقافة أمنية واعية ورصينة تستوعب الواقع وتطوره وتستشرف المستقبل برؤية سليمة ومتنامية.

ويتضمن هذا الفصل استعراضاً لطبيعة العلاقة بين الثقافة والتنمية، مذكرين بتناولنا لموضوع التنمية وعلاقتها بالأمن الوطني في فصل سابق. كما يتناول الفصل أيضاً مكونات الثقافة الأمنية وتطبيقاتها لعموم أفراد المجتمع، فضلاً عن أهميتها لكل فرد من أفراد المجتمع في حماية نفسه ووطنه ومكوناته الثقافية وعاداته وتقاليده. كذلك فإن هذا الفصل يتطرق إلى الأهمية والدور الكبير للثقافة الأمنية المتخصصة التي يجب أن يتحلى بها رجال الأمن

والعاملون في المجال الأمني، في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية في عالمنا العربي التي تتطلع إلى غد مشرق أفضل.

1 - العلاقة بين الثقافة والتنمية:

بهدف التعرف على طبيعة العلاقة بين الثقافة والتنمية والتأثير المتبادل بين كل منهما على الآخر، نحاول أن نفهم بوضوح معنى مفهوم الثقافة والتنمية كُل على انفراد.

أ. مفهوم الثقافة Culture:

يثير تحديد مفهوم الثقافة جدلاً واسعاً بين المتخصصين في "الانثروبولوجيا وعلم النفس" وغيرهم. وقد أسفر هذا الجدل الواسع عن وجود تعريفات تصلُ إلى مائة وخمسين تعريفاً في رأي البعض، ولأغراض موضوعنا هنا نختار تعريفين فقط للثقافة لتساوقهما مع طبيعة عرضنا للموضوع.

حيث يعرفها تايلور (كميل حبيب، 1984، ص68): (الثقافة هي ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والتقاليد والقوانين وجميع المقومات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كونه عضواً في المجتمع).

كما يربط مالينسكي بين مفهوم الثقافة ووظيفتها ويعرف الثقافة بأنها: (التراث الاجتماعي الذي يشتمل على العناصر المادية الموروثة والسلع والعمليات التقنية والأفكار والعادات الفردية والقيم. ومن حيث الوظائف، فإنه يرى أن كل ثقافة يجب أن تشبع الاحتياجات البايولوجية للإنسان مثل الغذاء والتناسل والحماية والأمن. كما أن الإنجاز الثقافي ما هو إلا تدعيم آلي وتلقائي للفسيولوجيا البشرية، لأنه مرتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بإشباع الحاجات البايولوجية). (Malinowski, 1944, p 36-37).

يتضح من التعريفات السابقة للثقافة، أنها مجموعة من المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة في المجتمع، وأنها موجهة لسلوك الأفراد في المجتمع، كما أن للثقافة بعداً معنوياً يتمثل في القيم والأفكار والعادات، وبعداً مادياً يتمثل في تجميع الأشياء المادية اللازمة لتيسيير الحياة في المجتمع. ويؤثر كل من البعدين في الآخر ويتأثر به، ذلك أن وجود وصنع واستخدام الأشياء المادية يفترض وجود طرق وعادات وأفكار ومفاهيم ومعايير لكيفية إنتاجها أو توظيفها.

لذا فإن الثقافة في معناها العام، تعني الكل المتكامل من النظم الاجتماعية المختلفة والرموز والقيم والأفكار والمعتقدات باعتبارها مشتقات من السلوك الإنساني وموجهة له في الوقت ذاته. (عبد الله الصعيدي، 2005، ص 5).

ويؤشر عبد الله الصعيدي حقيقتين مهمتين في دراسة حول

الموضوع، هما:
الأولى: ما دامت القيم والأفكار والعادات تشكل مكوناً أساسياً في جميع التعريفات سالفة الذكر، فإن التعليم والتربية يمثلان المصدرين الرئيسين للثقافة في المجتمع. "" إن للثقافة رسالة تربوية أساسية، كما أن للتربية رسالتها الثقافية، والرسالتان وجهان لحقيقة واحدة غايتها كمال الإنسان. ولن تتحقق هذه الغاية إلا بالتفاعل الخلاق بين هذا الثالوث المتكامل (التعليم، والثقافة، والتربية). إن التكامل بين هذه المعطيات الثلاثة فيه: تهذيب للغريزة، صقل للعقل، تدريب ومهارة لليد والفكر، تربية للضمير، وتأديب النفس. وهذه الأهداف تمثل في الواقع عناصر التنمية البشرية، التي تعدّ حجر الأساس في تحقيق التنمية والنمو الاقتصادي.
الثانية: يوجد داخل المجتمع مجموعة من الثقافات الفرعية (Sub-Cultures) تميّز قطاعات رئيسة فيه، وهي جزء من الثقافة الكلية، ولكنها تختلف عنها في بعض المظاهر والمستويات، إذ يمكن تحديد ثقافات فرعية في كل مجتمع وفقاً لتصنيفات عديدة كالعمر أو المستوى التعليمي والمهنة والانتماء الطبقي أو الديني أو غيرها. والثقافة الأمنية هي جزء من الثقافة الكلية، تعدّ مثالا لإحدى الثقافات الفرعية. (عبد الله الصعيدي، 1996، ص 53).

ب. مفهوم التنمية Development:

يجمع المتخصصون على ان مفهوم التنمية يختلف عن مفهوم النمو الاقتصادي في أمور كثيرة، وان كان المفهومان متشابهين في أن كلا منهما يعني التغيّر الإيجابي نحو الأفضل من أجل الإنسان، فالإنسان هو محرر قضية التنمية وعنصرها الفعّال، وهو في الوقت نفسه هدفها، فمنه تبدأ وتنمو كل اتجاهاتها وإليه تعود ثمارها.
ويتميز مفهوم التنمية عن مفهوم النمو الاقتصادي من حيث الاتساع والشمول، ومن حيث مدى توافر الإرادة في أحداث الفعل، ومن حيث تحديد السبب والنتيجة، فالتنمية تعني إحداث التغيّر الإيجابي كمياً وكيفياً، بينما يقتصر النمو الاقتصادي على مفهوم التغيّر الإيجابي الكمي فقط في بعض المتغيّرات المادية القابلة للقياس. كما أن أفعال التنمية تستلزم إرادة واعية فاعلة بينما يمكن للنمو الاقتصادي أن يتحقق على نحو تلقائي وعشوائي. وكذلك فإن النمو الاقتصادي هو نتيجة للتنمية وليس العكس. (عبد الله الصعيدي، 1998، ص 277)
وكما هو الحال مع الثقافة، فإن للتنمية العديد من التعريفات، نختار منها ما ينسجم مع طبيعة موضوعنا، إذ يقول بيرو في كتاب اقتصاد القرن العشرين: إن التنمية هي التنسيق بين المتغيّرات الفكرية والاجتماعية للسكان لتجعلهم قادرين على زيادة الناتج

الحقيقي بطريقة مستمرة ودائمة. وايا كان النظام الاقتصادي المطبق - اقتصاد السوق أو التخطيط أو خليط منهما - فإن النمو المتصل والدائم للناتج الحقيقي في هذه الاقتصاديات تعوقه عديد من السمات الفكرية والاجتماعية للسكان.. وإذن يوجد اقتصاد للتنمية يختلف عن اقتصاد النمو، فالناتج الكلي بوصفه مقداراً مطلقاً أو بوصفه نصيبا للفرد منه، كان ينمو في الماضي ويمكن أيضاً أن ينمو الآن، ولكن ذلك قد لا يكون مصحوباً بكون السكان أو الاقتصاد قد حقق شروط التنمية (F.Berroux 1961.p 155).

وتعرفها الأمم المتحدة في أدبياتها على أنها: "العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية، وبمساعدتها على الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع" (محمد شفيق، 1994، ص 13). ويتضح مما تقدم أن التغيرات الإيجابية في ثقافة الأفراد في المجتمع من حيث عاداتهم وتقاليدهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم، تمثل الشروط الأساسية في العملية التنموية، وبما يميزها عن النمو الاقتصادي.

2 - الثقافة الأمنية ومكوناتها:

يشتمل (الأمن) بمفهومه الأكثر عمومية على عدد من المفاهيم الفرعية، مثل: الأمن الاقتصادي، الأمن الثقافي، الأمن النفسي، الأمن العسكري، الأمن الاجتماعي، الأمن السياسي، الأمن الجنائي، الأمن الغذائي، الأمن البيئي، الأمن الصحي... إلخ) كما يمكن القول أن الثقافة الأمنية بمفهومها الأكثر اتساعا تعدّ المحدد المعنوي الرئيسي لمدى تقدم المجتمع وتطوره ورفاهيته. ونقتصر هنا على إيضاح مفهوم ومكونات الثقافة الأمنية بالمعنى الذي يعبر عن غايتنا في هذا الفصل من الكتاب كعنصر للتحصين الاجتماعي في مواجهة الجريمة كسلوك ينحرف بصاحبه عن مقتضيات القانون السائد والمعايير الاجتماعية المطبقة في المجتمع.

وتنبع أهمية التحصين الاجتماعي من خلال الثقافة الأمنية كون التطور الحضاري ذاته يخلق ظروفاً وأوضاعاً اقتصادية - واجتماعية وثقافية جديدة، يرافقها دائماً تطور مواز في الجريمة من حيث طبيعتها وأشكالها وأنواعها وأساليب ممارستها. ومن ثم فإن هناك علاقة طردية بين التغيير الاجتماعي والثقافي من ناحية، وتطور الجريمة وأشكالها وأنواعها والأساليب المستخدمة في ممارستها من ناحية أخرى. وفي بعض المجتمعات المتقدمة أصبحت الجريمة ظاهرة اجتماعية معقدة، ينتظم المجرمون فيها داخل مؤسسات وتنظيمات تخصصية لها كيانها المميز.

كما تنبع اهمية هذا التحصين الاجتماعي من كون الجريمة وكل أشكال السلوك الانحرافي تعرقل الخطط التنموية في هذا المجتمع أو ذاك، وكل الجهود الرامية إلى تنفيذ المشاريع الحيوية التي تعود بالخير والنفع على أعضاء المجتمع.

- مفهوم الثقافة الأمنية:

يمكن القول أن الثقافة الأمنية تعني: "جمع اجتماعي من القيم والأعراف والاتجاهات والسلوكيات المشتركة وذات الإجماع الاجتماعي، تضبط أنماط السلوك الاجتماعي وتكوّن معاني المدركات والمعارف والواقع، وتقدّم قوة مؤثرة في ضبط الأفراد، وتعزّز امتثالهم ومجاراتهم لاعراف المجتمع وقوانينه، وتعاونه ومنع من يخرج على الإجماع الاجتماعي، وذلك بقصد تحقيق الاتزان الأمني في المجتمع". (ذياب البداينه، 1998، ص 9)

وإذا كان الأمن الاجتماعي يشكل الآلية الحيوية للمحافظة على كيان المجتمع وبقائه، فإن الثقافة الأمنية - بالمعنى سالف الذكر - تمثل الوسيلة الرئيسة للتحصين الاجتماعي، ووقاية المجتمع من خطر الانحراف السلوكي ومن ثم، تحقيق الأمان الذي يمكن للمجتمع في ظله أن يحقق أهدافه.

وتبرز أهمية دراسة الثقافة الأمنية في تقديمها تحليلا نظرياً وتطبيقيا عملياً للثقافات والمعارف المتنوعة داخل المنظمات الرسمية وغير الرسمية في المجتمع.

وتؤدي الثقافة الأمنية وظيفتين رئيستين هما: التنشئة الاجتماعية الأمنية للفرد من خلال تعريفه بالسلوكيات المقبولة اجتماعياً، والسلوكيات غير المقبولة، وتعريفه بالأعراف الاجتماعية، وبنوعية العلاقات السائدة في المجتمع. كما تؤدي الثقافة الأمنية وظيفتها المتمثلة في الضبط والتحكم والتوجيه نحو الأفضل. (عبد الله الصعيدي، 2005، ص 11).

ويمكن تعميق مفهوم الثقافة الأمنية من خلال عرض مكوناتها الأساسية فيما يلي:

- مكونات الثقافة الأمنية:

تتمثل الثقافة الأمنية في مجموعة المعارف والقيم والأفكار والاتجاهات التي تستقر في وجدان وضمير المجتمع ونفوس أفراده، وتشكل في مجملها اقتناعاً كاملاً بأهمية الأمن والاستقرار والبعد عن الانحراف والجريمة والالتزام سلوكياً بالتشريعات السائدة والأعراف الاجتماعية.

وتشتمل العوامل المكونة للثقافة الأمنية على كل ما يؤثر في الضمير الإنساني، وفي فكر الإنسان ووعيه، تأثيراً يكون من شأنه دعم ثقة الأفراد حيث تكون مظلة الأمن، مصلحة لكل أفراد المجتمع.

ويمكن تحديد أهم مكونات الثقافة الأمنية بما يأتي:

اولاَ. التعليم والإعلام الأمني:

1. التعليم هو المصدر الرئيس للثقافة الاجتماعية العامة بكافة فروعها. ويمكن عده كذلك فيما يتعلق بالثقافة الأمنية كفرع مهم من فروع الثقافة العامة. ومن خلال التعليم يمكن توجيه الأفراد وارشادهم إلى أهمية تجنب مظاهر الانحراف السلوكي. ويمكن من خلال التعليم غرس قيم تسمو بالنفس البشرية، مثل قيم: الحرية والوطنية والديمقراطية والعدالة والأمن والفضيلة والجمال والتعاون.

والواقع أن التعليم، ومن خلال برامجه الهادفة إلى التحصين الاجتماعي ضد الجريمة (التثقيف الأمني) يخاطب فئة محدودة من فئات المجتمع (هي فئة المتلقين في مراحله المختلفة)، وهنا يأتي دور الإعلام الأمني لتكميل المشاركة في تدعيم الثقافة الأمنية لكافة فئات المجتمع.

2. وينطلق الإعلام الأمني من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية، المقروءة والمسموعة والمرئية وكذلك من خلال أجهزة الإعلام في المؤسسات الأمنية على أسس عديدة من أهمها: الوقاية خير من العلاج، اتصال الجماهير بالعمل الأمني وفهم أهدافه وغاياته، وإسباغ الصفة الاجتماعية والإنسانية على العمل الأمني، وبما يعزز الثقة المتبادلة والاحترام بين رجل الأمن ومؤسسته عموماً في المجتمع.

ثانياً. التثقيف الأمني من خلال وسائل الاتصال المتنوعة:

وتشير الدراسات الحديثة إلى الدور الكبير الذي تلعبه وسائل الاتصال الحديثة وفي مقدمتها الشبكة الدولية للإنترنت بالمساهمة في التثقيف الأمني ومن خلال الأبعاد الآتية:

البعد المعلوماتي: ويعني القدرة على تعزيز المعلومات المعرفية لدى المواطنين لجوانب العملية التنموية بشكل عام داخل المجتمع.

البعد العاطفي: ويعني تحفيز أفكار ومشاعر المواطنين وتطوير اتجاهاتهم الفكرية والعاطفية نحو الجوانب المتصلة بالأمن والتنمية.

البعد السلوكي: ويعني إثارة الاستعدادات وبلورة الاتجاهات الإيجابية وتطويرها إلى سلوكيات وممارسات عملية ومنظمة تصب في المحصلة في تدعيم الثقافة الأمنية لصالح العملية التنموية.

ثالثاً. منظومة القيم في المجتمع العربي:

لقد أصبح واضحاً أنه لا تنمية لمجتمع دون تدعيم للأمن بصفة خاصة ولمنظومات القيم التي يعيش بظلها الأفراد في المجتمع بصورة عامة. لذلك فإن التقدم التكنولوجي من ناحية، والتطور في أساليب الأجرام من ناحية أخرى، ومهما بلغا من قوة تأثيرهما لا يمكن التعامل معهما، دون بث الروح من جديد وبما يتوافق مع المتغيّرات المجتمعية المتوقعة كذلك فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر مدى تأثير منظومة القيم الدينية الإسلامية على مجمل حياة مجتمعاتنا. ومن ثم فإن التفسير غير الصحيح لهذه القيم يحد من إطلاق تطبيقها في نظام حياتنا المعاصرة، فلا بد إذن من فهمها وتطبيقها وتوظيفها في مجالات التثقيف الأمني وفي العملية التنموية، على حدّ سواء إن مجتمعاتنا تعاني من اضطراب في العديد من السمات التي تتصل بالقيم الفردية

والجماعية التي تؤثر سلبا في تحقيق الأمن والتنمية. ومن هذه السمات: القدرية والاتكالية، العاطفية المفرطة، عدم احترام حقوق الإنسان، عدم احترام حقوق المرأة، قلة الحرص على الممتلكات العامة، ظاهرة الازدواجية في السلوك، الاقتناع بزيف التناقض بين العلم والدين، عدم فهم معنى المواطنة الصحيحة، عدم الالتزام بالقانون، ومجاراة العادات والتقاليد على حساب القانون.

إن مواجهة هذه السمات السلبية للقيم المجتمعية تستلزم تثقيفاً أمنياً وتنموياً واعياً من خلال ما يمكن لوسائل الإعلام أن توفّره من قنوات فعالة لحوار هادئ يجمع شمل رجال الأمن وعلماء الدين والمتخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية.

رابعاً. الغزو الثقافي والفكري:

مع الثورة العلمية التكنولوجية والقفزة الكبرى في تكنولوجيا الاتصال - وخاصة في مجال الأقمار الصناعية واستخداماتها الواسعة، برزت أشكاليات جديدة وتحديات غير مسبوقة تتعلق بالوعي الأمني والقيم الإنسانية وأنماط السلوك والطبيعة البشرية.

وأصبح العالم العربي يتعرض لغزو ثقافي مصوّب بدقة ولهجمة يومية مباشرة وشرسة تستهدف سلخه عن ذاته. فمن خلال البث التلفزيوني المباشر - عبر الأقمار الصناعية - أصبح الأفراد والمجتمعات يغزون في عقر دارهم ومن غير عقبات أو استئذان ومن الأهداف التي يسعى هذا الغزو الثقافي لتحقيقها: تأجيج الصراع الدموي بين العرب وإثارة النعرات فيما بينهم، تشجيع العنف كوسيلة لحل المشكلات، وتقديم نماذج اقتصادية واجتماعية معيّنة تؤثر على الأذواق والقيم وأساليب الحياة للمشكلات وأنماطها، وتشجيع نمط موحد عالمياً للسلوك الاستهلاكي، والدعاية للسلع الاستهلاكية وللمجتمع الاستهلاكي، والتأثير على التحرك الاجتماعي ومشاريع التنمية الفردية ومواكبة مع ما يجري في العالم، إذ صار العالم العربي من اكبر المستوردين لعمليات نقل التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة وتقنيات تبادل المعلومات عبر الوسائل المختلفة، مع غياب واضح للبنية التحتية في هذه المجالات وخاصة في مجال البرامجيات والشبكات التي تبث أفكارها عبر المنظومة الدولية (الإنترنت)، إذ إن هذا الانفتاح المعلوماتي، هو أحد مبشّرات العولمة التي لا مجال للوقوف بوجهها أو تحديها بشكل كامل لما تحمله من إيجابيات واضحة، إلا أن غياب الحصانة الفكرية والثقافية عموماً في المجتمع وانخفاض نسبة التعليم وازدياد أعداد الأميين في هذه المجالات، مع تنوّع مصادر التوجيه الثقافي والفكري عبر وسائل الاتصال الحديثة (وبضمنها الموجه لأغراض التحوير الفكري)، أدى إلى خلق جيل من الأفراد يتحدثون باللغة نفسها والمفردات التي تبث عبر وسائل الاتصال،

وبكل ما تحمله من سلبيات تؤدي بشكل غير مباشر إلى اختراق منظومة القيم الأخلاقية والإنسانية التي يحملها الإنسان العربي كموروثات عقلية ومنذ زمن بعيد. وتتعدى هذه الإختراقات المجالات العلمية والتكنولوجية إلى المجالات الفكرية والثقافية والسياسية والدينية والاقتصادية وبما يشبه عمليات غسيل الدماغ والتحوير الفكري، التي تصيب أول ما تصيب الثقافة الأمنية للمواطن. وليس المقصود هنا بالمواجهة لأفكار الغزو الثقافي بالتحدي أو التمرد أو المواجهة السلبية، بل على العكس، المواجهة الإيجابية التي تتمثل بالأفكار والطروحات المتوازنة التي تتم عن تفعيل وتوظيف منظومات القيم الأخلاقية والإنسانية، العربية الإسلامية، وحتى غيرها من القيم الرفيعة المتوافرة في مجتمعاتنا العربية المتعايشة بمحبة وسلام ودون اللجوء إلى التطرف أو الغلو أو التعصب في هذه الطروحات.

خامساً. دور الأسرة والتربية الدينية في التثقيف الأمني:

تعد الأسرة، المصدر الأول الذي يتولى تثقيف الطفل، كما تشكل الإطار الأول الذي يتعرض فيه لمختلف التأثيرات الثقافية السائدة في مجتمعه. فمن خلال الأسرة يكتسب الطفل اللغة وطريقة التفكير وأسلوب التعبير والتصرف. وعن طريق البناء الاجتماعي الذي تتبناه الأسرة، يتحول الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن إنساني اجتماعي من خلال التوجيه والإرشاد وتعديل السلوك والتدريب والتعليم والتعريف بما هو مرغوب وما هو غير مرغوب، ما هو الصواب وما هو الخطأ، ما هو حق وما هو واجب ما هو قانوني وعادل وما هو غير قانوني فضلاً عن معنى قيمة الأمن والاستقرار وما هو دور المؤسسات الأمنية في تنمية حركة الحياة في المجتمع ويأتي دور التربية الدينية كونها عنصراً أساساً من عناصر تنشئة الأطفال والشباب، تنشئة تستند على الدين بوصفه دستوراً أخلاقياً لا غنى عنه، ينمي الضمير وينقي القيم ويحكم السلوك، ويعزز الإيمان، وبطروحات تجعل من الخطاب الديني المتفتح موجهاً للنشئ الجديد وهو يحمل قيم الفضيلة والمحبة والسلام والحوار مع الآخر، وبعيداً عن التطرف والتعصب والغلو في إطار فلسفة تربوية معاصرة وخلاقة تبني الإنسان وقيمه الكريمة من أجل عالم أفضل، وتغرس في أعماقه خاصية الإيمان التي يشترك فيها الناس فطرياً وعلى اختلاف أديانهم وطوائفهم وقومياتهم وأعراقهم.

3 - دور الثقافة الأمنية المتخصصة:

سبق وأن أوضحنا أن التعليم هو المصدر الرئيس للثقافة في

معناها العام، كما انه اهم مكونات راس المال البشري كعنصر رئيس في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وإذا كانت التنمية تعني (مجموعة العمليات المخططة والموجهة لإحداث تغيير في المجتمع من أجل تحسين ظروفه وظروف أفراده من خلال مواجهة مشكلات المجتمع وإزالة العقبات وتحقيق الاستغلال الأمثل للإمكانات، مما يحقق التقدم والنمو للمجتمع والرفاهية والسعادة لأفراده، فإن الأهمية البالغة التي يحظى بها التعليم، لما له من أثر فعّال في حياة الأفراد والجماعات أصبحت من الحقائق المسلم بها في وقتنا الحاضر. فالتعليم يعمل على توفير الطاقات البشرية المؤهلة والقادرة على تنمية المجتمع، بل أنه أهم الاستثمارات الموجهة لتكوين رأس المال البشري. وهكذا يمكن القول بأن التركيز على تطوير كفاءة وقدرة القوى البشرية في عملية التنمية، يقود حتماً إلى اعتبار الثقافة أساسها الجوهري، بل يتعدى ذلك إلى اعتبار الثقافة كما يراها البعض التنمية ذاتها وليست بعداً فقط من أبعادها (26). (محي الدين صابر، 1982، ص6).

والتعليم الأمني وإن تماثل مع التعليم في مفهومه العام، من حيث كونه أحد مكونات الثقافة الأمنية المتخصصة، يعدّ عنصراً رئيساً من عناصر النهوض بالموارد البشرية في قطاع الشرطة والأمن الداخلي (رأس المال البشري في جهاز الأمن)، فإنه يتميز عليه - أي على التعليم العام - بقدر مساهمته في الحفاظ على استمرار ممارسة عمليات التنمية في محيط من الأمن والاستقرار.

وبهدف إيضاح دور التعليم الأمني كأساس للثقافة الأمنية المتخصصة في دعم التنمية الاقتصادية، نورد فيما يأتي عدداً من المحاور الأساسية:

أ - التعليم الشرطي أساس للتثقيف الأمني:

تتسم مجالات العمل الشرطي بالتشعب والانتشار، بحيث تتداخل في مختلف مجالات العمل البشري، التي تختص بتنظيمها وتهيئة كل ما يرجى لها من أسباب النجاح والتقدم. ولهذا تتنوع العلوم والمعارف التي يتعين على رجال الشرطة الإلمام بها لتغطية المجالات التي يمتد إليها نشاطهم. وبغير هذا التنوع - الذي يشكل الثقافة الأمنية - تبدو هذه المجالات في أنظارهم غامضة المعالم، مبهمة القسمات، وقاصرة المعالم ضمن أساليب عملهم الفني والتخصصي وإمكاناتهم المتاحة عن تحقيق الأهداف المنوطة بهم بالكفاءة المرجوة والجودة المرغوبة والمستوى المنشود.

ولهذا فإن نطاق العلوم الأمنية لم يعدّ مقصوراً على مجرد التعريف بالتشريعات والأنظمة والتعليمات التي تلتزم بها قوى الأمن الداخلي فيما تباشر من واجبات ومهام في نطاق اختصاصها الوظيفي، بل

يمتد هذا النطاق إلى مختلف العلوم الآخرى التي يمكن الاستفادة من خبراتها وأدواتها.

وتتحقق المسؤولية الأمنية في داخل المجتمع من خلال عدد من الوظائف، هي:

أولاً. الوظيفة الإدارية: وتتمثل في السهر على تنفيذ القوانين والأنظمة وقمع المخالفات.

ثانياً. الوظيفة الوقائية: وهي حماية السلامة العامة وأمن المواطن من الاعتداءات والسرقة وغيرها من الأفعال الضارة بالغير.

ثالثاً. الوظيفة القضائية: وتتمثل في تنفيذ المهام المكلفة بها من قبل السلطات القضائية لا سيما سلطة الملاحقة والتحقيق.

رابعاً. الوظيفة الاجتماعية: وهي مد يد المساعدة للمحتاج ليلاً ونهاراً والتوجيه المدني والإرشاد للسلوك القويم، والتدريب على أعمال الإسعافات الأولية في حالة الحوادث وغيرها.

وتتوصل الشرطة إلى تحقيق هذه الوظائف باستخدام ما هو متاح لديها من تجهيزات فنية ووسائل معتمدة من آليات وتجهيزات عسكرية ووسائل نقل واتصال... إلخ، وبالاعتماد على الجهاز البشري في مؤسستها حيث يتضمن هذا الجهاز المستويات القيادية والإدارية والتنفيذية والميدانية.

وهنا يأتي دور التعليم الشرطي - النظري والتطبيقي - ليقدم الثقافة الأمنية المتخصصة التي تؤهل العاملين في الشرطة بكافة مستوياتهم تأهيلا مهنيا يجعلهم قادرين على الأداء الأفضل.

ومع تشعب وانتشار مجالات العمل الشرطي وتعدد وظائفه وسمو أهدافه، كان منطقياً أن يتسع نطاق العلوم الشرطية، فلم يعدّ مقتصراً على مجموعتي العلوم القانونية والإدارية والتدريبات العملية الشرطية، ولكنه امتد ليشتمل على علوم تعمق المضمون الاجتماعي لرسالة الشرطة، ومن ثم اتجه الاهتمام بالدراسات الاجتماعية والنفسية مثل العلاقات العامة الإنسانية، علم النفس الجنائي، علم النفس الأمني، علم الاجتماع الأمني وغيرها.

لقد أصبحت العلوم الأمنية وبضمنها ما يخص الشرطة، بطبيعتها تنتمي إلى العلوم الإنسانية في شقها المتعلق بالجانبين الوظيفي والادائي في عمل رجل الأمن وعلاقته بالمجتمع، كما تنتمي كذلك إلى العلوم الطبيعية والإنسانية في شقها المتعلق بالجانبين العلمي والفني في ضوء التطور الهائل في الوسائل والتجهيزات والأجهزة الأمنية المعقدة التي دخلت ميادين التحقيق والبحث الجنائي والاختبارات والمختبرات ووسائل الكشف والمراقبة والتحرى.

"ومن أهم العوامل التي تثرى الحصيلة الثقافية للمواطن بصفة عامة، ولرجل الشرطة بوجه خاص، إلمامه الدائب بأطوار تاريخنا

القومي والوطني، بابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما يتخلله من مواقف فعّالة وأحداث مصيرية حاسمة، دون إغفال للمؤثرات المتبادلة بين أحداث هذا التاريخ، والأحداث العالمية الأخرى، وخاصة في نطاق الوطن العربي (إبراهيم محمد الفحام، ص19).

ب - التعليم الشرطي والاقتصاد القومي:

يقاس التقدم الاقتصادي في أي مجتمع بمدى التغيّر في إنتاجية العمل، التي تتأثر بمستوى التعليم والخبرة والمهارة والمعرفه وأن هذه العوامل التي تشكل الثقافة المهنية للعمل، تؤثر في إنتاجية الاقتصاد القومي لهذه الدولة أو تلك ومدى تقدمها.

ولقد أكدت البحوث والدراسات التي اهتمت بحساب العائد الاقتصادي للتعليم، على وجود علاقة طردية إيجابية بين تطور العائد وقد أكدت الدراسات وجود علاقة طردية الاقتصادي متمثلاً في الدخل الفردي وبين المستوى التعليمي الذي وصل إليه الفرد. وتعني الإنتاجية في كمية الإنتاج التي يحققها عنصر الإنتاج من منتج معيّن خلال مدة زمنية محددة. إن هذا المفهوم المادي للإنتاجية، يشكل صعوبة في تعريف إنتاجية العمل الشرطي وكيفية قياسها، ومن ثم صعوبة إبراز أثر الثقافة الأمنية المتخصصة في إنتاجية العمل الشرطي.

وترجع هذه الصعوبة إلى أن هذا العمل يفضي إلى ناتج معنوي وليس سلعة مادية تخضع للقياس الكمي كما هو الحال في الكثير من النتاجات الفكرية والثقافية التي تغذي المجتمع أفراداً وجماعات. ورغم ذلك فإن بعض الدراسات التي أجريت مؤخراً قد اتجهت إلى تعريف إنتاجية العمل الشرطي بأنها "العلاقة الكمية بين قدرة وجودة الخدمات الأمنية المقدمة. وجملة المدخلات الشرطية المتاحة خلال مدة زمنية محددة" (فريدون محمد نجيب 1994، ص 129).

كما بذلت محاولات علمية جادة في مجال قياس هذه الإنتاجية، بأسلوب استخدام النماذج الرياضية لقياس تطور الإنتاجية لجملة جهاز الشرطة من ناحية، ولقياس تطور الإنتاجية لأحد القطاعات الشرطية من ناحية أخرى. كما اعتمد البعض الآخر في القياس على الأسلوب غير المباشر من خلال حساب تكلفة فقدان الأمن من ناحية والاستقصاء عن مدى جودة الخدمات الشرطية من ناحية أخرى (عادل راشد، 1995، ص59). إضافة لذلك، فقد اتجهت دراسات أخرى إلى قياس أو تقييم الأداء الفردي في قطاع الشرطة بالاعتماد على أساليب متعددة منها: أساليب العمل الإنتاجية، أساليب التقسيم المتدرج، أسلوب ترتيب الرتب، أساليب المقارنة الزوجية، أسلوب قوائم المراجعة والاختيار الجبري، وأسلوب الحوادث الحدية (ماهر جمال الدين 1998، ص21)، وقد أكدت الدراسات وجود علاقة طردية بين

مستوى التعليم والتدريب الشرطي والإنتاجية الشرطية، ومن ثم فإن مستوى الثقافة الأمنية يؤثر في مستوى الإنتاجية الشرطية، الذي يؤثر بدوره في إنتاجية الاقتصاد القومي التي تمثل المحصلة النهائية لمجموع المدخلات الإنتاجية التي تساهم في التنمية المجتمعية وبضمنها السلع المادية والخدمات المعنوية.

ج - تطوير الثقافة المتخصصة:

أولاً. الأمن هو مجموعة من النظم والسياسات والسلوكيات، التي تؤدي إلى الشعور بالاطمئنان والاستقرار كحاجة ملحة من حاجات النفس البشرية. وهو دعم للتنمية والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وضرورة حيوية للنمو الاقتصادي. بذلك نستنتج أن تحقيق الأمن، يصب في خدمة التنمية، وان جميع وسائل تحقيق التنمية تصب في خدمة الأمن. لذا فإن فاعلية القرار الشرطي والأداء العملياتي للشرطة، يتوقف إلى حدّ كبير على مدى تكامل وفعالية قاعدة العلوم المعرفية التي تدرس في أكاديميات ومعاهد الشرطة والأمن الداخلي مع برامج التدريب العملي في المجال الشرطي وشؤون الأمن الداخلي.

ثانياً. ومع أهمية النظرة الكلية الشاملة لبرامج التعليم الشرطي والأمن الداخلي التي سبق الإشارة إليها، يجب أن نتابع التطورات العالمية في مجالات العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد والاتصالات والمعلومات والسياسة، إضافة إلى التطورات الاجتماعية والثقافية على مستوى المجتمعات ومدى تأثيرها على المجتمعات في العالم العربي. إن هذه التطورات وما ينتج عنها، يرافقها دون شك، أنواع جديدة من الجريمة المنظمة وغير المنظمة التي تقع مسؤولية مكافحتها ومواجهتها على المؤسسات الأمنية بوجه خاص.

ومن أمثلة هذه الجرائم: جرائم التجارة الإلكترونية، أشكال حديثة للغش التجاري، تزوير بطاقات الائتمان المصرفية، الاعتداء على الأمن البيئي، كبر حجم وتنوع أشكال الجريمة المنظمة، الاعتداء على القيم الدينية من خلال ما يعرض من أفلام عبر القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، جرائم الاحتيال والتلاعب بالبيانات عبر الشبكة الدولية للمعلومات، وقرصنة برامج الكمبيوتر، جرائم غسيل الأموال المتحصلة بطرق غير مشروعة، سرقة المصارف والبنوك عن طريق الحاسوب، وغيرها الكثير.

إن مواجهة هذه الجرائم المستحدثة، أصبحت تشكل تحدياً كبيراً وعبئاً ثقيلاً ومأزقاً حقيقياً بالنسبة لأجهزة الشرطة والمؤسسات المسؤولة عن تحقيق الأمن التي تستلزم إعادة النظر في البرامج النظرية والعملية في المؤسسات التدريبية وبما يستوعب هذه التغيرات المتلاحقة وهذه الجرائم المستحدثة. فضلاً عن ذلك فإن اللقاءات والمؤتمرات والندوات والمعاهدات الأمنية في وبين الدول

العربية، تساهم دون شك في تعزيز الجوانب المعرفية والادائية في التعليم الأمني ومن ثم في تنمية المجتمع وتطوره على أسس سليمة وصائبة.

المصادر العربية:

- الصعيدي، عبد الله 1996، "الاستثمار التعليمي بين التكلفة والعائد" مجلة شوؤن اجتماعية، العدد 51، مصر.
- الصعيدي، عبد الله 1998، "مبادئ علم الاقتصاد" - الجزء الأول -، ط 2، كلية شرطة دبي الإمارات العربية المتحدة.
- الصعيدي، عبد الله 2003، 2005 الثقافة الأمنية ودورها في التنمية، دراسة ألقيت في المؤتمر السنوي الثاني والثلاثون لقضايا السكان والتنمية، المركز الديمقراطي في القاهرة جمهورية مصر العربية.
- حبيب، كميل 1984، "الثقافة عامل أساسي في التنمية الشاملة" في الثقافة ودورها في التنمية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - إدارة الثقافة - تونس.
- شفيق، محمد، 1993 - 1994، " التنمية الاجتماعية"، دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
- البداينة، ذياب 1998، "هندرة الثقافة الأمنية والتحصين الاجتماعي ضد الجريمة" دورية الفكر الشرطي، شرط الشارقة، العدد رقم 26.
- صابر، محي الدين 1982، "كلمة في المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية" الذي عقد في المكسيك، في (الإعلام العربي: دورية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) السنة الثانية، العدد الثاني.
- القحام، إبراهيم محمد، " نحو مفهوم جديد للثقافة الشرطية" في مجلة الأمن العام، العدد 75، ص 19 وما بعدها.
- محمد نجيب، فريدون، 1994، "الإنتاجية الشرطية وطرق قياسها" دورية الفكر الشرطي، شرطة الشارقة، العدد رقم (9).
- الشارد، عادل راشد، 1995، "قياس مدى جودة الخدمات:دراسة ميدانية استكشافية لشرطة دبي"، مجلة الأمن والقانون، كلية شرطة دبي، العدد الأول.
- جمال الدين، ماهر، 1998، " أساليب قياس الأداء الشرطي"، دورية الفكر الشرطي، شرط الشارقة، العدد رقم (925 أبريل).

المصادر والمراجع الأجنبية:

- **B. Malinowalinowski,Aa Scientific Theory of Culture and other essays. Chapel Hill-The University of North Carolina Press. 1944, p.**
- **F. Berroux, Leconomie du xx eme Siecle,P.U.F paris 1961,p.155.**
- **M. Shafik; Social Development-Definition, obstacles, and components, Univ. of Manchester, 1998,p.1 - 12**

الفصل العاشرمستقبل الأمن النفسي والوطني

المقدمة:

يتضمن هذا الفصل استعراضاً لمعنى وأهمية مفهوم الأمن الوطني، إذ أصبح هذا المفهوم مرتبطاً بمعنى المواطنة والعلاقة بين الفرد والدولة بشكل عام. وقد سبق وان تطرقنا في فصل سابق لمفهوم الأمن النفسي، وطبيعته والياته وحضوره في داخل المجتمع وصولاً إلى الأمن الاجتماعي الذي يعدّ الغاية الأساس في عقل المواطن والدولة على حدّ سواء. أما في هذا الفصل فسنتناول الأمن النفسي بوصفه دعامة للأمن الوطني وترسيخاً له وحماية لأفراد المجتمع. بعد ذلك نتطرق إلى موضوع التنمية وأهميتها في المجتمعات العربية ودورها في تجسيد وترصين العلاقة الصحيحة بين الأمن الوطني والأمن النفسي. ونثير في هذا الفصل موضوعاً جديداً، ذلك هو "التربية" وفلسفة النظام التربوي في مجتمعاتنا، فنتطرق إلى علاقة التربية بمعناها الواسع بالتنمية المجتمعية ومن ثم بالأمن الوطني عموما. إن إفرازات الواقع الذي نعيشه اليوم في عالمنا العربي، أظهرت لنا عدداً من الثقافات التي يدين بها البعض من مواطنينا، مثل ثقافة العنف، وثقافة التطرف والغلو والتعصب، مقابل ثقافة الوسطية والاعتدال والصفح والتسامح والمصالحة التي تؤسس للثقافة الأمنية السليمة في مجتمعاتنا. ويبدو من خلال التحليل الدقيق لواقع الأحداث، إن هذا يعود في معظمه إلى فلسفة النظام التربوي والتعليمي الذي ننشئ أجيالنا الجديدة عليه. وفي المحصلة فإن الفصل الحالي يهدف إلى توضيح عدد من المفاهيم وتسليط الضوء على عدد من الآليات والعلاقات الارتباطية، مفادها أن الأمن الوطني يشملُ في مكوناته: الأمن الداخلي والأمن الخارجي، في حين يتفاعل الأمن النفسي مع كل منها. كما نخلص إن التنمية هي جوهر الأمن الوطني، وان التربية الصحيحة والتعليم المستمر هما الطريق إلى التنمية وبالتالي الوصول إلى الأمن بكل أشكاله وأنواعه ومستوياته. لذلك فإن أي قصور في النظام التربوي لمجتمع أو دولة ما، هو في جوهره إضعاف لمقومات الأمن الوطني بشطريه، الداخلي والخارجي، ويتوقف هذا بطبيعة الحال على العديد من العوامل المؤثرة على العملية التربوية عموماً من حيث عمقها وفعاليتها واستخداماتها والآليات والاستراتيجيات التي تتبعها.

1 - مفهوم الأمن الوطني وطبيعته:

يعدّ مفهوم الأمن الوطني من المفاهيم المركزية التي يستخدمها المتخصصون في الدراسات العسكرية والسياسية خاصة تلك التي تتخذ

الطابع الاستراتيجي. وعلى ضوء مراجعة الأدبيات في هذا الإطار، تبين إنها تركز بصورة واضحة على الأمن بمعناه العسكري، أي امتلاك الدولة للقدرات العسكرية بما يمكنها من حماية نفسها من التهديدات العسكرية الأجنبية (Azar & Moon 1988,) كما تنظر إليه على أنه يعني السلام وغياب المصادمات المسلحة، وانتفاء الشعور بالتهديد الناتج عن احتمال استخدام القوة العسكرية من جانب طرف أخر، لكن الدراسات الحديثة (Ayoob, 1988, Buzan, 1988) ترى إن اقتصار مفهوم الأمن الوطني على مصادر التهديد الخارجي، والقوة العسكرية لم تعدّ تناسب جوهر الأمن، خاصة بالنسبة للدول النامية. ويذهب (Huth, 1988) إلى القول بأن فكرة الأمن الوطني حسب المعنى المشار إليه، ترتبط بالرؤية الأوروبية والتي جاءت في ظروف ترتبط بضرورة وإمكانية التقليل من التهديدات الخارجية - ذات الطابع العسكري - للدولة أو حلفائها، سواء كانت تلك التهديدات من خلال السلاح التقليدي أو السلاح النووي ويتضح من ذلك إن المفهوم الأوروبي للأمن الوطني، إنما ينبع من وقوع الدول الأوروبية تحت طائلة التهديد باستخدام القوة العسكرية من جانب الدول الشيوعية طوال مدة الاستقطاب، ثم تعدد الأقطاب في النظام الدولي، وذلك طوال مدة الحرب الباردة التي استمرت منذ الحرب العالمية الثانية وحتى انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991، ولكن الدول النامية - في الغالب الأعم - كانت تواجه بتهديدات بعيدة تماماً عن التهديد العسكري - النووي أو التقليدي الذي تواجهه الدول الأوروبية. ومن التهديدات التي واجهت الدول النامية مثلاً: عدم الاستقرار السياسي، والتخلف الاقتصادي، وتعثّر جهود التنمية ومشكلات الأقليات، والصراعات الحدودية... إلخ، ويناقش (Acharya, 1992) هذه الفكرة ببلاغة، ويخلص إلى القول بأن المفاهيم والمقاربات النظرية التي تم تطويرها لدراسة الحرب والأمن في النظم الأوروبية ليست ملائمة أو كاملة لتحليل وفهم المشكلات المتصلة بالأمن والحرب في الدول النامية. وتطرح الرؤية المعاصرة للأمن الوطني تساؤلين رئيسيين يتضمنان إجابة أكثر شمولا: الأول هو الأمن ضد ماذا "Security against what" والثاني، أمن من؟ "Whose security". في الإجابة على التساؤل الأول، هناك تأكيد على الأهمية النسبية لعدم الاستقرار الداخلي في مقابلة الهجوم الخارجي كعوامل تهدد الأمن الوطني للدولة، أي أن هذا الأمن إنما يكون ضد عوامل عدم الاستقرار الداخلي، مثلما هو ضد التهديدات الخارجية. أما بالنسبة للتساؤل الثاني "أمن من؟ " فإن الإجابة هي أمن المجتمع "Society" والدولة (State) على حدّ سواء بما في ذلك أمن النظام (Regime). وتذهب دراسة (Acharya, 1992) إلى ضرورة الحذر الشديد في التمييز بين أمن المجتمع من جهة وأمن النظام من جهة ثانية. فالأمن الوطني بمعناه

الصحيح لا يفصل بين هذين المستويين من الامن، والاساس في هذه الحالة هو مبدأ الشرعية، ففي الدولة التي يكون فيها نظام الحكم قائماً على الشرعية والديمقراطية، وتوفير الرخاء الاجتماعي للمواطنين يكون أمن النظام مرتبطاً بأمن المجتمع، أما في النظم التسلطية والدكتاتورية يكون هناك انفصال تام بين أمن النظام وأمن المجتمع. ويلجأ النظام عادة إلى افتعال أزمات خارجية كلما واجهته تحديات داخلية تهدد بقائه في السلطة (جامعة الكويت 1994).

على هذا الأساس، يصبح من غير المنطقي، النظر إلى الأمن الوطني بموجب الرؤية التقليدية أو المرتبطة بظروف ومتغيرات داخلية وإقليمية ودولية لا تتلاءم مع الواقع المعاصر، فمن المؤكد مثلاً إن اختلاف الظروف الداخلية من مجتمع إلى آخر، واختلاف تأثير المتغيّرات الأقليمية والدولية من هذا المجتمع إلى ذاك، تتطلب مفاهيم واليات مختلفة للأمن الوطني. إن التعريف الذي يعبّر عن هذا المعنى لمفهوم الأمن الوطني هو ذلك الذي يرى انه عبارة عن "الإجراءات التي تتخذها الدولة - في حدود طاقتها - للحفاظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل مع مراعاة التغيرات الأقليمية والدولية (هو يدي، 1991).

بموجب ذلك فإن الأمن الوطني يشمل كافة الإجراءات في كل المجالات على مستوى الدولة مثل الاقتصاد، الدفاع، الصحة، الخدمات بكافة أنواعها، فهذه جميعها كل لا يتجزأ، كما أن الإجراءات التي تتخذها الدولة يتعين أن تكون في حدود طاقتها، وأن تكون في إطار تخطيط سليم على المستوى الزمني والموضوعي داخلياً وإقليمياً، ودولياً، ونوضح أكثر طبيعة الأمن الوطني وخصائصه على النحو الآتي: (بشير صالح الرشيدي، 1999، ص 561).

- الأمن الوطني له أبعاد متعددة، بعضها مادي والآخر معنوي، كما أن بعضها داخلي والبعض الآخر خارجي، وجميعها كل لا يتجزأ، وهي تختلف نسبياً من مجتمع إلى آخر، سواء من حيث المحتوى أو من حيث الآليات المتبعة في حماية المجتمع والدولة من التهديدات الداخلية والتهديدات الخارجية، وتشمل التهديدات الداخلية: التخلف الاقتصادي أو التكنولوجي أو الثقافي والاجتماعي بكافة صوره وأشكاله بما في ذلك الأفكار والسلوكيات المناهضة للقيم العليا والغايات السامية وحقوق الإنسان... إلخ، أما التهديدات الخارجية فتشمل، محاولات القوى الخارجية - أيا كانت - فرض سيطرتها العسكرية أو الاقتصادية أو العلمية أو التكنولوجية على الدولة، من هنا فإن الأمن الوطني يتضمن متطلبات حماية الأمن الداخلي والأمن الخارجي، إذ إن لكل منهما مرتكزات أساسية (الجمال، 1992) وتتمثل متطلبات الأمن الداخلي في العدالة الاجتماعية وسيادة القانون وحرية الرأي وإرساء دعائم الديمقراطية، وجعل كل مواطن يشعر بأن الدولة تقوم برعاية مصالحه وحماية حقوقه والاهتمام بمستقبل أبنائه، وهكذا تبنى الثقة بين المجتمع والدولة، وبين المواطنين بعضهم بعضاً، ويتحقق بذلك أكبر إنجاز في طريق الأمن والاستقرار المرتكزين على البناء بجميع جوانبه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، أما متطلبات الأمن الخارجي، فإنها تتمثل بصفة أساسية في توافر متطلبات الأمن الداخلي بجانب القوة المسلحة من حيث الحجم والنوعية، بالإضافة إلى الكفاءة السياسة والدبلوماسية. وهناك عوامل تؤثر في الأمن الخارجي بشكل مباشر مثل الكثافة السكانية، والموقع، والمساحة والعمق الإستراتيجي (بشير صالح الرشيدي 1999، ص 562).

- يختلف الامن الوطني عن الامن العسكري، فالاول يتضمن الثاني ويشمله، وتقوم الرؤية الموضوعية على عدم الخلط بينهما، فمن جهة أولى، نجد أن الأمن العسكري يتحرك في المجال الاستراتيجي (Strategy) أما الأمن الوطني فيتحرك في مجال الاستراتيجية العظمى (Grand strategy) وأداة الأمن العسكري هي الحرب التكنولوجية (Technological warfare). أما الأمن الوطني فأداته حرب التكنولوجيا (war of Technogogy) أي أن الأمن العسكري ما هو إلا مستوى تكتيكي إذا قيس بالمستوى الاستراتيجي للأمن الوطني، ويصبح الأمن العسكري من مسؤولية القيادة العسكرية تحت إشراف القيادة السياسية بينما يكون الأمن الوطني من مسؤولية القيادة السياسية (هو يدي، 1991) ولأن السياسة - بموجب ذلك - تكون ذات التأثير الحاسم في المشكلات المتصلة بالأمن الوطني، فإن العملية السياسية تصبح العامل الرئيس المؤثر في هذه المشاكل ككل، خاصة فيما يتعلق بصنع الأمن الوطني ذاته وما يعنيه ذلك من الاختيار من بدائل متعددة للأهداف والموارد والأساليب والأفعال (Actions) اللازمة للتنفيذ (Buzan, 1991) ومن جهة ثانية فإن الهبوط بمستوى الأمن الوطني إلى مستوى الأمن العسكري فقط تقليل لمدى وغرض الدولة في تحقيق أمنها الشامل، ذلك أن الأمن الوطني لايعني فقط قدرات الدولة العسكرية أو صناعتها الحربية أو تفوقها في مجال التكنولوجيا العسكرية، ولا حتى انتصاراتها العسكرية في ميدان المعركة، فعلى الرغم من أن كل هذا مهم رئيس، إلا أنه وحده لا يحقق الأمن الوطني، والسبب في ذلك أن مثل هذه النظرة تتعامل فقط مع القوة (Force) وليس مع القدرة (Power) فالقوة هي إحدى عناصر القدرة الوطنية، والقدرة عبارة عن نسيج متشابك تتداخل فيه كل قوى الدولة لحمايتها من التهديدات الداخلية والخارجية على حدّ سواء:

فالقوة = حجم القوات المسلحة + نوعية القوات المسلحة + العزيمة في استخدامها في الوقت المناسب والمكان الصحيح + كفاءة القيادة... إلخ.

والقدرة = الإمكانيات الاقتصادية + الكفاءة السياسية في إدارة الصراع + القوة العسكرية + التكنولوجيا + العوامل المعنوية... إلخ. ولا يمكن لأي دولة أن تواجه عدواناً خارجياً دون أن يتوفر لها قواعد داخلية قوية وثابتة. فبدون ذلك تنهار الدولة من أساسها أمام ضغط خارجي إذا كان مصحوباً بالقوة والقدرة بما يفوق ما لدى هذه الدولة.

ومن جهة ثالثة، فإن الأمن الوطني قد يتطلب اتفاقيات للتعاون الأمني، واتفاقيات للأمن الجماعي، وكلها تصب في مجرى واحد هو ضمان حماية وجود الدولة والمجتمع من مصادر التهديد الخارجية في الدرجة الأولى، والداخلية في الدرجة الثانية، لأن التعاون الأمني يهدف بصفة أساسية إلى " منع الحرب" من خلال الحيلولة دون حشد الوسائل العدائية من جانب مصدر التهديد، وهذا يعني أن الدولة المعنية تتفادى الحاجة إلى اتخاذ إجراءات مضادة (مثل رفع درجة الاستعداد، والتوتر العام الناشئ عن التعبئة العامة بما قد ترتبك معه حياة المجتمع المدني) ويذهب (Carter et al , 1991) إلى أن التعاون الأمني يمثل جوهر التخطيط للأمن في مواجهة التهديدات المضادة بما يحول دون وقوع هذه التهديدات، أما الأمن الجماعي، فإن برامجه تصمم أساساً بالارتكاز على ترتيبات تمنع التهديد بجانب هزيمة الخصم إذا ما نفذ تهديداته. (بشير صالح الرشيدي 1999، ص 564).

2 - الأمن النفسي: دعامة الأمن الوطني:

سبق وان تعرضنا في الفصل السابق إلى موضوع الأمن النفسي، وفيما يخص الفرد في المجتمع، ورجل الأمن في المؤسسة الأمنية. ولأهمية الفصل الحالي في محاولة إيجاد العلاقات الترابطية بين الأمن الوطني والأمن النفسي من جهة، والتنمية والتربية من جهة أخرى، وبهدف التحقق من توضيح العلاقة بين الأمن النفسي والأمن الوطني، سيتم تسليط الضوء من جديد على مركزية حاجة الأمن وأهمية إشباعها، حتى وان كان في هذا شيء من التكرار. لكن التكرار هنا يمثل تعزيزا وفائدة، خاصة لأن وجهة النظر التي يتم تناولها هنا نحو الأمن النفسي، تنطلق من أساس التربية كونها مكوناً رئيساً، يشكل محوراً مهماً في إشباع هذه الحاجة. وقد تمت الاستعانة بشكل كبير في كتابة هذا الموضوع، بكتاب الدكتور بشير الرشيدي، الذي صدر في الكويت عن مكتب الإنماء الاجتماعي عام1999، وبعنوان "الحرب وسيكولوجية المجتمع".

أ - مركزية الحاجة إلى الأمن:

يعرف الأمن بوجه عام بأنه التحرر من الخوف وما يرتبط به من آثار نفسية على شخصية الفرد، وقد نظرت الدراسات السيكولوجية إلى الأمن بوصفه يمثل حاجة إنسانية لا غنى عنها في التوازن النفسي وفاعلية الأداء الاجتماعي، وتبرز لنا أهمية الحاجة إلى الأمن من إنها بمثابة الهدف الذي ترمي إليه كل الحاجات الاجتماعية ممثلاً في الشعور بالطمأنينة، وبدون ذلك يكون الشعور بالقلق والتعاسة واحتقار الذات (جلال، 1985)، وقد صنف (ماسلو) حاجات الأمن ضمن ترتيب متقدم في التنظيم الهرمي للدوافع، ففي المستوى الأول تأتي الحاجات الفسيولوجية، التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالبقاء، مثل الحاجة إلى الطعام والماء والإخراج والنوم، وفي الترتيب الثاني تأتى حاجات الأمن، التي تظهر كدوافع مسيطرة حينما يتم إشباع الحاجات الفسيولوجية، وتتضمن حاجات الأمن الحاجة إلى البنية والنظام والامان والقابلية للتنبؤ، والهدف الأول للشخص الذي يعمل عند هذا المستوى هو أن ينقص الشك ويتخلص من الريبة وعدم اليقين في حياته، فإذا تم إشباع حاجات الأمن يتأكد الفرد انه يعيش في بيئة متحررة من الخطر (جابر، 1990).

وعلى ضوء الترتيب المتقدم لحاجات الأمن ضمن التنظيم الهرمي للحاجات تتأكد لنا فكرة أساسية، وهي أن ما يلي ذلك حاجات لن يتمكن الفرد من إشباعها، إذا لم تشبع حاجات الأمن، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى انهيار الشخصية. فبعدم إشباع حاجات الانتماء والحب يشعر الفرد بالوحدة والخواء، وتستبد به مشاعر الاغتراب والغربة والعزلة، كما أن عدم إشباع حاجات التقدير يؤدي إلى مشاعر القصور وتثبيط الهمة، وعدم إشباع الحاجة إلى تقديرات الذات يعني عدم

استخدام الفرد لإمكاناته وقدراته ومواهبه، فيتدنى لديه اعتبار الذات (تحقيق الذات)، ويستبد به الإحساس بالإخفاق والفشل واليأس والتمزق الداخلي، وبعدم إشباع الحاجة إلى المعرفة والفهم لن يتمكن الفرد من حل المشكلات أو التغلب على العقبات، ولن تكون لديه القدرة على السيطرة والتنبؤ والتقدير السليم، وبالتالي لن يستطيع إشباع حاجاته الأخرى سواء كانت أساسية أو ثانوية، أما عدم إشباع الحاجات الجمالية فسوف يترتب عليه اضطراب الذوق واختلاط معايير الجمال بمعايير القبح، ولن يتمكن الفرد من الإجادة على ضوء معايير صحيحة، سواء على المستوى الشخصي أو على المستوى الاجتماعي. نخلص من ذلك أن إشباع الحاجة إلى الأمن يمثل ضرورة لاغنى عنها في سبيل إشباع الحاجات الأخرى، ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الحاجات الفسيولوجية ذاتها لا يمكن أن تشبع على النحو الكامل والصحيح دون إشباع الحاجة إلى الأمن، وبدون قدرة المواطن على إشباع حاجاته أو إذا كان الإشباع يواجه بمعوقات تفوق قدرة أفراد المجتمع في التغلب عليها، لا نتصور وجود استقرار داخلي أو تقدم مجتمعي أو قدرة بشرية على استخدام تكنولوجيا الحرب مما يضمن سلامة الدولة والمجتمع وحمايتها من الأخطار الداخلية والخارجية، بمعنى أكثر وضوحاً فإن الأمن النفسي يمثل حجر الزاوية للأمن الوطني (بشير صالح الرشيدي1999، ص565).

ب - إشباع الحاجة إلى الأمن أساس التربية والتنشئة:

إن الحاجة إلى الأمن تلازم الفرد منذ بداية الحياة، فالطفل لا يتقدم بسهولة في ميدان ما إلا إذا اطمأن وشعر بالأمن في شؤونه الحيوية. انه يخبر القلق والخوف وعدم الاستقرار إذا فقد الأمن، وعندما يولد الطفل يكون عاجزاً ولا يتمكن من البقاء ما لم ينعم بالأمان، وفي السنوات الأولى ترتبط الحاجة إلى الأمن بالحاجات الفسيولوجية من غذاء ونوم واخراج وغيرها، ويتوقف نمو الطفل في فترة الرضاعة على ما يتلقاه من إشباع لهذه الحاجة الملحة وترى (ايزاكس، 1992) أهمية الأمن كخلفية في حياة الطفل، وبدونه لاتكون لديه الفرصة للاستكشاف والتجريب والتعبير عن المشاعر وارتياد أفاق جديدة في العلاقات مع الآخرين، أضف إلى ذلك إن للأمن أوجه كثيرة في حياة الطفل:

- **انه في حاجة إلى النظام والروتين والإيقاع في خطته اليومية، فالوجبات المنتظمة والراحة والرعاية لا تقتصر أهميتها على الناحية الصحية البدنية للطفل، وإنما لها أيضاً أهمية قصوى لمشاعره، إن القالب الإيقاعي في تفاصيل الحياة اليومية يعني الحياة والحب والأمن بالنسبة للطفل الصغير، كما أن عادات الطفل تيسّر عليه اتخاذ القرار وضبط النفس وتخفّف من توتر المشاعر، ولكن إمكانية تكوين عادات طيبة في الطفل تتوقف على النظام والترتيب والإيقاع في سلوك الذين يحيطون به، وعلى النمط العام**

لحياته فإذا اضطرب هذا الإيقاع، اضطربت عادات الطفل واضطرب معها شعوره بالامن.

- والأمن بالنسبة للطفل، يتضمن ثقته في قدرة الكبار على أن يساعدوه على التحكم في نزعاته العدوانية والهدامة، انه في حاجة إلى الإحساس بأنهم لن يدعوه يسلك نحو الآخرين سلوكاً مؤذياً، ولن يدعوه يتلف كل شيء أو يوسخه أو يحطمه، في الوقت نفسه هو في حاجة إلى أن يعلم أنهم يحبونه بالرغم من هفواته وغضباته، وانهم لن ينتقموا لأنفسهم منه بفرض عقوبات قاسية عليه، بمعنى أنه يتوخى أن يأتيه الضبط من عوامل خارجية لأن قدرته الداخلية ضعيفة في الضبط الذاتي، انه يصبح متخوفاً مثلاً من غضبه وعدوانيته تجاه الأطفال الآخرين ما لم تسنده قرارات الكبار وسلوكهم وتحصنه ضد هذا التخوف. فإذا لم تتوافر هذه المساندة، وهذا التحصين فإن الطفل يصبح خائفاً مما يملكه هو من سلطة.
- كما أن الأمن يعني اتجاهاً مستقراً نحو الطفل من قبل أولئك الذين معه، فإذا كان الكبار الذين يعايشونه متقلّبين، وتعوزهم الثقة فيما يسلكون، فإن الطفل يجد نفسه وقد اضطر أن يظل متيقظاً يرقب ابتساماتهم وتقطيبات وجوههم في تركيز مؤلم، انه لا يستطيع أن يتعلّم كيف يسيطر على مشاعره، حيث لا يعلم من أين تهب الريح، فالأمن بالنسبة للطفل يقتضي الصفاء والحب من جانب المحيطين.

ولما كانت الحاجة إلى الأمن تمثل حجر الزاوية في جميع الحاجات الوجدانية للطفل، فقد حرص الإسلام على إشباع هذه الحاجة منذ البداية. لقد أوجب الإسلام مثلاً إن ترضع الأم وليدها حولين كاملين، وبينت الدراسات النفسية فيما بعد أن الطفل بالرضاع من أمه تقوي ثقته بنفسه من خلال اتصاله بجسمها وشعوره بدفء صدرها، انه يستسقي من ثدي أمه كل ما يحتاج إليه من الأمن الانفعالي (فراج، 1970) كما أن التفريق بين الأم ووليدها من الأمور التي تتناقض مع حاجة إلى الأمن، وقد نهى الإسلام عن هذا التفريق، لقد قال صلى الله عليه وسلم "ملعون من فرّق بين والدة وولدها " (المنذري، ج4) وهنا تبين الدراسات النفسية أن غياب الأم يؤدي إلى اكتئاب الطفل، وعدم ثقته في ذاته وفي الآخرين، والابتعاد عن الناس وبالتالي عدم قدرته على تكوين علاقات اجتماعية ويخبر القلق الدفين وعدم الاطمئنان، وعدم التحكم في الدوافع أو ضبطها، وتتكون لديه الميول العدوانية وكثرة التوترات الانفعالية والمشاكل السلوكية (عيد 1977) ولعلنا بموجب ذلك ندرك أن إشباع الحاجة إلى الأمن لدى الطفل منذ بداية حياته يمثّل المطلب الرئيس لمنظومة التنشئة والتربية السليمة، وبدون هذا الإشباع لن نجد المواطن الذي تأسست شخصيته على القوة المعنوية والعقلية والبدنية والقادر على العطاء والإنجاز في مجالات الإنتاج والخدمات المختلفة أو الإجادة والإتقان لفنون الحرب والقتال. انه بدون إشباع الحاجة إلى الأمن منذ البداية لن نجد الفرد القادر على تحقيق متطلبات الاستقرار الداخلي وحماية أمن الوطن من مصادر التهديد الخارجي، باختصار فإن الأمن النفسي هو دعامة الأمن الوطني.

3 - التنمية والإطار الصحيح للعلاقة بين الأمن الوطني والأمن النفسي:

يعدّ الأمن النفسي والأمن الوطني امتدادين متداخلين في العمق والمكوّنات كما أنهما في الوقت نفسه في إطار تبادلي من الموقع، فأفراد المجتمع لا يكونون آمنين إذا لم يتمكنوا من إشباع حاجاتهم داخل المجتمع الذي يعيشون فيه، أو إذا وجدت معوقات حقيقية تحول دون الإشباع المشروع لهذه الحاجات بما في ذلك (الحاجة إلى الأمن) - ففي تلك الحالة تكون مظاهر عدم الاستقرار الداخلي، وهنا يتقوض المرتكز الأول للآمن الوطني. من جهة ثانية فإن أفراد المجتمع لن يكونوا آمنين مطمئنين، إذا كانت هناك قوى خارجية أو معادية تهدد باحتلال مجتمعهم أو انتهاك سيادته، دون أن يمتلكوا مقومات الردع، انهم في هذه الحالة يستبد بهم الخوف والقلق بما يؤثر على قدرتهم في العمل والإنتاج في كافة الميادين، وسيصبحون فريسة للشائعات، وقد تتحول الاستثمارات وتهرب رؤوس الأموال الوطنية إلى الخارج، وقد تلعب مصادر التهديد الخارجي على الأعصاب، ويتم حشد مقومات المجتمع لمواجهة هذا التهديد ويكون على حساب متطلبات التنمية والرقي والازدهار، فتتأثر الحالة النفسية للأفراد والجماعات داخل المجتمع، وليس فقط بفعل الوقوع تحت طائلة التهديد من جانب قوة خارجية، ولكن أيضاً لنقص متطلبات الإشباع والوجود الأفضل.

ومن هنا فإن الإطار الصحيح لفهم وتوضيح العلاقة بين الأمن في معناه الإستراتيجي والسياسي (الأمن الوطني) من جهة، والأمن النفسي من جهة ثانية - إنما يتضمن محورين: الأول، علاقة الأمن بالتنمية، والثاني: محتوى الأمن النفسي. فإذا كانت التنمية هي جوهر الأمن الوطني فإنها في الوقت نفسه هي التي تشكل محتوى الأمن النفسي.

أ - التنمية جوهر الأمن الوطني:

أولاً. معنى التنمية:

ينقسم الفكر المعاصر في تعريفه للتنمية إلى تيارين رئيسيين:

الأول: يمثل الفكر الاقتصادي في الغرب، ويستمد مفهومه من تجربة نمو الاقتصاد الغربي، ولا يفرق غالباً بين النمو والتنمية، ويتضمن هذا التيار أن التنمية عملية هادفة إلى خلق طاقة تؤدي إلى تزايد دائم في متوسط الدخل الحقيقي للفرد بشكل منتظم لمدة طويلة من الزمن.

أما التيار الثاني فيمثله الدارسون والمهتمون في الدول النامية بقضايا التنمية، ويرى هذا التيار أن التنمية عملية هادفة إلى إحداث تحولات هيكلية اقتصادية، واجتماعية، يتحقق بموجبها للأغلبية الساحقة من أفراد المجتمع مستوى من الحياة الكريمة التي تقل في ظلها ظاهرة عدم المساواة، وتزول بالتدريج مشكلات البطالة والفقر والجهل والمرض، ويتوافر للمواطن قدر أكبر من فرص المشاركة

وحق المساهمة في توجيه مسار وطنه ومستقبله (الصباح، 1989). كما عرفت الأمم المتحدة التنمية بأنها " العمليات التي يمكن بواسطتها حشد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية ومساعدة هذه المجتمعات على الاندماج في المجتمع الأكبر بحيث تساهم في تقدمه بأقصى قدر ممكن. "وهناك من عرف التنمية بأنها" العمليات التي تبذل بقصد - ووفق سياسة عامة - لإحداث تطور وتنظيم اجتماعي واقتصادي للناس وبيئاتهم، سواء كانوا في مجتمعات محلية أو إقليمية أو قومية بالاعتماد على المجهودات المتسقة للمواطنين والحكومة، على أن تكسب كل منهما قدرة أكبر في مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات.

ويتضح من ذلك أن التنمية تختلف عن النمو (Growth) في أن التنمية تغيير إلى الأفضل في كافة جوانب المجتمع، أما النمو فهو تغيير في جانب واحد، كما أن التنمية تختلف عن العصرية (Modernity) في أن هذه الأخيرة تشمل التغيير الاجتماعي الفردي، وتعني تخلي الفرد عن الطرق التقليدية في حياته إلى طرق أكثر تعقيداً، وبموجبها يتم التغيير بسرعة من هذه الطرق إلى تلك، إذ إنها تتصل بالحالة النفسية والذهنية أكثر من اتصالها بالأزمنة والأماكن والأشياء، والعصرية ليست مرغوبة دائما، ففي بعض الأحيأن تكون العصرية إنكاراً لأنماط ثقافية تضرب بجذورها في أعماق الأصالة، وجحوداً لقيم إيجابية تستلزمها التنمية، ليس فقط على المستوى التكنولوجي وإنما أيضاً على المستوى الإنساني.

أما التنمية فإنها تعني التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. إنها تعني مستوى معقولاً للمعيشة وكلمة (معقول) نسبية، فما هو معقول في المراحل الأولى للتنمية يصبح غير معقول في مرحلة تالية، وعندما ينظم الناس في أية دولة مواردهم الإنسانية والطبيعية ليوفّروا لأنفسهم ما يحتاجونه وما يتوقعونه من الحياة، ويتعلّمون أن يوفقوا في سلام بين المطالب المتنافسة في ظل الصالح القومي الأوسع، عندئذ لا يكون اللجوء إلى العنف - الناتج عن اليأس - هو الوسيلة لتحقيق المتطلبات الملحة للعيش الكريم (بشير صالح الرشيدي 1999، ص 571).

ثانياً. دلالة التنمية للأمن الوطني:

ذهب ما كنمارا (1970، ص 125) إلى أن أي مجتمع يمر بمرحلة التحول من مجتمع تقليدي إلى مجتمع عصري، يكون الأمن (Security) بمعنى التنمية (Development) ويشدد على الفكرة قائلاً إن الأمن هو التنمية ودون تنمية لا يمكن أن يوجد أمن، والدول النامية التي لا تنمو حقيقية لا يمكن أن تكون آمنة لسبب أكيد هو أن مواطنيها لا يمكنهم التخلي

عن طبيعتهم". ويوضح (ماكنمارا) ذلك بقوله: ان الأمن هو ليس المعدات العسكرية وان كان قد يتضمن هذه المعدات، والأمن ليس هو القوة العسكرية، وان كان قد يتضمنها كذلك. والأمن ليس النشاط العسكري التقليدي، وان كان قد يشمله ". وتتفق هذه الرؤية مع دراسة حديثة (هويدي، 1991)، خلاصتها أن النظر إلى القوة العسكرية كرمز لتحقيق المصالح الحيوية للوطن، يناقض الأمن ويهدده لسببين: الأول: يتمثل في أن توجيه موارد بشرية واقتصادية هائلة إلى الجانب العسكري، كثيراً ما يكون على حساب مخصصات التنمية الحقيقية للمجتمع، وبدون التنمية لن يوجد أمن كما سبقت الإشارة إليه، الثاني: يتمثل في أن الركون إلى القوة العسكرية يصحبه عادة زيادة حجم الترسانات الحربية، الأمر الذي تفسره القوى الأخرى بأنه تعبير عن نوايا عدوانية، ويبدأ السباق الرهيب في التسلح وحشد الأسلحة التقليدية والحديثة بما فيها أسلحة الدمار الشامل، ومن ثم يصبح الأمن الوطني في خطر.

وتتأكد فكرة أن الأمن ينشأ من التنمية على أساس أن أية دولة متخلفة يمكن أن يحدث فيها التخريب من الداخل أو أن تكون ضحية للعدوان من الخارج، وقد تكون ضحية للتخريب والعدوان معاً، وحتى يمكن منع ذلك كله أو بعضه، فإن الدولة تحتاج إلى قدرات عسكرية مناسبة لتعالج المشكلة التي تواجهها، ومع هذا فإن الجانب العسكري ما هو إلا الوجه السطحي الضيق لمشكلة الأمن الكبرى، فالقوة العسكرية يمكن أن تساعد في توفير احترام القانون والنظام، ولكن ذلك لا يتحقق إلا بقدر يتناسب مع الوجود الفعلي لقاعدة صلبة للقانون والنظام في المجتمع النامي، ورغبة أساسية في التعاون من جانب الشعب، فالقانون والنظام هما الدرع الذي يمكن أن تتحقق خلفه التنمية وهي الحقيقة الأساسية للأمن (ماكنمارا، 1970).

ب - دلالة التنمية لمتضمنات الأمن النفسي:

ما العوامل التي تجعل الشخصية تعمل بكفاءة في بيئة متحررة من الخطر؟

وهل لهذه العوامل علاقة بالتنمية حسب المعنى السابق ذكره؟ وما علاقة ذلك بالأمن النفسي؟ ترى الدراسات النفسية أن هناك عوامل شخصية ونفسية، بجانب عوامل أخرى مادية واجتماعية واقتصادية تعوق إشباع حاجات الفرد أو تحول دون هذا الإشباع بما يؤدي به إلى الإحباط (نجاتي، 1993) ومن أمثلة العوامل الشخصية ما يتعلق بالصحة البدنية والنفسية والعقلية، أما العوامل المادية فتتعلق بالظروف الطبيعية أو المصطنعة من حيث درجة الاستقرار بينما تتعلق العوامل الاقتصادية بمدى توافر الثروة، ويمكن أن نضيف إلى هذه العوامل كل ما من شأنه أن يؤثر في نمو الشخصية بوجه عام.

ومن خلال التنمية الحقيقية بما تعتمد عليه من اليات وبرامج (بما في ذلك التربية الصحيحة) يتمكن المجتمع والدولة من الوصول بالأفراد إلى مستوى لائق من التوازن النفسي وتوفير الحدّ الأدنى - على الأقل - من الظروف الشخصية والبيئية التي تمكن الفرد بكفاءة في بيئة متحررة من الخطر - لسبب بسيط هو انه في هذه الحالة ستتاح إمكانات توافر محتوى الأمن النفسي بأبعاده المختلفة ممثلة فيما يعبر عنه هذا الشكل:



الأبعاد الأساسية في متضمنات الأمن النفسي

وفيما يلي توضيح لهذه المتضمنات الموضحة بالشكل:

- **الأمن الاجتماعي: ويتضمن كل ما من شأنه تحقيق الوجود الأفضل للفرد في علاقته بالآخرين أيا كانوا سواء في إطار الجماعات الأولية أو الثانوية أو غير ذلك من الأفراد والجماعات التي يتعامل معهم الفرد، ويتصل الأمن الاجتماعي بالانتماء، وإمكانية الزواج وتكوين أسرة، والحب والمحبة، والتواصل مع الآخرين والحركة، والاطمئنان على الأبناء، والامان في العلاقة مع الآخرين... إلخ.**
- **الأمن البدني: ويتضمن كل ما من شانه الوفاء باحتياجات الجسم من غذاء ومشرب وكساء، والخدمات الطبية والترفيهية، وسلامة البدن من الإيذاء، وكل ما يحقق الوجود الجيد للفرد من النواحي الفيزيقية.**
- **أمن الممتلكات: وهو يتضمن إشباع الحاجة إلى التملك، كما يتضمن كل ما من شانه أن يجعل الفرد مطمئناً على أن ما يمتلكه من أشياء تخصه، لن تسلب منه سواء كانت أموالاً أو وظيفةً أو مقتنيات وذلك في حدود القيم والمعايير التي ارتضاها المجتمع ونظّمها القانون الوضعي والعرف.**
- **الأمن الفكري والعقائدي: ويشمل شعور الفرد بالأمن ضد أي ما من شانه أن يحجر على فكره أو يمنعه من حرية التعبير والرأي أو يهدد عقيدته بأي صورة من الصور، ويدخل في هذا الإطار أمن " العقيدة" بكل ما يعنيه، بما في ذلك شعور الفرد بأن الدين (Religion) الذي يعتنقه ليس محل هجوم أو اضطهاد. وللتدين تأثير هائل في إحساس الفرد بالأمن والطمأنينة والسكينة.**
- **الأمن الثقافي: ويتضمن أن يكون الفرد آمناً على حقه في التعليم، والوصول إلى مصادر المعرفة بكافة صورها وأشكالها، وكذلك إلى منابع وقنوات الثقافة بما تتضمنه من تثقيف ومعرفة وترفيه.**
- **أمن المسكن: ونقصد بالمسكن هنا بمعناه الأوسع (الوطن) بما في ذلك مكان المعيشة، ومكان العمل، وأي مكان يتواجد فيه الفرد داخل وطنه، وبالتالي فإن أمن المسكن يعني إحساس الفرد بالأمان والأمن داخل وطنه ضد كل مثيرات الأذى سواء كانت من صنع الإنسان أو الطبيعة.**

- الامن على العرض والشرف: ويشمل كل ما من شانه إحساس الفرد بالامان ضد كل ما من شأنه أن يسئ إلى كرامته الإنسانية سواء من المنظور الجنسي أو الأخلاقي بشكل مباشر أو غير مباشر.
- أمن الدور والمكانة: ويتضمن شعور الفرد بإمكانية استغلاله لما لديه من قدرات ومواهب لتحقيق ذاته دون قيود وذلك في إطار القيم المتعارف عليها، وأن تكون فرصة المشاركة والمساهمة متاحة ومتكافئة بين المواطنين.
- الأمن على المستقبل: لما كان من طبيعة الإنسان الخوف من المجهول، ولما كان المستقبل مجهولاً للإنسان، فإن الأمن النفسي يتطلب شعور الفرد بإمكانية الوجود الجيد له ولمن يتحمل مسؤوليتهم في ظل ظروف مستقبلية (قد تكون) متغيّرة.

هذه الأبعاد والمتضمنات المختلفة للأمن النفسي تتيحها التنمية الحقيقية وتؤثر فيها عوامل شخصية وبيئية، وهي ذات تأثيرات وانعكاسات نسبية مثلما هي نسبية في وجودها (بشير صالح الرشيدي 1999، ص575).

4 - علاقة التربية بالأمن والتنمية:

أ - معنى التربية:

لقي مفهوم التربية (Education) اهتماماً واسعاً من جانب العلماء في تخصصات مختلفة خاصة التربويون والنفسانيون والاجتماعيون، ولعل من أبرز معاني التربية، تلك التي ترى أنها "نظام اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد وتنشئة وتشكيل النشئ من خلال وسائط ومؤسسات وأجهزة ذات فاعلية في تكوين الفرد وتهيئته من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية ليكون عضواً في المجتمع ويعيش حياة سوية في البيئة الاجتماعية (الدريني، 1983). وهناك من يؤكد صفة العمومية والاستمرار في خصائص التربية باعتبارها " عملية عامة ومستمرة لإعداد الفرد للتكيف مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ولإمداده بعناصر المدنية والتحضر وإنجازات العلم والتكنولوجيا وبإرشاده إلى وسائل تبصيرية وتوعيته (الخشاب، 1971). أما عالم الاجتماع الشهير (دور كايم) فيركز على التأثير والفاعلين في التربية والمستهدفين منها بقوله " إن التربية عملية التأثير الذي تمارسه الأجيال الأكبر سنا على تلك الأجيال التي ليست مؤهلة للحياة الاجتماعية بعد، فهي تستهدف أن توقظ وتنمي في الطفل القدرات الفيزيقية والعقلية والأخلاقية التي يتطلبها منه مجتمعه وتتطلبها منه البيئة المقرر له أن يعيش فيها، فوظيفة التربية إذن هي بناء الطفل، واعداده للمشاركة في حياة اجتماعية معيّنة داخل التدرج الهرمي عن طريق توصيل التراث الاجتماعي المشترك إليه من خلال اللغة والدين والأخلاق والعادات الاجتماعية في مجتمعه (بورتومور، 1982). ومن هذا المنظور تعدّ التربية إحدى المعطيات المنبثقة عن الحياة في الجماعات والصادرة عن البيئة الوظيفية لها، متضمنة قوالب ونماذج للتفكير والسلوك، منطوية على نماذج من التقويمات الجماعية

المشتركة التي تصدر عن الجماعة وتستمر بالجماعة ومن اجلها لتعمل على دعم ظواهرها ومكونات بقائها ومؤسساتها الوظيفية وعاداتها وتقاليدها، كما تسعى إلى تحريك وتطوير الواقع في الاتجاه الذي نشأت فيه بحيث يحقق متطلباتها ويواجه احتياجاتها ويحل مشاكلها، وينمي طاقاتها فالتربية إذن ظاهرة اجتماعية خالصة تقوم عليها الخصائص الأساسية المميزة لكل ظاهرة اجتماعية (أمين، 1991) ويبرز البعد الاجتماعي واضحاً في التربية حسب رؤية التربويين وعلماء النفس، فقد ذهب بعضهم إلى أن التربية عملية (Process) تضمن تفاعلاً هادفاً له مقاصد وغايات فردية واجتماعية وتشترط استخدام نظريات علم النفس وتطبيقاتها، كما تتضمن الاستخدام الذكي لمعارف ونتائج أبحاث علم النفس التربوي بالأسلوب النقدي المفتوح (طه، 1985).

أما البعض الآخر، فقد ذهب إلى أن التربية جهود منظّمة لتحقيق تصوّر أمثل للشخصية، إذ تتمثل العملية التربوية في توجيه النمو في وسط تربوي، وإنها أهم الوسائل التي عن طريقها تربى المسؤولية الاجتماعية لدى النشئ عبر تكامل مع باقي عناصر الشخصية ومكوناتها، وهي عملية مقصودة ومخططة ومنسقة تتم في ضوء الفكر الاجتماعي (زهران، 1984)، وعلى ضوء البعد الاجتماعي في التربية تبرز علاقتها بمفهوم " التنشئة" ذلك أن التربية تتضمن تنشئة منظمة هادفة إلى تطويع عملية إكساب الثقافة للفرد بما يتناسب مع الظروف الحالية للمجتمع، ويكون محتوى التربية في هذه الحالة لا يقتصر على العادات والتقاليد والمعايير والاتجاهات والقيم، وإنما يتضمن المهارات والمعارف والتهذيب الثقافي من خلال المؤسسة التربوية الرسمية بحيث يتمكن الفرد من القيام بدور متوقع ومطلوب اجتماعياً في المستقبل. واضح إذن أن التربية تتضمن ما نعرفه باسم (التعليم) ليس بالمفهوم الرسمي الضيق، ولا بالمفهوم الاجتماعي غير المنظم، وإنما باعتباره" عملية تلقين الفرد قيم المجتمع ومعاييره ومفاهيمه بحيث يصبح مدرباً على شغل مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي ومهيّأ للتكييف والتعايش مع المجتمع والتفاعل معه (الحسن، 1981). ولقد أصبح التعليم الرسمي من مميزات التربية في المجتمع الحديث حيث يطبق العلم على عملية التربية بأكملها ويتم توصيل المعرفة التجريبية ولعل من الشواهد على ذلك اتجاه التعليم إلى الدراسات العلمية البحتة وتطبيقاتها في الحياة العملية، وكذلك اتجاه التربية الحديثة نحو إعداد الأفراد بشكل متوازن حتى يستطيعوا مواجهة العالم المتغير، ومن هنا يتضح اختلاف فلسفة التربية في المجتمع الحديث عن التربية في المجتمع التقليدي، حيث كانت تقوم على مجرد نقل أسلوب معيّن من الحياة من الأجيال الأقدم إلى الأجيال الأحدث (Cole et al , 1971).

ب - علاقة التربية بالتنمية والأمن:

تعتمد التنمية على ثلاثة مقومات أساسية تتمثل في الموارد البشرية، الموارد الطبيعية، رأس المال (أحمد، 1989)، لكن الموارد الطبيعية حتى في حالة وجودها لا يمكن استغلالها الاستغلال الأمثل دون وجود الموارد البشرية التي تم إعدادها على النحو الصحيح من حيث الجسم والعقل والروح، كما أن رأس المال، ما كان له أن يوجد دون وجود " البشر" القادرين على اتخاذ الوسائل والأساليب الفعّالة والمشروعة للحصول عليه وتنميته وانفاقه في الاتجاه الصحيح، بمعنى آخر فإن "العنصر البشري" هو الفاعل والموجّه لكل من الموارد الطبيعية والمالية، وما لم يتوافر لهذا العنصر كافة مقومات الفاعلية، تصبح هذه الموارد عوامل تخلف واملاق بدلاً من أن تكون عوامل تقدم ورفاهية. ولكن كيف تتحقق "الفاعلية البشرية"؟ لاشك أن ذلك يكون من خلال سبيل واحد دون سواه: انه " التربية" لكل الطاقات البشرية، بما لديها من قدرات واحتياجات وتطلعات، بحيث تتوافر لها مجموعة المهارات والمعارف والقدرات الناتجة عن التربية والتعليم والتأهيل، فمن خلال البناء والتكوين السليم للموارد البشرية في المجتمع تصبح التربية العامل الجوهري الذي تتنامى تحت تأثيره مقومات الأمن والتنمية، مع ما لذلك من دلالات أساسية لمتغيرات التنمية وعوامل الاستقرار الداخلي والخارجي.

أولاً. التربية ومتغيرات التنمية:

إن التربية - بما تتضمنه من تعليم - تعني معرفة الفرد بالرموز، بحيث يتقنها في شكلها المكتوب (محو الأمية) ثم الحصول على المعارف الأساسية بالقدر المناسب، يلي ذلك اقتحام فروع التخصص العلمي في أي من المجالات الحيوية التي ترتكز عليها التنمية مثل الطب والهندسة والتدريس والمحاماة... إلخ. وقد قدمت منظمة اليونسكو مبدأً أساسياً مفاده وجوب اعتبار التعليم وسيلة للتنمية وغاية لها، انه وسيلة لبناء مواطن أكثر نفعا وإنتاجية للمجتمع ويساعد - بمعرفته ومهارته - على الإسراع بالتنمية، ومن ثم يتعين ارتباط التعليم بحاجات المجتمع وخطط التنمية. والتربية تتضمن تبنّي الأفراد للأفكار والتطبيقات الحديثة بما يعنيه ذلك من تقبل نمط جديد من الحياة، انه نمط أكثر تعقيداً وتقدماً من الناحية التكنولوجية والثقافية في الشؤون الحياتية للفرد والمجتمع، والتربية تعدّ المحور الأساسي للتنمية - ومن ثم للأمن الوطني - لأنها تمكّن الفرد من الانفتاح على العالم الخارجي والاهتمام بما هو خارج بيئته المباشرة، وقد يكون ذلك من خلال المعرفة بمصادرها المختلفة أو من خلال وسائل الاتصال أو الاحتكاك المباشر بالعالم الخارجي وظروف الحياة فيه وتقييمها

وفهمها على النحو الصحيح، فينمو فيه عامل التقمص الوجداني"Empathy" بمعنى القدرة على أن يضع نفسه مكان الآخرين الذين هم في مستوى أفضل، وبالتالي يتمكن من العمل بكفاءة في عالم متغير، كما تزداد لديه التطلعات المشروعة والممكنة بشأن المستقبل مثل مستوى المعيشة المرتفع، والمكانة الاجتماعية والتعليم المفيد والمهنة الجديرة بالإعتبار، وبالتربية أيضاً تستثار لدى الفرد دوافع الاتجار بمعنى الرغبة نحو الكمال والإجادة والإتقان في الأداء، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على رفاهية الفرد والجماعة والمجتمع، والتربية كذلك هي التي توسّع نطاق الإدراك السياسي، وهو على حدّ قول (Pye, 1963) امتلاك الفرد للمعرفة والمعلومات عن بلاده بصفته مواطناً صالحاً، يؤدي واجبه السياسي على النحو الصحيح، يعدّ التعليم أحد المصادر الرئيسة لذلك، كما أن الوعي السياسي دلالة على توافر الحدّ الأدنى للتقدم السياسي، وشعور الفرد بأنه جزء من شعب الأمة، ويمكن من خلال ذلك تعبئة الشعب في اتجاه التنمية الوطنية وتوسيع دائرة المشاركة، وقد أكدت الدراسات العلمية منذ مدة مبكرة ارتباط التعليم إيجابياً بالإدراك السياسي (Elkhatib & Hirabayshi, 1958).

ثانياً. الدلالة المباشرة على مستوى الأمن الداخلي:

لقد نظر المفكرون والفلاسفة إلى التربية بما تحمل في ثناياها المثل العليا التي تحصّن المجتمع ضد الجريمة والانحراف، إنها تجعل الفرد يحترم القانون والنظام، ويلتزم بحقوقه وواجباته وكذلك بحقوق الآخرين وواجباتهم، وما نراه اليوم من مظاهر متعددة للباثولوجيا الاجتماعية (الأمراض الاجتماعية) يرجع في جزء أساسي منه، إما إلى عطب في العملية التربوية أو إلى عدم الاستفادة الكافية منها. أما التربية الحقة، فإنها تحمل في طياتها كافة متطلبات حماية الاستقرار الداخلي باعتباره أحد ركائز الأمن الوطني.

يقول الفيلسوف (فيكتور هوجو) "من فتح مدرسة فقد أغلق سجناً"، بمعنى أن التربية هي السبيل الصحيح لمواجهة الجريمة بكافة صورها وأشكالها ويعتقد (اللورد ماكولي) وهو أديب وقاضي إنجليزي في القرن 19، أنه قبل نشر التعليم باسكوتلندا كان الشقاء كثيراً والجهل سائداً، والإخلال بالقانون منتشراً، وكان المجرمون يخلون دائماً بالأمن العام، ويكدرون صفو الناس. وكان لقب (اسكوتلاندي) رمزاً للعيب والمعّرة ويقابل بالاحتقار وعدم الاكتراث، ولكن حينما تم تنفيذ قانون التعليم العام، وبدا" الأميون يتعلّمون، وذهب الأطفال إلى المدارس - ظهر الرقي في الأخلاق والآداب والتفكير بين الشعب.

لقد تغيّر بالتعليم، واصبح من الشعوب العظيمة في الجلد والخشونة والذكاء والمثابرة ونجح في الاقتصاد والصناعة، وعلى أكتافه بنيت الإمبراطورية الإنجليزية التي سادت الأرض لقرون من الزمان.

وفي القرن الثامن وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان الحكام مستبدين في روسيا يخافون من تعليم الجمهور معتقدين أن ذلك سيجعل الشعب يثور عليهم، ومن كلماتهم المأثورة: "إذا علمت الفقراء اليوم، فسيكونون ضدك غدا". ولقد برهنت تجارب الحياة في كل المجتمعات فساد هذا الوهم، إذ أدركت المجتمعات أن التعليم هو خير وسيلة للتفاهم مع العامة، فبالتعليم يستنير فكر الجمهور، ويحكم عقله في الأمور، ويميز الحسن من القبيح والغث من السمين. أما الجهل فيغلق الفكر، ويغلب العواطف والأهواء، وتتضاءل - إن لم تنعدم معه - القدرة على التمييز والحكم الصحيح، فيصبح الأفراد فريسة للأفكار المضللة والسلوكيات المدمرة على المستويين الشخصي والاجتماعي.

وتتأكد صحة ذلك من تجارب الحياة الواقعية في المجتمعات المعاصرة، إنها برهان ساطع علي ما عبرت عنه آراء المفكرين والتربويين منذ أقدم الأزمنة عن أثر التربية في تهذيب الفرد على مستوى الأفكار والشعور والإدراك والسلوك. لقد رأى (أفلاطون) أن التربية هي إمداد الجسم والروح بكل ما يمكن من الكمال والجمال، كما رأى مفكرون آخرون أن التربية تنمي كل قوى الطفل تنمية كاملة متلائمة وتهذب قواه الفطرية كي يكون قادراً على قيادة الحياة بمهارة ودقة وضمير وأمانة. ويذهب الفيلسوف الألماني (I.Kant) إلى أن الغرض من التربية الوصول بالإنسان إلى الكمال الممكن، بينما يذهب (James Mill) إلى أن التربية الكاملة هي التي تحفظ الصحة البدنية والقوة الجسمية والعقلية للتلميذ، وتوجهها صوب البناء، وتزيد في سرعة إدراكه وذكائه، وتعود سلامة الحكم على الأمور والأشياء، وتجعله رقيق الشعور مؤدياً واجباته بذمة وضمير (الابراشي، 1993). بهذه المعاني تكون التربية وسيلة أساسية في تحصين المجتمع ضد الجريمة وضد الانحرافات بكافة صورها وأشكالها، كما أنها الرافد الرئيس الذي من خلاله تتشكل مقومات الضبط الذاتي والاجتماعي بما يوفر الاستقرار الداخلي للمجتمع، ويشكل مقومات الدفاع الاجتماعي ضد كل ما يهدد الأمن الوطني لأية دولة.

ثالثاً. الدلالة المباشرة على مستوى الأمن الخارجي:

ويدلنا استقراء التاريخ العسكري على ما للتربية من تأثير حاسم في حماية الأمن الخارجي للأمم والشعوب. لقد هزم نابليون (بروسيا)

هزيمة نكراء، فحطم قوتها، ولم يرفع الأمة المهزومة من الحضيض إلا مدارس الشعب وتعميم التعليم. وقال بسمارك بعد الحرب السبعينية: لقد انتصرنا على جارتنا بمعلّم المدرسة (الابرشي، 1993). ولقد أدركت الولايات المتحدة منذ حرب التحرير ثم الاستقلال عام 1776، أهمية التعليم في بناء الأمة وتوحدها وأسس القوة فيها، ومن الأقوال المأثورة للرئيس جورج واشنطن:"القلم هو السبيل الوحيد والأساس المتين لسعادة الجمهور وان أول أمر مهم هو النهوض بالمدارس لنشر التعليم العام فلا سبيل لرقي أمة إلا بالعلم"، وعندما تولى " توماس جيفرسون" رئاسة الولايات المتحدة قال: " لو ينتظر شعب أن يكون حراً وجاهلاً في الوقت نفسه، فإنه ينتظر ما لم يحدث ولن يحدث" وفي التاريخ التربوي الأمريكي، ظهر رجال عظماء كرسوا جهودهم في سبيل تعميم التعليم، نذكر منهم هوريس مان، ماري ليون، فرنسيس باركر. لقد أدرك هؤلاء - ومعهم الشعب الأمريكي والحكومة الأمريكية، إن المدارس العامة هي الوسيلة الأمثل لصهر مختلف الجنسيات في بوتقة واحدة، إنها توحد بينهم وتجعلهم أمريكيين، وتبث في نفوس أبنائهم حب بلد اتخذوه بلداً لهم. والإخلاص لوطن اتخذوه وطناً لهم، ومع تقدم التكنولوجيا الحديثة بما يعنيه ذلك من إمكانية التقدم في كافة المجالات، أصبحت التربية هي " المرجع " الذي من خلاله يتم الأخذ بكافة أساليب النصر على الأعداء ومواجهة التهديدات الخارجية وحماية الأمن القومي الأمريكي. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما ورد في تقرير اللجنة القومية الأمريكية للتفوق في التعليم والصادر 1984 تحت عنوان "أمة في خطر"، لقد كان هذا الخطر هو التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية في مجال التفوق في بحوث الفضاء والسيطرة التكنولوجية. وتضمن التقرير المذكور، إن النظام التربوي الأمريكي ليس بوسعه إعداد أجيال تواجه هذه التحديات، وبالتالي تم تعديل هذا النظام بما تمكنت معه الولايات المتحدة من توفير الكفاءات البشرية التي يتطلبها الحفاظ على الأمن القومي سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، وها هي اليوم أكبر قوة على مستوى العالم (بشير صالح الرشيدي 1999، ص 583).

المصادر العربية:

- **الرشيدي، بشير صالح (1999)، "الحرب وسيكولوجية المجتمع"، ط 1 الكويت، الديوان الأميري، مكتب الإنماء الاجتماعي.**
- **هويدي، أمين (1991)، "العسكرة والأمن في الشرق الأوسط": تأثيرهما على التنمية والديمقراطية. ط1. القاهرة. دار الشروق ص 50 - 55.**
- **الجمال، محمد عبد الهادي (1992)، "الكويت وأيام الاحتلال". الكويت. مطابع الخط. ص 418 - 419.**
- **جلال سعد (1985)، "المرجع في علم النفس". القاهرة. دار الفكر العربي. ص 476.**
- **جابر، عبد الحميد جابر (1990)، "نظريات الشخصية: البناء. الديناميات. النمو. طرق البحث. التقويم.. القاهرة. دار النهضة العربية ص 585.**

- ايزاكس، سوزان (1992)، "القيمة التربوية للحضانة ورياض الاطفال". ترجمة محمد محمود رضوان. ط1. القاهرة دار الشروق. ص 47.
- فراج، عثمان لبيب (1970) "أضواء على الشخصية والصحة العقلية"، ط 1. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. ص 101.
- المنذري. أبو محمد زكي الدين، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. جـ 4. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط 1. القاهرة. المكتبة التجارية الكبرى. ص 247.
- عيد، ليلى محمد عبد الحميد (1977)، " العلاقة بين خروج المرأة للعمل وجنوح الاحداث" رسالة ماجستير (كلية البنات - جامعة الأزهر) ص 29.
- الصباح، أمل يوسف العذبي (1989)، "تعليم المرأة الكويتية ودوره في عملية التنمية: دراسة سكانية تحليلية مقارنة. سلسلة الكتب المتخصصة. الكويت ص 80.
- ماكنمارا، روبرت (1970) جوهر الأمن، ترجمة يونس شاهين. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- نجاتي، محمد عثمان (1993) علم النفس والحياة. ط 15. الكويت. دار القلم ص 397 - 399.
- الدريني، حسين عبد العزيز (1983) المدخل إلى علم النفس. ط 1. القاهرة. دار الفكر العربي. ص 351.
- الخشاب، احمد (1971) الاجتماع التربوي والإرشاد الاجتماعي. ط 1. القاهرة. مكتبة القاهرة الحديثة. ص 12.
- برتومور (1982) تمهيد في علم الاجتماع ترجمة محمد الجوهري وآخرين ط 6. القاهرة. دار المعارف. ص 343 - 34.
- أمين، احمد (1991) أصول التربية. القاهرة. مطابع رفاعي ص 351.
- طه، حسين جميل (1985) نص كتاب كيف نفهم عملية التدريس (علم النفس التربوي التفاعلي). المجلة التربوية العدد 27 المجلد الثاني.
- زهران، حامد عبد السلام (1984) علم النفس الاجتماعي. القاهرة. عالم الكتب. ص 235 - 236.
- الحسن، إحسان محمد (1981) معجم علم الاجتماع. ط 1. بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر. ص 225.
- أحمد، غريب محمد سيد (1989) علم الاجتماع الريفي. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية. ص 207 - 208
- الأبراشي، محمد عطية (1993) روح التربية والتعليم. القاهرة دار الفكر العربي. ص 9.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Azar,Edward,E.&Chung,Moon (1984) Third world National Security: toward a new Conceptual framework international interactions 11 (2) PP 103 - 135.
- Buzan, Barry (1988) Peoples,state and fear: the national Security problems in the third world.in: E.Eglar (etal) (eds) national Security in the third world: the Management of External and internal threats. London. Edward. Eglar Publishing. PP 14 - 43.
- Buzan, Barry (1991) People, states and Fears: an agenda for international secuity studies in the post - cold war era. 2nd Ed. Elouder. Co. lynne Rienner publishers.p.329.
- Acharya, Amitav (1992) Regionalism amd Regime Security in the third World: Comparing the orgins of ASEAN and the G.C.C. in:Brian L. Job (ed) the Insecurity Dilemma: National Security of the third world States. Iondon. Lynne Rienner publisher. p.143.
- Carter, Aashton, B (et al.,) (1991) Anew concept of cooperative security Brookings Occasional Papers. Washington D.C. the Brookings institution.p.7.
- Cole,M. (et al) (1971) The cultural context of learning and Thinking. Newyork.Basic books. pp 132 - 137.
- Pye, Lucian (1963) Communication and political development. N.J. princeton university press.
- EL-Khatib, Fathalla & Hirabayashi, Gordon (1958) Communication and political awareness in the Villages of Egypt. Public opinion quartery vol. 22. No.3. pp 357 - 363.

انتهى

Table of Contents